"الرواية الحائزة على جائزة أرسين لوبين الأدبية لأفضل رواية بوليسية"

جريمة في باريس

صوفي إيناف

ترجمة : عصام الشحادات

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة

جريمة في باريس

جريمة في باريس
تأليف: صوفي إيناف

ترجمة: عصام الشحادات
تحرير: هدى فضل
مُراجعة لغوية: عبدالرحمن علي

الطبعة الأولى: 2019
رقم الإيداع: 11103/2019
الترقيم الدولي: 9789773195014

تصميم الغلاف: سيد كامل

© جميع الحقوق محفوظة للناشر
60 شارع قصر العيني --11451 القاهرة
ت 27921943 – 27954529 فاكس 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

First published as *Poulets Grilles* in 2015 by Albin Michel

© Editions Albin Michel – Paris 2015

صوفي إيناف

جريمة في باريس

رواية من فرنسا

ترجمها عن الفرنسية: عصام الشحادات

العربي للنشر والتوزيع

استفاد هذا العمل بدعم برنامج طه حسين لدعم النشر
بالمعهد الفرنسي بمصر / سفارة فرنسا بمصر
Cet ouvrage a bénéficie du programme Taha Hussein d'aide à la publication
de l'Institut français d'Egypte / Ambassade de France en Egypte.

بطاقة فهرسة
إيناف، صوفي
جريمة في باريس: رواية من الأدب الفرنسي/ تأليف: صوفي إيناف؛ ترجمة: عصام الشحادات.
- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2019.
ص؛ سم.
تدمك 9789773195014
1- القصص الفرنسية
أ- الشحادات، عصام (مترجم)
ب- العنوان 843

1

- باريس، 9 أغسطس 2012

وقفت "آن كابستان" تنظر من نافذة المطبخ بانتظار طلوع الفجر. شربت ما تبقى في الفنجان دفعة واحدة، ووضعته على الطاولة المُغطاة بمشمّع أخضر، ربما يكون هذا آخر فنجان قهوة تشربه بصفتها شرطية.. وربما لا، فالمفتشة اللامعة "كابستان"، نجمة جيلها، الضابطة ذات التاريخ الوظيفي المشرف، قد أطلقت رصاصة في غير محلها، فتم تحويلها للمثول أمام المجلس التأديبي، وتعرضت للوم والتأنيب من كل حدب وصوب قبل أن يتم إيقافها عن الخدمة لستة أشهر، ثم ساد الصمت حياتها تمامًا، حتى رن تليفونها وكان على الطرف الثاني "بورون"، معلمها الذي أصبح رئيس إدارة الشرطة الجنائية في باريس، وقد قرر أخيرًا أن يخرج عن صمته. كان اتصال "بورون" لاستدعائها، وقد حدد لها يوم 9 أغسطس، في منتصف موسم الإجازات الصيفية؛ موعد يليق

بعادات الرجل، فهو يذكِّر المفتشة بأنها ليست في إجازة، وأنها غير موظفة في الوقت نفسه.

ستخرج "كابستان" من تلك المقابلة إما شرطية أو مرفودة، بوظيفة في باريس أو في الأرياف لا يهم، لكن على الأقل أن تخرج وقد استقر أمرها على شيء؛ أيّ شيء أفضل من هذا التوهان، والضبابية التي كانت تمنعها من المضي قدمًا.

غسلت المفتشة فنجانها في الحوض، وقالت لنفسها: "سأضعه في غسالة الأطباق لاحقًا"؛ كان عليها أن تخرج.

عبرت الصالون، الذي ارتفعت في جنباته أغاني "براسانس" الكلاسيكية. شقة "كابستان" كبيرة ومريحة، ولم تكن المفتشة تبخل على المفارش ولا على الإضاءة، وكان يبدو أن قطتها توافق على خياراتها في الديكور إذ بدت سعيدة وهي تخرخر. مع ذلك، كان ثمة آثار فراغات متناثرة وسط هذا الديكور الحميمي، تشبه بقع الجليد على العشب في الربيع؛ ذلك أنه في اليوم التالي لوقفها عن العمل، تركها زوجها وأخذ معه نصف المفروشات من الشقة، كان واحدًا من تلك الأيام التي توجه لك فيها الحياة صفعة قاسية، لكن "كابستان" لم تكن من النوع الذي يبالغ في لوم الذات والشفقة، فهي المسؤولة عمّا حدث لها.

بعدها بثلاثة أيام فقط، كانت قد عوضت الأمور المهمة: مكنسة كهربائية وتليفزيون وكنبة وسرير، ومع ذلك، كانت ثمة آثار دائرية على الموكيت لا تزال تشير إلى موضع الكراسي في حياتها السابقة، أما على ورق الجدران، فالآثار كانت أوضح: هنا ظلال لوحة، وهنا شبح مكتبة، وهناك كان يوجد دولاب. كان بود "كابستان" أن تنتقل إلى بيت آخر، لكنها كانت

معلقة بسبب وضعها الوظيفي، والآن ستعرف أخيراً في أي اتجاه ستذهب حياتها بعد موعدها الجديد مع مديرها.

نزعت شريطة الشعر التي تحتفظ بها في معصمها، وربطت بها شعرها الذي تحول إلى اللون الأشقر مثلما هو الحال في كل صيف، لكن اللون الكستنائي لن يلبث أن يستعيد حقوقه قريبًا. ارتدت "كابستان" ثوبها بحركة آلية ثم ارتدت صندلها، وقطتها مستلقية على ذراع الكنبة لم ترفع رأسها، جُلّ ما فعلته هو أن حركت أذنيها باتجاه المدخل لمتابعة خروج صاحبتها من الشقة. شدت "كابستان" حقيبتها الجلدية الكبيرة على كتفها، بعد أن وضعت فيها رواية "محرقة الغرور (Le Bûcher des vanités)" للمؤلف "توم وولف"، التي أعارها إياها مديرها "بورون" - تسعمائة وعشرون صفحة - وقد قال لها وقتها: "ستشغلك هذه حتى أتصل بك"، لكنها انتظرت لما يكفي لقراءة المجلدات الثلاثة عشر من كتاب "ثروات فرنسا (Fortune de France)" كاملة، والأعمال الكاملة لـ"ماري أنج جييوم"، هذا دون حسبان أكوام روايات الجيب.

آهٍ من "بورون" وكلامه الخالي من أي التزام بأي تاريخ أو وعود! أغلقت "كابستان" الباب وأغلقته مرتين بالمفتاح، ثم نزلت السُلَّم.

كان شارع "فيروري" خاليًا تحت أشعة شمس الصباح، وباريس في تلك الساعة المبكرة جدًا من شهر أغسطس، خالية من سكانها وكأنها نجت من انفجار قنبلة نيوترونية، وعلى بُعْدٍ تلألأت الأضواء البرتقالية الكاشفة لإحدى عربات التنظيف.

سارت "كابستان" بمحاذاة واجهات محلات "بي آش في (BHV)" قبل أن تقطع ساحة بلدية باريس. عبرت نهر السين ثم جزيرة "لا سيتي"

ووصلت "رصيف الأورفيفر"، أمام المبنى المشهور ذي الرقم 36 حيث الإدارة العامة للشرطة الجنائية في باريس.

اجتازت البوابة الضخمة ثم اتجهت يمينًا في الساحة. حدَّقت للحظة في اللوحة الزرقاء التي بهتت ألوانها: "السُلَّم أ، إدارة الشرطة الجنائية".

بعد استلامه مهامه الجديدة، احتل "بورون" مكتبًا في الطابق الثالث، الطابق المخملي حيث يعمل أصحاب القرار، في الممر الذي لا يجرؤ أحد فيه على حمل سلاحه حتى ولو كان من رعاة البقر الحقيقيين.

دفعت "كابستان" الباب ذا الدرفتين.

تشنجت معدتها لفكرة أنه قد يتم الاستغناء عنها، فهي شرطية طول حياتها، وكانت ترفض التفكير في أي خيار آخر، والمرء لا يرجع إلى مقاعد الدراسة في عمر السابعة والثلاثين، حتى الأشهر الستة التي قضتها دون القيام بأي عمل، كان وقعها ثقيلًا؛ مشت كثيراً، استقلت كافة خطوط المترو في باريس، واحدًا تلو الآخر، من الخط رقم واحد حتى الخط رقم 14، من نهاية الخط إلى نهاية الخط، وكانت تأمل أن تستأنف عملها في الشرطة قبل أن تبدأ بقطارات الضواحي. أحيانًا، كانت تتخيل نفسها مجبرة على الركض على طول خطوط القطار السريع إلى أن تحدد لنفسها هدفًا ما، فطوال عمرها وهي تعمل ضابطة في الشرطة ولا تريد أي خيار آخر.

عدلت من زيِّها أمام اللوحة النحاسية الجديدة المحفور عليها اسم المدير الإقليمي للشرطة الجنائية، ثم قرعت الباب. سمعت صوت "بورون" المميز والأجش يدعوها للدخول.

2

نهض "بورون" لاستقبالها.

كانت لحيته رمادية وكذلك شعره، وقد قصه قصة عسكرية فظهر وجهه الأشبه بوجه كلب الصيد من فصيلة الـ"باسيه أرتيزيان". لـ"بورون" نظرة لطيفة، تكاد تكون حزينة، وكان يفوق المفتشة "كابستان" قامةً مع أنها هي نفسها ممشوقة القوام، أمَّا في العرض، فكان أعرض منها مرتين، وكان "بورون" - رغم مظهره كرجل دمث - صاحبَ سلطة وحضور كبير، فلا أحد يستطيع أن يمزح معه.

ابتسمت له "كابستان" ومدت له كتاب "وولف". كانت قد ثنت بعض حواف الكتاب، فبدا بعض التجهم على وجه المدير، ودون أن تفهم ما قد يكنه الناس من تعلُّق بالأشياء، قالت له إنها آسفة. لم يعلق على كلامها، واكتفى بقوله إن الأمر لا يهم. لكن كان واضحًا أنه يعني العكس.

خلف "بورون"، جلس رجلان تعرفهما جيدًا: أحدهما "فومنكو"، المدير السابق لقسم مكافة المخدرات وقد أصبح نائب المدير الإقليمي، و"فالنكور" الذي انتقل من إدارة الشرطة الجنائية إلى إدارة الفرق المركزية. تساءلت "كابستان" عمَّا يفعله هؤلاء الرجال من العيار الثقيل هنا، فبالنظر إلى أحوالها الأخيرة في السلك، كانت فكرة توظيفها في إدارة أحدهما بعيدة الاحتمال.

ابتسمت "كابستان" لأصحاب السلطة الثلاثة وجلست بانتظار الحكم.

دخل "بورون" في الموضوع فورًا قائلًا:

- لدي خبر سار لك؛ لقد انتهى التحقيق الذي كانت تقوم به هيئة الرقابة الداخلية، وهذا يعني نهاية توقيفك عن الخدمة، سيتم إعادتك إلى السلك ولن يتم حفظ الحادثة في ملفك.

شعور جامح بالحرية والراحة اجتاح "كابستان"، وأحست بالفرح يسري في عروقها ويدفعها للخروج والاحتفال بالخبر، لكنها اجتهدت أن تحافظ على تركيزها.

وأكمل "بورون" كلامه:

- مهمتك القادمة ستبدأ في سبتمبر، ستكونين مسؤولة عن فرقة جديدة.

شعرت "كابستان" بالانزعاج للحظة؛ أن تتم إعادتها إلى السلك أمر متوقع، لكن أن تُمنح فوق ذلك مسؤوليات جديدة، ففي الأمر شيء مريب.

وقد وقع بعض كلام "بورون" على مسمعها وقع طقطقة الأصابع التي تسبق الصفعة:

- فرقة؟ لي أنا؟

أجاب "بورون" شارحًا الأمر وهو ينظر لبعيد:

- إنه برنامج خاص. لقد تم تشكيل فرقة إضافية في إطار إعادة هيكلة جهاز الشرطة بهدف تحسين أداء مختلف الأقسام، ستكون تحت إدارتي مباشرة وستضم العناصر.. الأقل التزامًا.

بينما كان "بورون" يسرد خطابه الطويل، كان شركاؤه يتململون في جلساتهم زهقًا، فكان "فومنكو" يتفحص بلا مبالاة فترينة "بورون" دون أدنى اهتمام، وكان يمرر يده من وقت لآخر في شعره ويشد صدرية طقمه للأسفل، أو يتأمل طرف جزمة رعاة البقر التي ينتعلها، وكانت أكمام قميصه المرفوعة تُظهر سواعد غزيرة الشعر توحي بأن صاحبها يستطيع بضربة واحدة من قبضته أن يحطم لك فكك. أما "فالنكور"، فكان ينقر على ساعته الفضية برغبةِ مَنْ يريد للوقت أن يمر سريعًا، كان جافًا، ذا ملامح حادة وبشرة غامقة، أشبهَ ما يكون بزعيم هندي أحمر، وكأنه يضم بين جنبيه روحًا بألف حياة، لم يبتسم مطلقًا وظل عابسًا عبوس السلطان الذي ينزعج لأدنى تفصيل؛ لا بد أنه يحتفظ باهتمامه لأمور أعلى وأهداف أسمى، والأفضل للبشر العاديين ألا يقلقوه في شيء.

قررت "كابستان" اختصار المأساة عليهم جميعًا، فقالت:

- وعمليًا، ماذا يعني هذا؟

لم ترق لهجة التهكم لـ"فالنكور"، فانتفض بشكل مفاجىء مثل عصفور وقع في الشرك، فظهر أنفه المعكوف والحاد، وألقى على "بورون"

نظرة تساؤل، لكن الرئيس كان يحتاج إلى أكثر من ذلك لكي يتأثر، بل إنه نجح في الابتسام وهو يلقي بجسده على مقعده:

- حسنًا يا "كابستان"، سألخص لك الموضوع؛ نحن نقوم بعملية تنظيف في الشرطة، حتى تكون إحصائياتنا مدعاةً للفخر. نحن نجمع كل المدمنين والهمجيين والمكتئبين والمتسكعين ومن هم على شاكلتهم ممن لا نستطيع فصلهم، نجمعهم في فرقة واحدة.. فرقة سننساها في إحدى الزوايا - تحت إمرتك - بدءًا من سبتمبر.

لم تنبس "كابستان" ببنت شفة.

أدارت رأسها نحو النافذة، وراحت تراقب لوهلة الانعكاسات الزرقاء التي كانت تتلاعب على الزجاج المعشَّق، ومن خلفه، راحت تتأمل أمواج نهر السين الصغيرة الناعمة وهي تتلألأ تحت السماء الصافية، تاركة لدماغها الوقت لفهم ما يعنيه مديرها.

خزانةٌ، بكل بساطةٍ خزانة كبيرة جدًا، بل هي حاوية زبالة بالأحرى؛ ستكون فرقة للعناصر النكرة والمبعَدِين، إنها مكب نفايات الإدارة، سيجمعون العناصر التي يشعر منها الجميع بالعار في سلة قمامة واحدة، وستكون هي حبة الكرز فوق ذلك كله، ستكون هي الرئيسة.

- ولماذا أنا الرئيسة؟

أجابها "بورون" :

- لأنك الوحيدة التي برتبة مفتشة. تعلمين أن من لديهم ميولٌ للعنف أو الإدمان، ليست لديهم فرص كبيرة في عالم الترقيات.

كان بوسع "كابستان" المُرَاهَنَة على أن هذه الفرقة هي من بنات أفكار "بورون"، إذ لا يبدو أن "فالنكور" أو "فومنكو" موافقان على البرنامج؛ الأول من باب الاحتقار والآخر من باب اللا مبالاة، كان لديهما أمور أخرى يقومان بها، وكل هذه القصة كانت مضيعة مزعجة للوقت.

سألت "كابستان":

- من معي في الفريق؟

حك "بورون" ذقنه، وانحنى ليفتح آخر درج في مكتبه، أخرج منه ملفًا سميكًا وضعه أمامه فوق طقم المكتب، وهو من الجلد الأخضر الغامق، ولم يكن على غلاف الملف أية كتابة؛ ستكون فرقتها الفرقة المجهولة. فتح المدير الملف، ثم اختار من بين مجموعة النظارات المصطفة تحت مصباح المكتب النظارة ذات الإطار الصدفي. كان "بورون" يبدل نظاراته بحسب الحالة التي يرغب الظهور بها؛ الواثق من نفسه أو العصري أو الرجل القاسي، ثم بدأ القراءة:

- العميل "سانتي"، إجازة مرضية منذ أربع سنوات، النقيب "ميرلو"، مدمن.

- مدمن؟ ستكون فرقة رائعة.

أغلق "بورون" الملف ومده إليها:

- خذيه، بإمكانك دراسته على مهل.

قدرت "كابستان" وزن الملف، كان تقريبًا بوزن دليل تليفون مدينة باريس الـذي في شقتها، فعلقت:

- كم شخصًا نحن؟ يبدو أن "تنظيفكم" يشمل نصف شرطة باريس!

تململ المدير العام من جديد في كرسيه، فأصدر الجلد البني صريرًا مزعجًا.

- رسميًا.. أنتم نحو أربعين شخصًا.

فقال "فومنكو" بتهكم:

- هذه ليست فرقة، هذه كتيبة.

أربعون: فيهم من أصيب بالرصاص، ومن كـان يتهـرب مـن العمـل، ومـن قـد ازداد وزنه أكثر من اللازم، ومن طلَّق زوجته باسم الشرطة، قبل أن ترميهم أمواج الحياة عـلى ضفاف هذه الفرقة، إنه المكان الذي خُصص لهم لكي يتخلوا أخيرًا عن مهنـتهم. شـعرت "كابستان" بالأسف لأجلهم، والغريب أنها لم تحسب نفسها من بينهم.

تنهد "بورون" ونزع نظارته:

- "كابستان"، معظم هؤلاء بعيدون عن العمل الجاد منـذ سـنوات. الأغلـب أنـك لـن تحظي برؤيتهم أبدًا، فما بالك بأن تجعليهم يعملون؛ إنهم غير موجودين بالنسبة للسلك، هم مجرد أسماء، وإن حدث أن مر أحدهم بالإدارة هنا، فمن أجـل أن ينشـل قلـم حـبر، فلا تشغلي بالك بأمور لن تحدث.

- هل بينهم ضباط؟

- نعم، "داكس" و"إيفرار" كلاهما برتبة ملازم، و"ميرلو" و"أورسيني" كلاهما برتبة نقيب.

توقف "بورون" عن الكلام للحظات وهو يحملق في النظارة التي كان يدورها في يده، قبل أن يضيف:

- وهناك "خوسيه توريز" وهو ملازم أيضًا.

"توريز"، الملقب بالمنحوس السيئ الحظ، والقطةُ السوداء التي لا يرغب أحد أن يصادفها في طريقه، أخيرًا وجدوا له مكانًا يتركونه فيه، فعزله لم يكن كافيًا، وكان لا بد من دفعه إلى أبعد من ذلك. كانت "كابستان" تعرف "توريز" من سمعته فقط، وجميع أفراد السلك في البلد يعرفون "توريز" من سمعته، ويتعوذون بالله إذا ما صادفوه أمامهم.

بدأت قصته بحادثة بسيطة: أصيب شريكه بطعنة سكين خلال عملية توقيف عادية، فقالوا: أمر روتيني، ثم أصيب الشرطي الذي حل مكانه حتى تنتهي فترة النقاهة، فقالوا: هي مخاطر المهنة، الشريك الثالث أصيب برصاصة وظل ثلاثة أيام في غيبوبة، أما آخر شرطي عمل معه، فقد مات بعد أن دُفع من فوق إحدى العمارات، وفي كل مرة، كانت تُستبعد مسؤولية "توريز" عمَّا حدث، ولم يوجه له أي اتهام، ولا حتى بالإهمال، لكن الهالة التي بدأت تحيط به كانت أسمك من القطران، وثبتت عليه سمعة أنه شخص يجلب الحظ السيئ، لم يعد أحد يريد العمل معه، بل لم يعد أحد يقترب منه، وقلة من الناس كانت لا تزال تنظر في عينيه، إلا "كابستان" التي كانت لا تلقِ بالًا البتة لما يقال عن الحظوظ السيئة.

- أنا لا أؤمن بالخرافات.

فقال لها "فالنكور" بنبرة كئيبة:

- ستؤمنين بها، صدقيني!

أومأ "فومنكو" موافقًا، وقد اعترته قشعريرة جعلت نقش التنين الملتف حول عنقه يهتز - وهو ذكرى من أيام الصبا في الجيش - لكنه سرعان ما قمعها. اليوم "فومنكو" صاحب شارب أبيض مشعث يبدو مثل الفراشة تحت أنفه، والغريب، أن تناسب الشارب مع التنين لم يكن سيئًا كثيرًا.

وكالعادة في كل مرة يذكر فيه اسم "توريز"، يسود الصمت الغرفة لبضع ثوان.

كسره "بورون" بقوله:

- وأخيرًا، هناك الرائد "لوي بابتيست لوبروتون".

هذه المرة، قامت "كابستان" من كرسيها، وسألت:

- مِنَ الإدارة العامة للتفتيش؟

قال "بورون"، وهو يباعد بين يديه إشارة العجز:

- هو بعينه، أعلم أنه وضع العديد من العقبات في حياتك المهنية.

- بالفعل، فقد قابلت ألطف منه بكثير في السلك، وماذا يفعل هنا مهووسُ اللعب النظيف؟ حتى إن الإدارة العامة للتفتيش ليست جزءًا من الشرطة الجنائية!

- هناك شكوى مقدمة ضده، بسبب عدم توافق الأمزجة، المهم... أمور داخلية، خلافات بين عناصر الإدارة العامة للتفتيش مع بعضهم البعض، وقد قرروا أنهم لم يعودوا بحاجة إليه.

- ولكن لماذا الشكوى؟

"لوبروتون" هذا كان عنيدًا إلى حد التوحش، لكن ما كان لأحد أن يشكك في استقامته.

طأطأ المدير رأسه وهز كتفيه في إشارة متصنعة إلى أنه يجهل السبب، بينما كان الرجلان الآخران يتفحصان السقف، وقد علت شفاههما ابتسامة ماكرة، ففهمت "كابستان" أن عليها الاكتفاء بهذا القدر من الأسئلة.

ثم تدخل "فالنكور" ببرود:

- لا تنسي أيتها المفتشة أنك لست في وضع يسمح لك بالحكم على رفاق السلاح لتصرفاتهم العنيفة.

ابتلعت "كابستان" التعليق دون أدنى اعتراض؛ الواقع أن وضعها لا يسمح لها بالحكم على أي كان ولو بنظرة، وكانت تدرك ذلك جيدًا. اخترق شعاع من ضوء الشمس الغرفة، وسمعت من بعيد صدى لصوت حفارة.

فرقة جديدة وفريق جديد، بقي أن تعرف طبيعة المهمة.

- هل سيكون لدينا مهام نضطلع بها؟

- الكثير من المهام.

شعرت "كابستان" أن "بورون" بدأ يستمتع بالقصة حقيقةً؛ كـان الأمـر بالنسـبة لـه نكتة؛ العودة للمكتب، هدية استلامها المنصب الجديد، فبعد 15 سـنة في الخدمـة، هـا هي تعود للسنة الأولى، وما تراه الآن هو من طقوس دخول المبتدئين.

- بالتنسيق مع إدارات أقسام الشرطة والإدارة المحلية للشرطة الجنائية والفرق المركزية، ستأخذون على عاتقكم كامل القضايا المسجلة ضد مجهول من كافة أقسام الشرطة والفرق في المنطقة، وأخرجنا أيضًا من الأرشيف كل الحالات العالقة والقضايا غير المغلقة، وأرسلناها إليكم مباشرة.

ألقى "بورون" نظرة رضا على زميليه قبل أن يتابع:

- عمليًا، شرطة منطقة "إيل دو فرانس" ستتمكن من حل 100 بالمئـة مـن القضـايا، بينما ستتحملون أنتم عبء كل القضايا الفاشـلة، سـيكون لـدينا قسـم واحـد عـاجز في المنطقة كلها، يجب أن يكون كل شيء تحت السيطرة، كما ترين.

- نعم، أرى ذلك.

قال "فومنكو" وهو يحك تِنِّينَهُ:

- ستصلكم صناديق الأرشيف عندما تنتقلون إلى المقر الجديد؛ أي في سبتمبر، عندما تستلمون مكاتبكم، فبناء الإدراة في الـ36 لم يعد فيه مـوطئ قـدم، وقـد خصصـنا لكـم مقرًا صغيرًا في مكان آخر.

"فالنكور" الذي لم يتزحزح من مكانه أنملة، قال محذرًا المفتشة:

- إن ظننتِ أنك ستخرجين مما أنت فيه بسهولة، فأنت مخطئة، ولكن - على الأقل - نحن لا ننتظر منكم أية نتائج.

أشار "بورون" إلى الباب بيد مفتوحة، فخرجت "كابستان"، وعلى الرغم من الكلام الأخير الذي قيل، كانت تعلو شفاهها ابتسامة رضا، فقد أصبح لديها من الآن فصاعدًا هدفًا وتاريخ بداية جديدة.

⊙⊙

جلس "فالنكور" و"فومنكو" في مقهى "القصرين"، يتناولان البيرة. أخذ "فومنكو" حفنة من طبق الفستق، ودفعها إلى فمه بحركة سريعة، وقضمها، ثم سأل زميله:

- ما رأيك في المفتشة "كابستان"، المدلَّلة عند "بورون"؟

كان "فالنكور" يداعب بسبابته حبة فستق ويدفعها على طول قاعدة الكأس، أجاب:

- لا أدري، جميلة على ما أظن.

انفجر "فومنكو" مقهقهًا، ثم مسح على شاربه، وقال:

- نعم، هذا أمر لا يمكنك تفويته، كلا! أقصد على المستوى المهني، ما هو رأيك صراحة بهذه الفرقة؟

فأجابه "فالنكور" دون أدنى تردد:

- هراء!

3

باريس، 3 سبتمبر 2012

ارتدت "آن كابستان" ملابس العمل المعتـادة؛ جينـز، وبلـوفر خفيفـة، وفوقهـا معطـف قصير، ثم حذاء خفيفًا وهي تشد في يدها على مفاتيح مقرها الجديد. قالت لنفسها: إن عشرين شخصًا من أصل الأربعين سيكون أمرًا جيدًا، فلو أن شرطيًا واحدًا من كـل اثنـين يرى أهمية في هذه الفرقة، فالأمر يستحق إذًا أن تجعله ينجح.

متشوقةً بل مليئةً بالأمل، اجتـازت بخطًـى سريعـة الميـدان التـي تخفـق فيهـا نـافورة "الإينوسان" (الأبرياء). كان صاحب محل ملابس رياضية يرفع باب محله المعـدني المغطـى بالجرافيتي، وروائح البطاطس المقلية المنبعثـة مـن مطـاعم الوجبـات السريعـة تـنـتشر في الجو الذي لا يزال نديًا. التفتت "كابستان" نحو البناء رقم 3 في شارع "الإينوسان"، لم يكـن

العنوان عنوان مركز شرطة، وليس هناك أية إشارة تدل على وجـود مركـز للشرطـة، بـل مجرد عمارة، كما أن شفرة الدخول لم تكن بحوزتها.

تنهدت ودخلت المقهى على الناصية لتطلبها من صاحب المقهـى، B8498. فحولتـه المفتشة إلى (بدر - جورج أورويل - أبطال كأس العالم) لكي يتسنى لها حفظه بسرعة.

على البطاقة المجعدة في ميدالية المفاتيح، قرأت الـرقم 5 وقـد كتـب عـلى عجـل، إنـه الطابق المطلوب، طلبت "كابستان" المصعد وصعدت إلى الطـابق الأخـير. لم تتكـرم الإدارة العامة بمنحهم مكتبًا رسـميًا في الطـابق الأرضي مـع واجهـة عـلى الشـارع وأضـواء النيـون وإمكانية استقبال مراجعين، بل أخفوهم في الأعلى، دون أية لوحة في الشـارع أو إنترفـون. من الباب الخارجي، بدت الشـقة متداعيـة وقديمـة، إنمـا مضيئة. شـعرت المفتشـة أن في المكاتب شيئًا من الحميمية مما عوض قليلًا من قلة الاحترام في الموضوع.

في المساء، بعد أن أنهى الكهربائيون وموظفو التليفون أعمالهـم، جـاء عـمَّال النقـل لتركيب العفش، ليس عليها أن تقلق أو تزعج نفسها لأي أمـر، كـما قـال لهـا "بـورون"، فالإدارة ستتكفل بكل شيء.

لاحظت "كابستان" وجود مكتب من الزنك وقد أكله الصدأ، ومقابله تمامًا طاولـة مـن الفورميكا السماوي متكئة على قدم مكسورة، رغم قواعـد الأكـواب التـي وُضـعت تحتهـا لتسندها، والمكتبان عبارة عن لوح من الميلامين الأسود موضوعة فـوق حـمالات متداعيـة؛ يبدو أن الإدارة قد ارتأت إلى أنه من المناسب أن تتخلص من العناصر غـير المرغـوب فيهـا ومن الأثاث القديم في الوقت نفسه، وهكذا، لا يمكن لأحد اتهام المشروع بعدم التجانس.

كانت الأرضيات مملوءة بالثقوب من كل الأحجام، ولون الجدران أسود من رئتي مـدخن، لكن الغرفة كانت واسعة، والمنظر من الشبابيك العريضة التي تطل عـلى الميـدان، كـان يمتـد حتى كنيسة "سان أوستاش"، عبر الحديقةِ القديمة لأسواق "ليه هال"، والرافعاتِ التـي تعمـل في مشروع توسيع الأسواق الـذي يبـدو أنـه لـن ينتهـي أبـدًا. خلـف كـرسي مكتـب متهالـك، اكتشفت "كابستان" أن مدخنة الدفاية لم تكن مسدودة ويبدو أنها تعمل، هذا أمر جيد.

كانت المفتشة تهم باستكمال جولتهـا عنـدما سـمعت صـوت بـاب المصـعد، ألقـت نظرة على ساعتها، كانت تشير إلى الثامنة تمامًا.

حك الرجل حذاءه المخصص للمشي لمسافات طويلة فوق المشاية أمـام الشـقة، ثـم دق على الباب المـوارب، كـان يبـدو أن شـعره الأسـود الكثيـف يتبـع طريقتـه الغريبـة الخاصة في التسريح، وقد نبتت لحيته التي يشوبها البياض رغم صغر سنه.

تقدم في الصالون، وقدم نفسه ويداه في جيوب معطفه من جلد الخروف:

- صباح الخير، الملازم "توريز".

"توريز"، هكذا إذًا، المنحوس هو أول القادمين! لم يكن يبدو عليه أنه سيخرج يديـه من جيوبه، وتساءلت "كابستان" إن كان ذلك خوفًا من أن يُرفض السـلام عليـه أم لأنـه جلف بطبعه. مع شكوكها وللتهـرب مـن المشـكلة مؤقتًـا، قـررت ألا تمـد يـدها، لكنهـا ابتسمت ابتسامة عريضة تنم عن النوايا الحسنة، فلمعت أسنانها كعلم أبيض.

- صباح الخير أيها الملازم، أنا المفتشة "آن كابستان"، المسؤولة عن الفرقة.

- نعم، صباح الخير.

ثم سأل وكأنه استعاد شيئًا من لباقته:

- أين مكتبي؟

- حيثما أحببت، الواصل أولًا يختار...

- هل أستطيع إلقاء نظرة؟

- طبعًا، تفضل.

نظرت إليه وهو يتجه مباشرة نحو الغرفة الداخلية.

كان طول "توريز" حواليْ متر وسبعين سنتيمترًا، وكان صاحب عضلات، وإن كانوا يصفوه بالقطة السوداء، فمؤكد أنه من فصيلة الفهود؛ كان مكتنزًا ضخم الجثة. قبل أن ينتهي به المقام هنا، كان يعمل في الكتيبة الثالثة 3e BT، وهي الفرقة المحلية في الدائرة الثانية. ربما كانت لديه معرفة بالمطاعم الجيدة في المنطقة.

شاهدته، من بعيد، وهو يفتح آخر باب في أقصى الممر، ثم هز رأسه والتفت قائلًا بصوت مرتفع حتى تسمعه:

- سآخذ هذه الغرفة.

ثم دخل وأغلق الباب وراءه، دون مزيد من الشكليات.

لا يهم، على الأقل أصبحا الآن اثنين.

رن جرس تليفون، فراحت "كابستان" تبحث عن الجهاز في الغرفة وسط مجموعة من الموديلات المختلفة والتي كانت أكثر من الأثاث. أخيرًا، رفعت سماعة جهاز رمادي موضوع على الأرض، قرب النافذة.

سمعت صوت "بورون" على الطرف الآخر يحييها:

- "كابستان"، صباح الخير. اتصالي بك فقط لأقول إنكم ستزيدون عنصرًا، أنت تعرفينها، سأتركها مفاجأة.

كان المدير يبدو مسرورًا بنفسه، على الأقل هناك من يجد تسلية في الأمر.

بعد أن أغلقت السماعة، وضعت "آن" التليفون الرمادي مكان تحفة قديمة كانت على المكتب الزنك الذي يحتاج إلى مسحة جيدة قبل الاستعمال، كما عثرت على أباجورة لونها كريمي ذات قاعدة من خشب الكرز ومليئة بالخدوش، كان ملقًى بجانب آلة التصوير، ثم أخرجت من حقيبتها مناديل مبللة ومجسمًا مذهبًا لبرج إيفل بطول 15 سم، كانت قد اشترته لنفسها من بائع تذكارات على كورنيش نهر السين في أول يوم عُيِّنت فيه في العاصمة، ثم أضافت أجندتها الجلدية الحمراء الكبيرة وقلم بيك أسود، وهكذا أصبح المكتب مكتبها، على مسافة قريبة بين الشباك والدفاية. إن حضر الأربعون شرطيًا للعمل في الشقة، فسيتكدسون فوق بعضهم بعضًا، لكن لا بأس.

ذهبت "كابستان" إلى المطبخ لإحضار كوبًا من الماء. كانت الشقة الواسعة مجهزة بثلاجة وموقد غاز قديم وخزانة صغيرة من خشب الصنوبر، من النوع الذي نجده فقط في مطابخ الشاليهات. كانت الخزانة فارغة ليس فيها كوب واحد، وتساءلت "كابستان" إن كان هناك ماء أيضًا، فتوجهت نحو الباب الزجاجي

المؤدي إلى البلكون حيث لبلابة مصفرَّة تتسلق على طول تكعيبة بلاستيكية، متسببة بتشققات في حجارة البناء، وفي إحدى الزوايا كان ثمة جرة ضخمة من الفخار وداخلها كومة من التربة الجافة، دون أي أثر لأي نبتة. يستطيع المرء أن يرى السماء زرقاء، فوقفت "آن" برهة تستمع لضوضاء باريس الآتية من الأسفل.

عندما عادت إلى الصالون، كان "لوبروتون" - الرائد السابق في إدارة التفتيش العامة - قد وصل واتخذ مكانه خلف المكتب الميلامين الأسود. كان حانيًا قوامه الطويل، ويحاول فتح صناديق الملفات بواسطة مشرط من نوع "أوبينيل"، فعل ذلك بهدوء، كعادته. "لوبروتون" كان صلبًا في طبعه الفاتر كما في آرائه، ولم تنس "كابستان" بعدُ صرامته وتزمته أثناء استجوابه لها، ولو أن لجنة التأديب استندت في قرارها إلى توصيات هذا الرجل لما كان بوسعها أن تعود إلى سلك الشرطة بحياتها. "لوبروتون" كان يرى في "كابستان" إنسانة فظة، وهي كانت ترى فيه إنسانًا مهووسًا بالتفاصيل ومتصيدًا لعيوب الآخرين، ولم يكن من الممتع أبدًا أن يلتقيا من جديد. بالكاد رفع "لوبروتون" رأسه وحيَّى المفتشة بصباح الخير قبل أن يعود إلى الصندوق الكرتوني. ردت عليه "كابستان" بصباح الخير، ثم ساد الغرفة صمت مطبق.

لقد أصبحوا ثلاثة.

ذهبت "كابستان" لإحضار صندوق ملفات لها هي أيضًا.

⊙⊙

أمضى كلٌ من "كابستان" و"لوبروتون" ساعتين وهما يدرسان بالتفصيل كومة من الملفات، كلٌ وراء مكتبه، لكن كل ما فيها كان جرائم

سطو بالجملة، وعمليات احتيال على أجهزة صرف النقود وسرقات عشوائية أو انتحال شخصية، لم يكن في هذه الصناديق أي شيء مفاجئ، وبدأت "كابستان" تتساءل بجدية عن فحوى المهمة التي أوكلت إليهم.

قطع صوت جهوري قراءاتهما، فتجمدا والأقلام في يديهما ينظران؛ كانت امرأة بدينة في الخمسين من عمرها واقفة عند الباب، وكان صوتها يهدر في تليفونها المرصع بالكريستال:

-... سحقًا لك، غبي!

ثم أضافت وقد احمر وجهها:

- أنا أكتب ما أريد، وهل تعرف لماذا؟ لأنني لن أدع شخصًا يرتدي بدلة يملي علي ما أقول وما لا أقوله.

حدق كلٌ من "كابستان" و"لوبروتون" فيها مصعوقين.

نظرت إليهما المرأة الغاضبة بابتسامة دافئة، ثم التفتت ربع التفاتة قبل أن تنفجر بالكلام من جديد:

- قاضي أو غير قاضي، لا يهمني. ستضعوني في الحبس؟ وليكن؛ لم يعد لدي ما أفقده.. وبرأيي أن بوسعكم فعل ما هو أفضل من ذلك. وعليه، فذلك الغبي إن كنت أريد له أن يصاب بالبواسير في الحلقة القادمة، فسيصاب بالبواسير في الحلقة القادمة، وليجهز المراهم، ذلك المخبول!

ثم أنهت المكالمة فجأة، ثم قالت وهي تمد يدها:

- صباح الخير، أنا النقيب "إيفا روزيير".

أجابتها "آن كابستان" وهي تصافحها بعيون لا تزال مدهوشة:

- المفتشة "آن كابستان".

"إيفا روزيير"، لابد أنها المفاجأة التي تكلم عنها "بورون". كانت قد عملت لسنوات في الإدارة العامة للشرطة الجنائية قبل أن تكتشف في نفسها موهبة الكتابة، ولدهشة الجميع، بيعت ملايين النسخ من رواياتها في أقل من خمس سنوات، وترجمت إلى أكثر من عشر لغات. ومثل أي ضابط شرطة فخور بنفسه، لم تُكِنُّ للقضاة أي احترام، ولم تكن تتردد في السخرية منهم كلما سنحت لها الفرصة، وكانت تستلهم شخصياتها من صلب النيابة العامة في باريس دون خجل أو تحفظ، ولم تكن تهتم كثيرًا بإخفاء هويات الشخصيات وجعل من لا يروقون لها محط سخرية.

بداية الأمر، كان القضاة يكظمون غيظهم بصمت، فأن تعترض يعني أن تكشف نفسك، فكان التكتم أفضل من التشهير، ثم اتصلت بها شركة إنتاج تليفزيوني، فأخذت إجازة بدون راتب من الشرطة لتخوض مغامرتها الكبرى والكتابة للتليفزيون، ومنذئذ، ومسلسل "المحققة لورا فلام (Laura Flammes, police judiciaire)" يحقق مشاهدات استثنائية في ساعة الذروة من كل يوم خميس على القناة الأولى، وحوالي ثلاثين قناة أخرى عبر العالم، وقد أوجد هذا النجاح المفاجئ بعض الحساسيات في الإدارة العامة للشرطة الجنائية، فأن يجد كتاب سيناريو ومخرجون من أمثال: "أوليفييه مارشال" أو "فرانك مانكوسو" الشهرةَ، فالأمر طبيعي، أما أن تملك امرأة آتية من ضواحي "ليون"، عقلًا راجحًا وقلمًا جميلًا، فذلك أمر كان من الصعب على كبار ضباط الشرطة الباريسيين تقبله.

والغريب، أن "روزيير" بعدما جمعت ثروة، طلبت أن تعود إلى السلك دون التخلي - مع ذلك - عن نشاطاتها كسيناريست، وكانت قيادة الشرطة مجبرة على قبولها، لكن ما كان مقبولًا قراءته في الروايات، أصبح صعب البلع على الشاشة الصغيرة، وقد أصبح الجمهور أعرض، علاوة على أنها أثارت - بعد مدة - استياء المدراء باستعراضها للملايين التي تملكها أمام زملائها في عقر دار الشرطة الجنائية بطريقة غير لائقة، والسخرياتُ التي كانت تمر على أنها نكات ساذجة تحولت إلى قضايا شخصية، فالمرء لا يغفر بسهولة للذين يحسدهم على ما في أيديهم.

وعليه، ومع بداية موسم جديد حقق فيه مسلسلها نجاحًا باهرًا، قامت مؤامرة حقيقية، وتحركت الإدارة لتحجيم الفنانة وتكميمها، وإن كانت "روزيير" هنا اليوم، فهذا يعني أن الإدارة قد ربحت الجولة. "كابستان" - من طرفها - كانت تتابع المسلسل بشغف، وكانت تجده مسليًا ومبهجًا رغم كل الانتقادات حوله.

ابتسمت "روزيير" لـ"كابستان"، ثم ألقت على "لوبروتون" نظرة نهمة. كان قوامه رياضيًا ونظرته ثاقبة بملامح رقيقة إنما رجولية.. ورجولية كاملة ما في ذلك شك، لولا ندبة عميقة وعمودية على طول خده الأيمن، كانت تفسد مظهره الهوليودي، وكشخص اعتاد أن يحدق الناس في وجهه، انحنى "لوبروتون" بلطف وصافح "روزيير"، فتوجهت هذه الأخيرة بالحديث إلى "كابستان":

- معي حمالان ينتظران في الأسفل، ومعهما مكتب أنتيكا طراز "أومبير"، أين بوسعي أن أضعه؟

- اممم...

استدارت "روزيير" لتتفحص ترتيب المكان، ثم أشارت إلى اللوح الموضوع فوق حوامل في زاوية الصالون، وقالت:

- هل يمكن أن أضعه مكان هذه الكراكيب؟

- ولم لا!

⊙⊙

في السادسة مساء، وقفت "كابستان" وسط البهو، مثل ربة منزل لم يلبِ أحد دعوتها إلى الطعام. لقد أرهقت نفسها في حفظ أربعين سيرة ذاتية عن ظهر قلب، لتجد نفسها مع ثلاثة عناصر شرطة ربما لن تراهم غدًا. وعلى كل حال، لم يكن في نيتها إجبارهم على الحضور، فجميعهم كان يرى تعيينه في هذه الفرقة عقوبةً ونهاية الطريق.

شارك "توريز" المفتشة شعورها بالعجز الصامت، اجتاز الصالون دون أن ينظر إلى زملائه. لم يرتح "روزيير" و"لوبروتون" لمروره، وقد اعترتهما مشاعر تمتزج بين الاندهاش والتشاؤم؛ كان "توريز" يهم بالانصراف وقد ارتدى جاكيتته الجلد ووضع يديه في جيوب بنطلونه القطيفة المقلم.

ترددت "كابستان"، ثم قررت أن تلعب على المكشوف وأن تجس النبض، فقالت للملازم:

- أنا سأكون هنا غدًا.. أما أنتم، فلستم مجبرين على القدوم.

بكل الأحوال، لم يكن لكلامها أمام فريق بهذا العدد القليل أي معنى حقيقي.

هز "توريز" رأسه بعناد، وقال بكثير من الهدوء:

- إنهم يدفعون لي لأداوم من الساعة الثامنة حتى الثانية عشرة ومن الساعة الثانية ظهرًا حتى السادسة مساء.

ثم نقر على ساعته بسبابته، وقال:

- أراكم غدًا.

ثم خرج وأغلق الباب وراءه.

التفتت "كابستان" نحو "روزيير" و"لوبروتون" منتظرة ردة فعلهما، فابتدرت "روزيير" الحديث:

- لن يدوم إقصاؤنا في هذه الفرقة أكثر من بضعة أشهر؛ لن أكون غبية وأدعهم ينالون مني باتهامي بمغادرة موقعي.

ثم شدت على طوقها، وراحت تتلمس السلاسل العديدة الغافية على صدرها الممتلئ، وهي في معظمها قلائد لقديسين، وقالت:

- بكل الأحوال، "توريز" هذا.. لديه مكتبه الخاص، أليس كذلك؟

أومأت "كابستان" برأسها موافقة، ثم ألقت نظرة على "لوبروتون"، فعبَّر هذا الأخير عن نواياه ببضع كلمات قبل أن يغطس من جديد فى صندوقه:

- لا بد من وجود قضية تستحق التحقيق هنا، سأتابع البحث عنها.

إذًا، سيبدؤون العمل بأربعة أشخاص، عوضًا عن العشرين الذين كانت ترجوهم المفتشة لكنها البداية فقط. انتاب "كابستان" شعور بالسعادة.

4

في اليوم التالي، تابعوا النبش بحثًا عن قضية لساعات بأكملها. كـانوا يأخـذون صـندوقًا من جبل الصناديق المرصوصة في الممر، ثم يـدققون في الملفـات أمـلًا في اكتشـاف حالـة تستحق تحقيقًا أكثر عمقًا، وكانت "روزيير" أول من عبر عن سأمها:

- حقًا أيتها المفتشة! هل سنسـتمر في التمحـيص في قضـايا سرقـة الموبـايلات إلى أن تحمر عيوننا؟

- هناك دائمًا احتمالات أيتهـا النقيـب، لم يرسـلونا إلى هنـا للبحـث عـن لا شيء. في الوقت الحالي، لا أدري، إنما لا بد من المثابرة.

لم تقتنع "روزيير" بالكلام كثيرًا، فوقفت أمام الحائط:

- تمامًا، تابعوا أنتم لعب لعبة "حادي بادي" تلك، أنا أنسحب، سأذهب للتسوق.

شاهدتها "كابستان" وهي تأخذ جاكيتتها بحركة استعراضية مسرحية.

الواقع أنه لم يكن من الصعب تمييز هذه المرأة من بعيد؛ فشعرها كان أحمر وهاجًا وشفاهها تلمع بالروج وجاكيتتها تتلألأ بالأزرق، وتساءلت المفتشة إن كان في خزانة هذه المرأة المبهرة أية درجة من درجات اللون البيج أو الرمادي.

- انتظري.

قال "لوبروتون" بصوت خافت، وقد فتح لتوه ملفًا على مكتبه.

اقتربت "كابستان" و"روزيير"، فأضاف:

- جريمة قتل.

وتابع وهو يشير إلى صندوق كُتب عليه "أورفيفر":

- كان تحت هذه. القضية تعود للعام 1993 وتتعلق برجل اسمه "يان جينان" قُتل بالرصاص، سحبه رجال الشرطة النهرية من نهر السين، كان عالقًا بمروحة أحد القوارب.

تأمل الضباط الثلاثة كنزهم، وبابتسامة تعلو شفاههم، وقفوا صامتين بإجلال لبضع ثوان، ثم اقترحت "كابستان" على "لوبروتون" إن كان يريد أخذ القضية على عاتقه، فالغنيمة لمن عثر عليها، فأجابها:

- بكل سرور!

سنرى إن كان السيد المتخصص في قضايا "الشؤون الداخلية" كُفْئًا للخوض في نهر السين والجثث التي تطفو على سطحه، مثلما كان في إدارة التفتيش العامة.

وكانت "كابستان" قد فكرت مسبقًا في كيفية ترتيب فرق العمل الثنائية في حال العثور على قضية ما، فهي لم تكن ترغب في "لوبروتون" إلى جانبها، في حين لا أحد يرغب في "توريز" إلى جانبه، وبوجود أربعة ضباط، فالحل بسيط، فتوجهت المفتشة بالكلام إلى "روزيير":

- أيتها النقيب، أنت وهو ستشكلان فريقًا.

فأجابت هذه الأخيرة وهي تفرك يديها الممتلئتين المزينتين بخواتم مختلفة الألوان:

- ممتاز! حسنًا، لنرَ، ماذا لدى الجثة لتخبرنا عنه؟

5

- هيا، تزوجيني.

حتى إن لم يكن يتحدث بصوت مرتفع، وكان يحاول أن يبقـي صـوته خافتًـا، إلا أن "جابرييل" لم يستطع أن يمنع كلماته من أن ترن في أرجاء مسبح "بونتواز"، فقد حملت طلبَه المياهُ، ثم ارتطم ببلاط الأرضية الزرقاء وعاد صدىً مترقبًا جواب "مانو".

كان حوض السباحة في منتصف الظهيرة فارغًا كليًة، الـلـهم إلا من بضعة زبائن دائمين ممن كانوا يسبحون جيئة وذهابًا دون كلل، وطالما بقي "جابرييل" و"مـانو" بعيـدان عـن مساراتهم، فلا أحد منهم يولي أهمية لأحاديثهما الصاخبة ولعـبهما بالمـاء. كانـت "مـانو" تسبح بطريقة الضفدع بمهارة عالية، رغم تخبط "جابرييل" حولها في محاولة لمجاراتها.

لاحت ابتسامة عبر المياه المنسكبة على وجهها:

- لا زلنا صغارًا يا "جابـ"...

"جابربيل" كان يحاول الإمساك باللحظة التي تخرج فيها "مانو" رأسها من الماء ليبدأ جملته.

- نعم... لكننا بالغون أيضًا.

- منذ أَمَدٍ ليس بالطويل، بالنسبة لك على الأقل.

فقال لها وهو لا يزال يشعر بالرضا الكبير عن نفسه بعد مرح الليلة الماضية:

- هل تريدين أن أثبت لك أنني بالغ؟

غطس قليلًا، واضطر للتخبيط ليستعيد توازنه، فسبقته "مانو" بمترين، لحق بها، وقال:

- إن لم تكوني تريدين أن تتزوجيني، فلنعقد قراننا بدلًا عن ذلك؟ أو لنعمل عقدًا مدنيًا؟ أو لنتبادل الدماء بواسطة سكين صدئة؟

- أنت حقًا لا تريد أن تنسى الموضوع، ها؟ سبق أن تحدثنا فيه ثلاثين مرة.

تجاوزا امرأةً عجوزًا تلبس بونيه سباحة من المطاط مزركشة بالورود، لم تطرف لها عين نحوهما؛ كان تركيزها كله على هدفها.

"جابربيل" أيضًا كان لديه هدف، ولم يكن في نيته الحياد عنه.

- بإمكاني أن أجثو على ركبتي، هل تعلمين؟ حتى في قعر المسبح، بوسعي أن أجثو على ركبتي، حتى لو شربت ماء المسبح كله، لكنك ستحصلين على المشهد الذي تريدينه، هل هذا ما تريدينه؟ عرضًا كبيرًا؟ تريدين خاتمًا في قالب الجاتوه، وحبات الفراولة في الشمبانيا؟

- هلاّ توقفت عن هذا، ستجعلني أغرق بسبب أوهامك هذه.

"مانو" كانت جميلة، كانت رائحتها زكيـة حتـى وهـي مغمـورة في بحـر مـن الكلـور، وكـان "جابرييل" مجنونًا بها. كان يمرح ويرشها بالماء كالعشاق الولهين في الأفلام الأمريكيـة الرومانسـية، لكن الواقع أن كل ذرة فيه كانت تنتظر جواب "مانو"، ولم يكن ذلك مضـحكًا بالنسـبة لـه عـلى الإطلاق، فهو يريد فعلًا أن يتزوجها، ولا يريدها أن تذهب أو تطير أو تختفي أو حتـى أن تبتعـد مسافة أمتار عنه، كان يريدها أن تبقـى إلى جانبـه دائمًـا وأن لا يفقـدها أبـدًا، وإن كانـت ورقـة تستطيع فعل هذا، فإن "جابرييل" يريد توقيعها ولو كانت بيضاء.

أضاف:

- هيا "مانو"، أنا أحبك، وسأبقى أحبك للخمسين سنة القادمة.

- ولكن.. لا يزال لدينا متسع من الوقت لدرجة...

نفض شعره مثل كلب ينفض عن نفسه الماء، كانت خصلات شـعره البنيـة المحمـرة تلتصق على جبهته:

- نعم، خمسون سنة، وسنبدؤها عندما تشائين.

وضعت يدها على حافة المسبح لتستعيد نَفَسَها وتتفحص فتاها قليلًا.

بالنظر في عينيها، التي كان يدرك أدنى تحول فيهما، عرف أنها كانت ستقول نعم. جمـع كـل حواسه وحفَّز ذاكرته متأهبًا؛ عليه تسجيل هذه الدقيقة، لقد نسي في حياته الكثير مـن الـدقائق الثمينة التي تلاشت دون أمل في استعادتها، لدرجة أنه يشعر أن عليـه أن يـنقش هـذه اللحظـة فلا تغيب عن باله أبدًا.

- حسنًا، لنفعل ذلك.

ثم أضافت بعد برهة:

- موافقة.

⊙⊙

عاد "جابرييل" إلى البيت وقلبه يطير فرحًا. كان سيعلن الخبر لأبيه. وصل شارع "بومارشيه"، بضعة أمتار أخرى وسيكون في المنزل. كان لا يزال يقفز وينط، لكنه كان يشعر مع كل قفزة بكرة رصاصية ترتطم بمعدته، كلما اقترب أكثر، كلما ازداد حجم الكرة، كان الأمر مزعجًا مثل حصوة في الحذاء أو "زغطة" ستذهب من نفسها، لم يكن يدري ما سبب ذلك، لكنها ستذهب من حالها.

أصبحت الكرة بحجم كرة البولينج. ضرب الجرس ضربة خفيفة قبل أن يفتح بمفتاحه، كان أبوه جالسًا في كرسيه طراز "فولتير" الكلاسيكي، التفت نحوه ونهض لاستقباله. كان أبوه ضخمًا وقويًا ومهيبًا، كان أشبه بكاتدرائية، نزع نظارته وكان يستعد لسؤاله عن أخبار يومه مثل كل يوم، فابتدره "جابرييل" صائحًا دون مقدمات:

- أبي! لقد قبلت "مانو" أن تتزوجني.

بدا أنه سيبتسم، لكنه لم يتفاعل حقيقة مع الخبر.

شعر "جابرييل" أن الخبر قد فاجأ أباه قليلًا، وأنه أُخذ على حين غرة؛ لا بد أنه يراه يافعًا وليس أهلًا الزواج بعد.

- نريد عقد القران في الربيع إن كان ذلك ممكنًا.. ويلزمني دفتر العائلة.

انزعج الأب لوهلة، ونَمَّت عنه حركة تشنج مفاجأة، وشعر "جابرييل" أن أباه قد ذهب بعيدًا في أفكاره، بعيدًا جدًا.

6

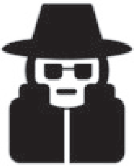

كانت "آن كابستان" تهم بـدخول مـا باتـت تسـميه قسـم الشرطـة الخصـوصي، عنـدما التقت برجل ضخم أصلع يرتدي بدلة زرقاء، لحيته محلوقة بشكل سيئ جـدًا، وربطـة عنقه مليئة ببقع طعام مضى عليها أكثر من يـوم، وعـلى ظهـر جاكيتتـه شـعار جمعيـة "نادي ليون" الدولية، وكأنه وسام شرف.

حنى الرجل رأسه باحترام، وقال وفي يده كوب من البلاستيك:

- النقيب "ميرلو"، في خدمتكم، هل لي أن أتشرف باسمكِ؟

فأجابت "كابستان"، وقد حبست أنفاسها قدر الإمكان لأن الجـو كـان معبـأ برائحـة النبيذ الأحمر القوية:

- المفتشة "كابستان"، صباح الخير أيها النقيب.

فتابع "ميرلو" حديثه بنشاط غير عابئ بالتسلسل الهرمي:

- الشرف لي يا عزيزتي. لدي موعد لا أستطيع التخلف عنه أو التأخر، لكنني أتطلع للتعرف عليك قريبًا بشكل أوسع لأنني...

استفاض "ميرلو" لعدة دقائق في إظهار أهمية موعده وقيمة أصدقائه، ثم وضع كوبه على كومة الصناديق التي في الممر، ووعد أن يعود ما أن تسمح له مشاغله بذلك. أشارت "كابستان" بالموافقة كما لو أن حرية الحضور أو عدمه أمر مفروغ منه، ثم دخلت إلى الشقة وفتحت الشبابيك للتهوية.

بحثت المفتشة في ذاكرتها عما تذكره عن "ميرلو"، النقيب "أبو قلم" كما كان يصفه ضباط الشرطة العاملين في الشوارع الذين يتقدم بهم العمر فيكلفون بأعمال مكتبية، وها هو "ميرلو" بعد ثلاثين عامًا قضاها في شرطة الآداب، مركون على الرف. الرجل مشهور بإدمانه الكحول، وهو ثرثار لا يشق له غبار، كان يمضي أغلب وقته متسكعًا، لكنه موهوب في التعامل مع الآخرين. كانت "كابستان" ترجو أن يعود حتى يزيد عدد أفراد فريقها بعد أن ينتهي من مواعيده الكاذبة ومعه بضع حبات أسبرين. بانتظار ذلك، كان عليها البدء في تنشيط فريقها الرباعي، لا سيما إقناع "توريز" بالعمل معها في دورية مشتركة.

كانت "كابستان" قد عثرت - ليلة أمس - في واحد من صناديق الجرائم الجنائية، بين ملفات الانتحار وحوادث الطرق، على ملف مثير للانتباه؛ امرأةٌ قُتلت خنقًا خلال عملية سطو، لم يتم العثور على الفاعل والقضية تعود للعام 2005، لكن الحالة تستحق إعادة فتح التحقيق.

قبل أن تعود إلى بيتها، وضعت "كابستان" نسخة من الملف فوق مكتب "توريز" لتمهيد الطريق، فإن جاء كما وعد في الساعة الثامنة

ليتمركز على مكتبه في نهاية الممر، فلا بد أنه يقرأ الملف الآن، لكنها لم تكن واثقة كثيرًا في أن هذا ما سيحصل.

حيَّت "كابستان" "لوبروتون" باقتضاب، وكان يتعارك مع كومة من الأسلاك لتوصيل جهاز الكمبيوتر بالإنترنت. وضعت حقيبة يدها ومعطفها على كرسي بجانب مكتبها، وبحركة آلية مدت يدها إلى حزامها لإخراج مسدسها الـ"سميث وويسون بودي جارد" من جعبته، سلاح خمس طلقات مدمج وخفيف، كان يطلق رصاصًا خاصًا عيار 38، أهداها إياه "بورون" احتفالًا بتعيينها مساعدة له عندما كان رئيس قسم مكافحة العصابات، لكن المسدس لم يعد في مكانه منذ أن مُنعت "كابستان" من حمل السلاح، فتظاهرت - تجنبًا للإحراج - بأنها تعدِّل حزامها ثم أشعلت مصباح المكتب.

توجهت إلى المطبخ حاملةً معها كيس التسوق الأحمر الكبير الذي دخلت به، أخرجت منه جهازًا كهربائيًا لصنع القهوة، وعلبة فيها ستة فناجين مع صحونها الصغيرة، وأربعة أكواب وكؤوسًا وملاعق، وثلاثة عبوات من القهوة المطحونة وبعض السكر، وسائل منظف، وإسفنجة، ومنشفة مكتوبًا عليها "أجبان فرنسا"، وعلى مضض، عرضت فنجان قهوة على "لوبروتون" لكنه رفض. في المرة القادمة، لن تعرض عليه.

أخيرًا، جلست إلى مكتبها وبيدها كوب من القهوة لتدرس جريمة "ماري سوزيل" - 76 عامًا - التي قُتلت في يونيو 2005 في بيتها الواقع في 30، شارع "مارسو"، في بلدة "إيسي لي مولينو". فتحت "كابستان" الملف، وكانت الصورة الأولى كفيلة بفصلها عن العالم.

كانت المرأة العجوز جالسة بكل وقار على كنبتها، كانت مزرقة ولطخات حمراء متناثرة على عينيها وعظام وجنتيها، وجزء من لسانها بارز بين شفتيها مع نظرة رعب متجمدة على وجهها المحتقن، لكن شعرها كان مصففًا بشكل جميل، ويداها مرتاحتين الواحدة فوق الثانية بهدوء، كان مشبك الشعر الذي على شكل سمكة قد وُضِع العكس.

أما حول الضحية المرتبة جيدًا، فكل شيء كان متناثرًا كما لو أن انفجارًا قد حدث في المكان بكلِّ معنىً للكلمة؛ كانت التحف قد وقعت من على الرفوف، والأرضية مليئة بحطام مجسمات الحيوانات البورسلين. في مقدمة الصورة، كانت بقايا مقياس حرارة - وردي اللون على شكل كلب "الكانيش" - يشير إلى طقس معتدل، وكانت باقة من أزهار التوليب الخشبية منثورة على السجادة، وعلى الطاولة الصغيرة، كانت باقة أخرى من الأزهار الطبيعية هذه المرة تسخر من سابقتها وهي في مزهريتها المملوءة بالماء، والتي - للعجب - لم تقع على الأرض.

الصورة الثانية كانت تعرض زاوية أخرى للصالون، كانت أقراصًا مدمجة، وكتبًا من كل الأحجام ملقاة أمام مكتبة من خشب السرو، ومقابل الكنبة، كان جهازُ تليفزيون من الطراز القديم ذي الشاشة البارزة، مفتوحًا على قناة "ناشيونال جيوجرافيك". كان ثمة تفصيلة صغيرة أثارت انتباه "كابستان"، فبحثت في حقيبتها عن عدستها المكبره القابلة للطي، أخرجت العدسة الصغير من علبتها، وركزت الإطار الفولاذي المصقول على شاشة التليفزيون. على الزاوية اليمنى في الأسفل،

كان ثمة رمز ما؛ إنه رمز مكبر الصوت وعليه علامة X""، التليفزيون كان موضوعًا على "الصامت".

أبعدت "كابستان" المكبر، ثم نشرت عدة صور على مكتبها لتتكون لديها صورة شاملة - الجاني لم يبحث إلا في الصالون وغرفة المعيشة، حيث كل شيء مقلوبًا رأسًا على عقب، والحمام والمطبخ وغرفة الضيوف كانت على حالها، لم يمسها شيء.

تصفحت المفتشة سريعًا تقارير الشرطة.. تم كسر قفل الباب الرئيسي. تناولت "كابستان" رشفة قهوة ثم فكرت للحظة.. عملية سطو؛ إن كان التليفزيون موضوعًا على "الصامت"، فهذا يعني أن "ماري سوزيل" كانت تشاهده؛ لا أحد يذهب للنوم وتليفزيونه شغال، لقد سمعت صوتًا، فقطعت الصوت حتى تسمع جيدًا - مؤكدٌ أنها فاجأت اللص لحظة وصوله إذ يمكن رؤية الصالون من البهو، ولكن بدلًا من أن يهرب مثل أي سارق آخر، قتلها، ثم أجلسها وقام بتسريحها من جديد؛ بالنظر إلى شعرها المصفف ومشبك الشعر الذي وُضع معكوسًا، ثم قام بقلب الصالون بحثًا عن المال من دون شك، والغرفة حيث اختفت المجوهرات.

قلَّبت "كابستان" المكبر بين يديها - هذا اللص يبدو لها غير متزن وغير منطقي؛ إنه عصبي - هذا مؤكد - مدمنٌ أو مبتدئ ربما، وهو ما يعقد التحقيقات دائمًا، ثم بدأت بقراءة تقرير الطب الشرعي ومحاضر الحادثة.

"ماري سوزيل" ماتت مخنوقة؛ تم العثور على جثتها متأخرًا، ربما بعد أسبوعين من موتها، لم يستطع الطبيب الشرعي تحديد لا ساعة الوفاة ولا

اليوم الذي تمت فيه، وقد سجل وجود تـورُّم عـلى السـاعد الأيمـن، ربمـا كـان جـراء حركـة دفاعية، إنما لم يعثر على أي أثر للجلد تحت الأظافر.

من ناحيته، لم يعثر فريق الأدلة الجنائية لا على حمضٍ نوويٍّ ولا بصمات في المكـان، عدا عن بصمات الضحية وخادمتها التي كانت في منطقة "لافاندو" وقت وقوع الجريمة تحت المطر، لأن "بعض الناس ليس لديهم حظ" حسب ما قالت، وهـي تعنـي الأمطـار وليس الجريمة.

ورغم توصلهم سريعًا إلى استنتاج أن العملية عملية سـطو خرجـت عـن السـيطرة، قامت فرقة البحث الجنائي بالبحـث في احـتمالات أخـرى: كشـوفات التليفونـات تظهـر اتصالات عائلية قصيرةٍ في أغلبها، أرقام إدارية، بضعة أصدقاء - لا شيء ملفـت، ولا شيء استثنائي على مستوى حركة الحسابات المصرفية كذلك، مع أنها كانت تملك رصيدًا كبيرًا.

إحدى صديقاتها تحدثت في شهادتها عن غنى حياة "ماري سوزيل" الاجتماعيـة، لا سيما عشقها لرقص التانجو: "رافقتني "ماري" في أحد الدروس منـذ سـنة وقـد أحـدث ذلك ثورة في حياتها، فأصبحت تأخذ دروسًا لعدة ساعات أسـبوعيًا، وكنـا نـذهب كـل خميس إلى مطعم "بالاجو" للرقص. كانـت ترتـدي ملابـس غـير معقولـة مثـل: تنـورة مفتوحة، ولباس الرقص الضيق مكشوف الكتفين، كانت ترتدي ملابس جميلة حتـى في عمرها هذا... نعم، كانت موهوبة ومرحة، حتى وهـي تـرقص لم تتمالـك نفسـها مـن الدندنـة مـع الموسـيقى: تـام تـام تـادام، تـادادادام، تـام تـام تـام تـادام... والحـق أن ذلـك كـان يـزعج شركاءهـا في الـرقص قلـيلًا". لا بـد أن ذلـك كـان يـؤثر عـلى تنـاغم

الحركات التي يتطلبها الرقص اللاتيني ويفقدها شيئًا من سحرها، ابتسمت "كابستان" وهي تتخيل سحنة العجائز المتصابين المتعضين.

جار الضحية "سيرج نولان"، 56 عامًا، هو من أبلغ السلطات، فقد طلب منه أخو الضحية "أندريه سوزيل"، 68 عامًا، الذي يسكن في بلدة "مارساك" في منطقة "الكروز"، أن يذهب للاطمئنان إن كان كل شيء على ما يرام، وقد أقلقه عدم إجابة أخته على رسائله. دق "نولان" الجرس مرارًا دون جواب، وبما أن "رائحة مقززة كانت تنبعث من الداخل"، اتصل بالمطافي والذين اتصلوا بالشرطة.

محضر أقوال الأخ يحتل ورقتين فقط، لكن ملحق المحضر يصف الرجل على أنه غاضب وفظ، وله سوابق في العنف الأسري. كان الأخ مناسبًا جدًا لقفص الاتهام، ومع ذلك تم استبعاده لعدم وجود أدلة ضده؛ لم يكن لديه دافع ظاهر، وكان بعيدًا عن مكان الجريمة، وليس في حسابه المصرفي أية مصاريف تشير إلى أنه سافر خارج منطقة سكنه، فركز الضباط في قسم التحقيقات الجنائية على اللصوص الذين كانوا نشطين في ذلك الوقت، لكنهم لم يتوصلوا إلى شيء.

كان عليهم الانطلاق من الصفر، من زيارة لمكان الجريمة واستجواب الجيران، فربما تذكر أحدهم أمرًا ما، بعد مرور سبع سنوات، فوقوع جريمة في الجوار أمر لا يُمحى من الذاكرة بسهولة.

كانت "كابستان" تهم بالنهوض لتنادي على "توريز" عندما لمحت رأسًا تتلفت بفضول في البهو، كان شابًا طويلًا ونحيفًا، ذا شعر خفيف أشقر، ألقى نظرة من المدخل، حيَّاها بيده، ثم غادر بالفظاظة نفسها. عرفته المفتشة؛ إنه العميد "لوويتز" المنقول من مكتب الشرطة الجنائية

في مدينة "نانتير" بعد أن تسبب بإتلاف ثلاث سيارات في ثلاثة أشهر. مع "ميرلو"، أصبح هو ثاني إنسان يختفي بأسرع مما ظهر، ولا زلنا في الفترة الصباحية، على هذه الوتيرة، ربما فاضت فرقتها بالعناصر، حتى إن كانوا عناصر فاشلة لا يعتمد عليها، لقد أصبحوا سبعة.

كان "لوبروتون" يضع التعليقات على ملف "يان جينان" بانتظار أن تُشرِّف "روزيير" بطلتها البهية، وقبل أن يقلب كل صفحة، كان يضرب لا شعوريا بقلمه على المكتب كما يفعل ضارب الطبل، دون أن تبدر عنه أية حركة عصبية أو انفعال، مطلقًا؛ لقد عمل مفاوضًا في فرقة التدخل السريع لعشر سنوات قبل أن ينتقل إلى إدارة التفتيش العامة؛ هذا رجل لا يمكن إثارته بسهولة، إنه كتلة من التبلد والبرود، تعتريه أحيانًا نزعة غطرسة وقد تجاهل مرور "كابستان".

وقفت المفتشة أمام باب توريز، وكان ينساب من خلال الباب صوت المطرب "دانييل جيشار" وهو يغني واحدة من أغانيه المشهورة. نقرت على الباب، ومرت ثلاث ثوان كاملة قبل أن تسمع "نعم"، وكانت ذلك بمعنى "من هذا الذي جاء يزعجني، ولماذا؟"، فتحت الباب وهي عازمة على أن تزعجه فعلًا وأن تريه أنها المسؤولة هنا.

كان مستلقيًا على كنبة بنية مخملية لم تكن هنا مساء أمسِ، وتعجبت "كابستان" كيف تدبر أمر جلبها إلى الطابق الخامس؟ على الجدار، ثبت الملازم بدبابيس رسمًا طفوليًا يمثل شمسًا وكلبًا أو قطة، أو ربما هو حصان.

وبالنظر إلى ملف القضية على ركب الضابط، يبدو أنه وصل في قراءته إلى نهايته، فقالت "كابستان" معلنةً:

- سأذهب إلى "إيسي"، هل ترافقني؟

فأجاب دون أن يرفع رأسه عن الصفحة:

- لا تسيئي فهمي، لكنني لن أذهب مع أحد إلى أي مكان.

على مكتب الشرطي المتجهم، لاحظت "كابستان" علبة أقلام رصاص مغلفة بورق ألومنيوم، وفي وسطها وردة ملونة بطلاء أظافر أحمر كُتب عليها "عيد سعيد بابا"، فقالت "كابستان" بصوت لطيف منهية الجدال وهي تكبت ابتسامتها:

- بل ستأتي؛ في الواقع، إن كنت ترغب بالعمل في التحقيق من الساعة الثامنة حتى الثانية عشرة ومن الثانية بعد الظهر حتى السادسة مساء، فعليك أن تأتي معي، أنا رئيستك.

لم تكن "كابستان" ترغب كثيرًا في استعراض قوتها، لكنها كانت بحاجة إلى شريك في فريقها للعمل وليس لديها سوى "توريز"، وسواء أعجبه الأمر أم لا، فعليه الاعتياد عليه.

تفحصها "توريز" للحظة، ثم ارتسمت على وجهه تعابير المؤمن بالقدر، نهض متثاقلًا وأخذ جاكيتته الجلد، وقال وهو يمر أمام "كابستان" بصوت كئيب:

- ليس أنا أبدًا من ينتهي به الأمر في المستشفى.

فردت عليه بالنغمة ذاتها:

- إن متُّ في نهاية الأسبوع، فسيقولون إنني كنت مخطئة.

جزيرة "كِي ويست"، جنوب "فلوريدا"

الولايات المتحدة 18 ديسمبر 1991

كان "ألكسندر" يرتشف كأسًا من شراب الروم مع كثير من الثلج على الشرفة الخشبية لبيته، وهو بناء أبيض على الطراز الكولونيالي الغني بالزخارف المعمارية، كانت برودة الكأس تجعله ينزلق بين أصابعه، وإلى جانبه جلست "روزا" الحامل في شهرها الثامن، تشرب عصير الليمون. كانا يستمتعان بالحركة الرتيبة للكرسي الهزاز، والصوت الخافت لحركة باب الناموسية، ورائحة نبتة الجهنمية المتسلقة، لكن "روزا" وهي المفعمة بالنشاط عادة، بدأت تشعر بالملل الشديد على وسادتها المبطنة؛ كانت تريد أن تتنزه قليلًا، حتى لو في الشارع المقابل فقط.

افتُتِح مُتحف جديد فأحبت القيام بجولة هناك. كانوا يعرضون في جناح "الكنز" قسمًا متواضعًا من الغنيمة التي استخرجها "ميل فيشر" الشهير من حطام سفينتين شراعيتين إسبانيتين. "ألكسندر" كان غطاسًا أيضًا، ولم تكن فكرة أن يدفع مالًا ليتأمل رجلًا مزهوًا بشخصه يعرض جزءًا من ثروة تقدر بأربع مئة مليون دولار لتغريه أبدًا، لكن "روزا"، كنزه المتألق الذي لا مثيل له، كانت مصرة.

لم يكن "ألكسندر" ليمل من تأمل زوجته إطلاقًا. "روزا" الكوبية التي أصبحت ابنة فلوريدا مثلها مثل آلاف اللاجئين الذين فروا من حكم "كاسترو"، لم يكن جمالها في حد ذاته هو ما يمكن أن يتحدث عنه الناس، بل شيء يكاد لا يُحس في إيماءاتها ولفتاتها، شيء في تدفق الحياة في حركاتها، كان "ألكسندر" يشعر بفراشات في بطنه كلما رآها، وكان يرى في حركاتها ولفتاتها انسجامًا كاملًا مع حركاته هو ولفتاته هو، كانت نظرتها تحمل معانٍ كثيرة، كان فيها خليط من السلطة والحزن، لدرجة تذهله، وكانت تنتظر طفلًا منه، طفل سيربطهما ببعضهما البعض لقرون وقرون، فإن كانت تريد تجاوز حشود السياح بثيابهم الرثة والمتعرقين ليقعوا في فخ "ميل فيشر"، فليكن، سيذهب معها.

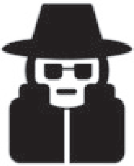

7

صاحت "روزيير" بتذمر وهي تبحث عن تليفونها:

- عليكِ اللعنة.. شنطة غبية!

وضعت حقيبتها ماركة "لوي فيتون" الأصلية على مدخل السُلَّم وأفرغت محتوياتها بغضب، ثم وبعد أن عثرت على تليفونها المحمول، مررت قائمة الأسماء حتى وصلت لرقم "لوبروتون".

- مرحبًا... أنا "إيفا"، سأتأخر عمَّا اتفقنا عليه. كلا، كلبي قرر إزعاجي، منذ نصف ساعة وأنا أنزهه وهو لا يريد التبول. كلا، لا حاجة لبيطري، أنا أعرفه، صحته جيدة، كل ما يريده هو إثارة أعصابي، لا يريدني أن أذهب.

ثم أضافت موجهة الكلام لكلبها:

- هييه... "بيلو"! هل تعتقد أنني سأنزهك حتى آخر الدنيا؟

من سحنته المبتهجة وأقدامه الكبيرة، بدا أن "بيلوت" - أو "بيلو" كما كانت تدلعه - مستعد للانطلاق؛ ظنًّا منه - على ما يبدو - أن ليس لدى صاحبته شيئًا تفعله أفضل من أن تصحبه إلى آخر الدنيا.

على الطرف الآخر من الخط، أعلمها "لوبروتون":

- قمت ببعض الأبحاث عن البحَّار.

- آها.

"روزيير" كانت تمشي وهي تهز حبل الكلب هزات خفيفة لتحرض "بيلو"، عبثًا، كان يشمشم ويشمشم دون نتيجة.

- قل لي "لوي بابتيست"، هل يزعجك إن التقينا عندي في البيت وليس في القسم؟ هكذا، بوسعي أن أنزه هذا العاصي فترة أطول، وأنت تحكي لي قصة البحَّار، مع فنجان قهوة...

- أين تسكنين؟

- في الرقم 27، شارع السين.

- حسنًا، سأكون عندك خلال ربع ساعة.

- يبدو البناء وكأنه عمارة من الخارج.

ولأنها ثرثارة بطبعها، أضافت:

- لكن الواقع هو أنه منزل مستقل، فما عليك إلا ضرب الجرس.

عشية تلك الليلة، مرت "إيفا روزيير" على موقع تصوير مسلسل "المحققة لورا فلام"، وما كان يجدر بها الذهاب، هي تعرف ذلك لأنها في كل مرة تذهب تشعر بجرح في كبريائها، لكنها لم تستطع المقاومة لأنها في كل مرة تذهب ترجو أن يستقبلها العاملون في موقع التصوير استقبال النجوم، وسط الكاميرات، كانت ترجو دائمًا أن يتلقاها الممثلون بابتسامة عريضة عرفانًا بكل تلك النكت اللطيفة في قفلات الحوارات؛ أن يحتفل بها المخرج، وهو السعيد بالعمل على مشاهد ذات أحداث مبتكرة كالتي تكتبها، ولكن كلا، لم يحدث هذا إطلاقًا، لقد حققت ستة مواسم ناجحة، ثم أصبحت من الأغنياء بفضل عقد رائع حصلت عليه بفضل شطارة وكيل أعمالها، أمَّا في موقع التصوير، فالكل يستقبلها بتكلف، كما فعل المخرج أمس، كمن يطلب من عجوز خَرِفَة أن تعود إلى غرفتها، أمَّا المعاملة المميزة، فهي للممثلات، وما على السيناريست إلا أن يكتب النصوص، وأن يبقى بعيدًا بمفرده أمام لوحة مفاتيحه، فلا يزعج الناس.

"روزيير" كانت وحيدة، وعليها الاعتراف أن ذلك الشعور كان يخنقها، وأن حل المشكلة لم يكن في الكتابة، لم تكن تتصور أن فراغًا كهذا سيحدث في حياتها. في بداياتها المباركة كمؤلفة، كانت لا تزال أمًا وشرطية، حياتها الاجتماعية كانت لا تزال براقة، كان النجاح قد سيطر عليها كلية، ومعه جاءت سطوة المال أيضًا. كانت قد فقدت أبويها ولم يكن لديها زوج، لكن ابنها "أوليفييه" كان لا يزال يسكن معها بانتظار الحصول على شهادته في العلاج الطبيعي، كان يرمي أغراضه في زوايا الشقة الأربعة ويطبخ طعامه كل مساء بفرح بادٍ لا يخفيه. فيما يتعلق بروتين العمل المهني، كانت حياتها وسط القيادة العامة للشرطة مثل السمك في الماء، فهي مصدر لا

ينضب للمعلومات، وبوسعها لقاء عناصر الشرطة العاملين في الميـدان مـن كافـة الأقسـام، وهناك، كان لديها زملاء وكراسي مكاتب وأصداء وثرثـرات مـن جهـة، واعـتراف بالجميـل، ومنزل دافئ من الجهة الأخرى، كانت عيشتها هنيـة، لكنهـا لم تسـتطع مقاومـة المراهنـة بكل ذلك في سبيل التليفزيون وأمجاده، فأخذت إجازة بدون راتب.

فجأةً، لم تعد تفعـل أي شيء سـوى الكتابـة، مـن الصباح حتـى المسـاء، ثـم كتبـت مسلسلًا تليفزيونيًا ضخمًا استنفد كل ما تملكه من مخزون أفكار، ولم تُبقِ قطـرة إبـداع واحدة تجري في عروقها. لم تكن تدري أن مغادرتها للسلك يعني التخلي عن الأصـدقاء، وقد أصبحت لوحة المفاتيح زميلها الوحيد، وليس لـديها سـوى الشاشـة للثرثـرة عبرهـا، وأصبح ابنها "أوليفييه" الخيط الوحيد الذي يربطها بالعـالم، وقـد ضـعُف ذلـك الـرابط بشدة بعد أن انتقل إلى مدينـة "بابيـت" في "تـاهيتي"، ووفقًـا للخـرائط التـي راجعتهـا "روزيير"، فـ"تاهيتي" هي أبعد نقطة يمكن للمرء أن يسافرها من باريس، وحصـل أنهـا البلد التي اختارها ابنها للعيش فيها.

في آخر سنة من إجازتها بدون راتب، لم تعد ترى أحدًا إلا نادرًا من أجل توقيع عقد أو تقديم بيان، لم تعد تزور أحدًا أو يزورها أحد لمجرد التسلية والدردشة، فهنـاك دائمًـا سبب وراء أي لقاء أو عمل. صباحًا لم تكن ترى أحدًا، بعـد الظهـر لم تكـن تـرى أحـدًا، وكانت تعلم أنها ستعود في المساء - بعدما تذهب لشراء الخبز - ولن يكـون بانتظارهـا أحد عند عودتها؛ كانـت أيـام الأسـبوع كلهـا آحـاد، مـا الفائـدة إذًا مـن النجـاح، إن لم

يكن هناك من يشاركنا بذلك ونتفاخر أمامه بما حققناه؟ كانت حياتها تشبه أكثر وأكثر إعلانًا ضد مخاطر العزلة، فقررت العودة إلى الشرطة.

هناك، كان لديها ما يكفي لملء يومها وخزّانَ الإلهام معًا، فعاد كل شيء للحياة من جديد. هنا، بوسعها أن تزعق دون أن تطرد - هذا على الأقل ما أعتقدته - إلى أن تم نفيها إلى هذه الفرقة، وعلى الرغم من ذلك، هي متفائلة بالعمل هنا؛ على الأقل، وجود أربعة أشخاص فقط في المكتب يعني أن بوسعها الثرثرة على راحتها.

استعلمت "روزيير" عن "كابستان"، لكن ما سمعته من شائعات وأقوال هنا وهناك لم يشف غليلها، هي لم تكن مستاءة من العمل مع المفتشة، تلك التلميذة النموذجية التي يحدث قد تكسر القواعد من وقت لآخر، الفتاة الناعمة نعومة الكلاشينكوف، إنها مادة رائعة لتكون بطلة سيناريو.

من عادة "روزيير" ألا تميل كثيرًا إلى البورجوازيين، لكن هذه المرأة كان فيها شيء مثير، عليها الاعتراف بذلك، كما أنها لم تكن من النوع المتعِب؛ كانت تمتلك سلطة طبيعية، قوة إرادة حقيقية، إنما ليس من النوع الذي يعرقل عمل الآخرين، وقد تبنت "توريز" واختارته شريكًا في حين كان بوسعها تجاهله، وهذا دليل شجاعة، كما أن "روزيير" سعيدة بشريكها هذا الـ"دون جوان" من إدارة التفتيش العامة، فهو أفضل من المنحوس بكثير، وعلاوة على كل هذا، ملف البحّار المقتول يبدو واعدًا.

لم تكف عن التفكير في القضية لحظة واحدة، فكانت النتيجة أنها لم تستطع كتابة سطر واحد طوال الصباح، صحيح أن لديها مخزونًا لبضع حلقات قادمة، لكن المؤلفين لا يحبون الجلوس أمام الشاشة البيضاء

والتحديق فيها دون إلهام، فاستبسلت "روزيير" حتى استطاعت كتابة بضعة أسطر، وقد أخر ذلك الجولة الثانية من المفاوضات مع الكلب، وهو ما دفعه للإضراب، فهو لا يحب الإخلال بالمواعيد.

كيف يمكننا التحقيق في قضية عمرها عشرون عامًا؟ الملف كان هزيلًا، والمحققون الذين عملوا على القضية وقتها قاموا بعملٍ غايةٍ في السوء، عمل أناس كسالى حقيقيين! فمحاضر الاستجواب ناقصة ولا خيوط جديدة قد تقود إلى شيء ما.

توقفت "روزيير" في منتصف الرصيف، أخرجت سيجارة وأشعلتها بقداحتها ماركة "دوبون" الفاخرة الذهبية المنقوش عليها اسم بطلة مسلسلاتها "لورا فلام"، أخرجت الدخان من أنفها - موت بحّار عاطل عن العمل لم يثر اهتمام الناس كثيرًا، أرملته تسببت في بعض الجَلَبَة في بداية الأمر، ثم بدأت تسرف في الشراب، واليوم، ربما لا تزال المسكينة غارقة في الشراب والناس لا تزال على لامبالاتها. تخيلت "روزيير" مشهد الأرملة بوجهها المحمر من أثر السكر، ثم تخيلتها ضمن إطار تليفزيوني بحثًا عن حوار تبرز به تلك المشاعر دون المغالاة في الدراما، و"بيلو" الكلب، استغل انشغال صاحبته وقضى حاجته.

كانت "إيفا روزيير" لا تزال تتأمل سيجارتها، عندما ظهر لها "لوبروتون" بأكتافه العريضة من بعيد، يا له من رجل! ماذا يفعل في هذه الفرقة الحقيرة؟ إذ لا يبدو وضعه مزريًا جدًا. سحقت عقب سيجارتها تحت حذائها ماركة الـ"لو بوتان".

سبقها "لوبروتون" بالحديث وهو يشير بذقنه إلى الكلب:

- لا جديد؟

- بلى، لم تلهمه تلك الشجرة، فقد جعلني ألف الحي بأكمله ليأتي أخيرًا ويتبول على سُلَّم البيت. المهم، هيا "بيلو"، أين النظافة؟

لَدَى سَمَاعِهِ هذه الكلمات، قفز الكلب فوق الحصيرة أمام الباب، وقام بعدة دورات حول نفسه، إلى اليسار ثم إلى اليمين ومن جديد، وهو ينظف أقدامه على السجادة الصغيرة.

هنأت "روزيير" كلبها ثم توجهت إلى "لوبروتون" بالكلام:

- هل نشرب القهوة؟

⊙⊙

جلسا على الكنبة الكبيرة من الجلد الأبيض في الركن، وملف "جينان" مفرود بعناية على الطاولة الزجاجية. قلّب "لوبروتون" قهوته ووضع الملعقة على صحن الفنجان، ثم انتقل مباشرة إلى تقديم ما لديه بصوت رصين:

- حسنًا، لدينا "يان جينان"، وهو ضابط بحار في سفينة تجارية، أمضى فترة قصيرة عاطلًا عن العمل، ثم اشتغل على المراكب السياحية في نهر السين، تزوج في عمر الثلاثين من "مائيل جينان"، ستةٌ وعشرون عامًا، وهي مربية أطفال، ولديهما طفل اسمه "سيدريك"، خمس سنوات، عاشوا في شارع "مازاجران"، في الدائرة العاشرة في باريس غير بعيد عن بيت أخت زوجته.

أمسكت "روزيير" بإحدى الصور بالأبيض والأسود، وقالت:

- نعم، عندما انتشلته الشرطة النهرية كان قد مضى عليه وقت تحت الماء وقد بدأت الأسماك تنهش في جسده الذي ابيض حتى أصبح كقنديل البحر. يا إلهي! لا بد أن قلوبهم قوية جدًا هؤلاء الرجال، أنا لا أستطيع لمس أشياء كهذه. أما ساعة الجريمة، فقد عُينت في حدود الأسبوع تقريبًا.

- بوسعنا الاعتماد على إعلان زوجته عن غيابه.

- هذا يعني أنه تُوفي يوم 3 يوليو 1993، مبدئيًا، وآخر مرة شوهد فيها حيًا، كان خارجًا من مقهى بالقرب من رصيف "برانلي".

- وهو ميناء بعيد عن بيته.

فقاطعته "روزيير" وهي تتلمس لا شعوريًا العقد حول رقبتها:

- لكنه قريب من النهر.

- هذا صحيح.

- لكن تمهل، الجريمة حدثت عام 1993، ألم تسقط بالتقادم؟

- كلا، ففي عام 2003 قدمت أرملته اعتراضًا وقدمت أدلة جديدة، والتي تبين أنها لم تكن جديدة حقيقة، لكنها عُرضت على قاضي التحقيق فتم إعادة فتح القضية وحصلت على عمر جديد.

توقف "لوبروتون" لوهلة، ثم استند راجعًا بظهره إلى الكنبة، قبل أن يضيف:

- أي أنه بقي لدينا ثلاثة أشهر، بعدها ينتهي كل شيء.

أخرج سجائره "الدنهيل" وطلب الإذن بحركة من حواجبه، وافقت "روزيير" واستغلت الفرصة لإزالة السيلوفان عن علبة سجائرها

"الفوج". أشعلت واحدة وسحبت نفسًا طويلًا اجتهدت أن تخرجه على طريقة "مارلين ديتريش"، ثم وضعت قداحتها على الطاولة بمباهاة. ارتفع دخان السجائر حتى السقف. عند أقدامهما، كان "بيلو" يغط في نومه، مستلقيًا على سجادة إيرانية أصلية سوداء ضاربة للحمرة اشترتها "روزيير" بستة آلاف يورو؛ من أراد أن يسكن في شقة فاخرة على الضفة اليسرى للسين، فعليه أن يفرشها بهذا المستوى.

بيت "روزيير" لم يكن قصرًا خاصًا، لكنه منزل جميل، مئةٌ وثمانون مترًا موزعةً على ثلاثة طوابق؛ أي ما يكفي بكل راحة لإنسان بالغ مع كلبه، ثم انظر إلى العنوان، شارع السين! اشترته "روزيير" قبل عامين، من ما جنته من حقوق المؤلف في الخارج، في أوروبا واليابان ولا سيما في أمريكا اللاتينية، فقد حققت كتبها نجاحًا باهرًا في الأرجنتين، ثم جاء المسلسل التليفزيوني فكانت الأرض ممهدة له تمامًا، ومنذئذ - ومن باب المشاركة - بدأت النقيب تتعلم الإسبانية، ثم أضافت أيقونة العذراء "لوخان" شفيعةِ الأرجنتين إلى القلادات المتدلية من عنقها.

صبت "روزيير" فنجان قهوة آخر لنفسها متسائلة إن كانت أصابت بوضع القهوة في إبريق الشاي البورسلين؛ ربما لا أحد يفعل ذلك، ووعدت نفسها أن تتأكد من الموضوع. في الخلف، كانت سجادة "الأبيسون" المعلقة على الجدار تؤطر بشكل رائع ملامح "لوبروتون" الأرستقراطية، واستأنف هذا الأخير كلامه:

- الرصاصة الأولى اخترقت البطين الأيمن، والثانية كسرت العمود الفقري، لقد أصابت الرصاصتان هدفيهما، فالجاني قد أطلق إذًا عن قرب وهو متمرس من دون شك. الطبيب الشرعي يتكلم عن رصاص عيار تسعة مليمتر.

- إنه العيار الأكثر استعمالًا، بقي أن يخبرنا الطبيب الشرعي أن القاتل كان يرتدي بنطلون جينز وحذاء رياضيًا ليساعدنا في الغربلة...

ابتسم "لوبروتون" وهو يحك وجنته:

- في كل الأحوال، لا يمكننا تأكيد شيء، إذ لم يُعثر على المظروف، وقد استخرج القاتل الرصاصات بالسكين بجراحة دقيقة على شكل صليب على مستوى القلب.

- عمل محترف.

- بالضبط، محترف حذر جدًا؛ لقد ربط "جينان" بحزام الأوزان المخصص للغوص من النوع الشائع، وليس عليه بصمات بطبيعة الحال.

مرر "لوبروتون" يده في شعره الجميل الكثيف ليرجعه إلى الوراء وسحق سيجارته بعناية. كان يفكر، فقالت "روزيير" متابعة:

- القاتل رجل، لأن الضحية "يان جينان" كان كبير الحجم وبديهي أنه يحتاج إلى قوة كبيرة لرميه في الماء، دون حسبان وزن الحزام، دون شهود، دون ضجيج.. شغل محترفين كما قلنا، بل أنا أراهن على أنه قاتل مأجور، هل ثمة من دفع له؟ هل كانت الجريمة عملية تصفية؟ ليس بالضرورة، لكن ذلك يوضح بعض الأمور.

- فكرتُ في ذلك، وقد بدأت التحريات صباح اليوم، لكن إمكانية وصولنا لأرشيف الملفات في الإدارة العامة محدودة، مع ذلك، لا يبدو أن

"جينان" قد انتسب إلى أية عصابة كانت أو مافيا، وإن كان في الأمر تصفية حسابات، فهو لا يتعلق بالجريمة المنظمة.

على مهل، أخرج "لوبروتون" من جاكيتته أوراقًا وفردها أمامه:

- قبل أن يموت بشهرين، كان يبحر على متن سفينة "كي لاين إكسبرس".

لم يكن الاسم يعني شيئًا لـ"روزيير" فتمتمت:

- آها...

- إنها عبَّارة كانت تعمل على نقل الركاب بين "ميامي" و"كي ويست"، غرقت في خليج المكسيك - أربع وثلاثون ضحية، بينها ستة عشر فرنسيًا، مالك السفينة كان أمريكيًا، لكن من بناها كان فرنسيًا من منطقة "بريتانيا"، مقره في ترسانة صنع السفن في "سان نازاريه"، والواقع أن "يان جينان" كان قد التحق بالعمل على متن العبَّارة بداية يونيو فقط.

أنحت "روزيير" لتداعب أذن كلبها الناعمة، فضرب الكلب بذيله متكاسلًا وتنهد براحة، وتابع "لوبروتون":

- استجوبت الشرطة صانع السفينة، لكن ذلك لم يؤد إلى شيء.

فسألت "روزيير" وهي تعتدل في جلستها:

- والأرملة، ما رأيها في ذلك؟

- لا زالت تسكن في شارع "مازاجران"، وقد قبلت أن تستقبلنا غدًا.

- جميل جدًا. هل يمكن أن نمر على القسم؟ أريد اتخاذ بعض الإجراءات.

⊙⊙

خرج الاثنان إلى الشارع المغمور بأشعة الشمس. أغلقت "روزيير" مفتاح بابها بقفلتين، وسرعان ما انطلق جرس إنذار لا يمكن لأي شيء أن يوقفه؛ إنه عواء الكلب يستغيث، التفتت "روزيير" إلى "لوبروتون" مستنجدة، لكنه نظر إليها دون أن ينطق بكلمة. في الداخل، كان "بيلو" يصيح ويئن وهو يشمشم تحت الباب، قالت "روزيير" معلنةً:

- حسنًا، سآخذه معي.

أومأ "لوبروتون" موافقًا دون أن ينبس ببنت شفة.

هذا الرجل لا يعلق إطلاقًا على أي شيء؛ إنه يحتفظ دائمًا بتلك الودية إنما دون تنازلات تاركًا الآخر يواجه مسؤولياته. ما من سبيل إذًا إلى التخلص من المسؤولية، فتحت "روزيير" الباب، فقفز الكلب كما لو كان محبوسًا منذ عشر سنوات.

توجه "لوبروتون" نحو السين، فقالت له "روزيير":

- إلى أين؟

- إلى القسم.

- مشيًا؟

- إنه على مسافة عشر دقائق.

فتبرمت "روزيير" قائلة:

- كم أنت لطيف!

ثم ضغطت على مفتاح سيارة في يدها، فأصدر صوتًا أيقظ سيارة "لكزس" فخمة، "فول هايبرد" ذات لون أسود لامع، كانت مركونة على زاوية الشارع.

8

بعدها بعشرين دقيقة، كانت السيارة الـ"لكزس" الفاخرة تقف في إشارة شارع "دوفين". كان معطر الجو المعلق على المرآة، على شكل شجرة سرو صفراء، يتأرجح مع حركة السيارة البطيئة. على الكرسي بجانب السائق، كان "لوبروتون" يراقب بلا مبالاة السياح الذين يلتقطون الصور لجسر "بون ناف" وتمثال "هنري الرابع"، كانت أكمامهم مرفوعة ومعاطفهم الواقية من الريح معقودة على خصورهم، وهم يستمتعون بالهواء اللطيف ومنظر النهر من أماكن وقوفهم، كانوا يتقدمون أسرع من السيارات حتى وهم يمشون.

سألت "روزيير" وهي تشير إلى خاتم الفضة في يد "لوبروتون" اليسار:

- هل أنت متزوج؟

- أرمل.

- آه، متأسفة. هل مضى وقت طويل؟

- ثمانية أشهر وتسعة أيام.

تنحنحت "روزيير" وقد شعرت بضيق في حنجرتها، لكن طبعها دفعها للمضي أكثر:

- ماذا كان اسمها؟

- "فانسان".

- آه.

لا مهرب من سماع هذه الـ"آه".. تعبيرًا عن الدهشة والارتياح، فالموت هنا لم يخلف عائلة مفجوعة، وبالتالي ليس مأساويًا حقًا. لقد عاش "لوبروتون" اثنتي عشر سنة مع "فانسان"، مع ذلك يبدو أن الناس تعتقد أنه لا يتألم حقيقةً، على الأقل، ليس كمن فقد زوجته، كان "لوي بابتيست" معتادًا على ذلك، لكن كل "آه" كانت تغرز في جسده سهمًا جديدًا كالذي يغرزه المبارز الإسباني في جسد الثور، وسينهي عامه الأول بظهر قد تناوشته السهام، سواء في هذه الفرقة أو في مكان آخر.

مرت الدقائق التي تبقت من الطريق في صمت محرج لـ"روزيير"، بينما استمر "لوي بابتيست لوبروتون" في مراقبة الحشود باللا مبالاة نفسها، ثم وأثناء مرورهما أمام متجر "هابيتا" للأثاث في شارع "بون ناف"، لفت انتباه "روزيير" كراسي طويلة ذات قماش مخطط وكانت تريد إلقاء نظرة عليها بأي ثمن، فركنت سيارتها بالعرض في المكان المخصص لتسليم البضائع، وأخذت فريقها الصغير معها داخل المتجر.

اختارت أربعة كراسٍ طويلة على أن يتم تسليمها في قسم الشرطة في شارع "الإينوسون"، مع طاولة معدن دائرية تتناسب مع الكراسي، لتجميل البلكون، ثم انتقلت إلى شيء آخر، وكانت مشاريعها الأكثر إلحاحًا الآن هي اقناع "لوبروتون"

بحمل نبتة "دفلى" وردية من المتجر إلى قسم الشرطة لوضعها في الأصيص الفخاري، وسرعان ما ربحت قضيتها، فالرائد لم يكن يتذمر إطلاقًا من تقديم الخدمات للغير. تركته أسفل المبنى ثم انطلقت باتجاه موقف السيارات.

أمام الباب، تمكن "لوبروتون" الذي كان يحمل النبتة في يديه، من طرق الباب بكوعه. سمع وقع خطًى بطيئةٍ على الأرضية، تلاها انزلاق كتوم للعين السحرية المعدنية، دار المفتاح مرتين، ثم فتح الباب وجهٌ يعرفه الرائد جيدًا، إنه النقيب "أورسيني"، وفجأةً غمرت ريح باردة المقر؛ لا بد أن نافذة مفتوحة في مكان ما، هي مصدر هذا التيار، أو أن وجود "أورسيني" لوحده يكفي لتوليد هكذا شعور.

وضع "لوبروتون" نبتة "الدفلى" الوردية وصافح اليد الجليدية التي مدها المحقق السابق في قسم المالية، لم يكن عمره يتجاوز الثانية والخمسين لكنه يبدو أكبر بعشر سنين، ملبسه لم يتغير؛ بنطلون قطني رمادي وقميص أبيض وفولار من الحرير الأسود أو الأزرق البحري أحيانًا، وكان يلبس سترة بياقة على شكل حرف "V" من نفس اللون، ليمنح نفسه بعض الدفء شتاءً، فقط حذاؤه كان يلمع لمعانًا براقًا، لم يكن النقيب ليتهاون في أدنى التفاصيل.

"أورسيني" كان يدرس الكمان في "الكونسرفاتوار" في "ليون" حتى عمر الرابعة والثلاثين، ثم دخل سلك الشرطة الجنائية بعد نجاحه في المسابقات الوظيفية؛ كانت انعطافة غريبة، لا سيما أنه كان يكره الشرطة وكان يبدو أنه لم يدخلها إلا ليتمكن من خيانتها بشكل أفضل، فكم من المرات كانت تحقيقات "لوبروتون" الداخلية تستند إلى أدلة جمعها النقيب "أورسيني"، وما كان يخفف من سمعة الواشي عنه، أنه لم يحدث أبدًا أن أثار سوى قضايا

الفساد الثابتة مدعمًا اتهاماته بأدلة مقنعة، وكان بالتأكيد يقوم بعمله على أفضل وجه في إدارة التفتيش، لكنه كان مصدر أخبار وفضائح للصحافة أيضًا، فإن كان هذا الرجل - الذي لا غبار عليه حقيقة - قد انتهى به الحال في هذه الفرقة، فلا بد أن لذلك علاقة بعلاقاته ونزوعه إلى إعلام الصحفيين بكل الأسرار التي تسري في الإدارة. مع ذلك، مؤكد أن عزله لم يكن بسبب إهماله الالتزام بالسرية، بل لأن رئيس أحد الأقسام ظن أنه مصدر واحدة من الشائعات الكثيرة التي تروج في قسمه، وارتأى أنه آن الأوان لإرساله إلى مكان أبعد، إلى جهنم مثلًا، فتخلص من الواشي وزاد روحًا إلى الفرقة الضائعة.

قال "لوبروتون" لنفسه دون اكتراث: مؤكد أن "أورسيني" سيجد مع زملائه الجدد ما يسوِّد به كومة من التقارير، ولن يكون ذلك في صالح "كابستان" أبدًا.

⊙⊙

تأكدت "إيفا روزيير" من أنها لم تترك شيئًا في جيب باب السائق، ثم تلَمَّست تمثال "القديس كريستوف" الملصق على لوحة القيادة، وتناولت حقيبتها الجلدية من على الكرسي المجاور، وقبل أن تخرج، التفتت نحو كلبها الجالس في وضعية الاستعداد في الخلف، وقالت:

- اسمعني جيدًا "بيلو"! أعتقد أن الكلاب هنا أيضًا ممنوعة، لكننا سنجرب حظنا، عليك إذًا أن تحسن التصرف، هل فهمتني؟

فرد "بيلوت" بعواء مقتضب.

- تمامًا، عليك أن تكون مؤدبًا مع الجميع، لا سيما مع الرئيسة.

9

ذهبت "كابستان" مع "توريز" إلى جراج سيارات الشرطة لاستلام السيارة المخصصة لهم. للوهلة الأولى، أصيب "توريز" بالذهول وهو ينظر إلى الهيكل المتهالك لـ"البيجـو" 306، مع أن "كابستان" كانت قد شرحـت لـه، مدعمـة كلامها بـالكثير مـن الابتسـامات، أنـه بالإضافة إلى السيارة "الكليو" الصدئة، و"التوينجو" بـدون مصـد للصـدمات، فـإن هـذه "البيجو" هي أسطول المركبات المخصص للفرقة، من الواضـح أن الدولـة تمـنح مركباتهـا وفقًا لدرجة الاستحقاق.

بدايةً، رفض "توريز" الجلوس خلف عجلة القيادة، لكـن "كابسـتان" أصرت، فهـي لم تكن تحب القيادة وتفضل الجلوس بجانب السائق والاسـتمتاع بتأمـل الطريـق. كانـت حركـة السـير سلسـة عـلى ضـفاف السـين، والـدراجات الناريـة الصـغيرة تنسـاب بـين بالسيارات مثل عصافير السنونو.

داخلُ "البيجو" 306 كان متناسقًا تمامًا مع هيكلها الخارجي، فقد ثُبِّت في زاوية الباب مفكٌّ لمنع الشباك من الهبوط، والأشرطة الكهربائية المنبعثة من مكان الراديو كاسيت كانت تتراقص على وقع الطريق، أما ذراع تغيير السرعة، وقد نُزعت قبضته، فكان مجرد مسمار أسود طويل من الشحم، يحتاج إلى الكثير من العزم لتعشيق السرعة الأولى. التزم الضابطان الصمت طوال الطريق منذ خروجهما من الجراج رهبةً من السيارة، وأخيرًا، لدى وصولهما الإشارة الضوئية على جسر "جرينيل"، تكلم "توريز" قائلًا:

- سنمضي وقتًا مسليًا في البحث عن لص ارتكب عملية سطو منذ سبع سنوات.

- يجب أن تكون لدينا روح إبداعية، هذا مؤكد.

رفع الملازم حاجبين كثيفين وانطلق، كان تفاؤله أمرًا ممتعًا.

بعد خمسة عشر دقيقة، كانا يركنان السيارة في أعلى شارع "أوش"، على بعد خطوتين من بلدية "إيسي لي مولينو". وسط الساحة، انتصب تمثال حجري كُتب تحته بكل إجلال "الذكرى المقاتلين ولكل ضحايا الحروب"، يبدو أن أهالي المنطقة لا يجدون حرجًا في استهداف أوسع جمهور ممكن، فهم يشيدون بمن كان واقفًا وراء البندقية ومَن كان أمامها، على مر التاريخ وامتداد البلاد.

انتظرت "كابستان" و"توريز" باص يناور حتى اصطف في موقفه الأخير، ثم انطلقا في شارع "مارسو".

وصلا أمام البيت رقم 30 وبدا لهما قديمًا ومتهالكًا. كان ضيقًا مع ارتفاع، ويحوي طابقًا السندرة ، لوجود نافذة بارزة في السقف القرميدي،

وعلى الواجهة، كان لون مقابض النوافذ الأصفر يتفتت، والطلاء يتقشر، وعفن أخضر متراكم على المزراب، وعلى صندوق البريد المصنوع من الصفيح، أُلصقت ورقةٌ كتب عليها "رجاء عدم وضع النشرات الدعائية" وقد بليت من الزوايا وذهب لونها. دفعت "كابستان" البوابة الحديدية الصدئة، فأصدرت صريرًا، دخلا حديقة غاية في الصغر ومهملة، صعدت المفتشة درجات السُلَّم الثلاث ورنت الجرس.. لا جواب.

قال "توريز" وهو يدوس العشب الطويل بنعله المطاط السميك:

- يبدو أنه غير مسكون.

- نعم، وبكل الأحوال واضح أن أحدًا لم يعتن به منذ فترة.

مشى "توريز" خطوة، ثم انحنى ليمرر يده بين قاعدة الحائط وإصيص نبتة هزيلة، وأخرج قطعة متآكلة من شريط برتقالي فوسفوري من النوع الذي تستخدمه الشرطة لتحديد مسرح الجريمة، أمسك به بين إبهامه وسبابته، وعَرَضَه على "كابستان":

- هل تعتقدين أنه هنا من وقت الجريمة؟

هذا أمر بعيد الاحتمال، فقد مرت سبع سنوات.

فكرت المفتشة لثانيتان قبل أن تقرر:

- دعني أسأل الجيران، ابق هنا.

عادت بعد بضع دقائق.

في المنزل رقم 28، هناك زوجان انتقلا إلى هنا منذ سنتين تقريبًا. الزوجة الشابة هي من فتحت الباب لـ"كابستان"، وقد التصقت بها طفلة شعرها مربوط كنخلتين، مدت المفتشة بطاقة الشرطة مع ابتسامة، فطلبت الأم من ابنتها أن تدخل وتلعب في الصالون.

الجيران الجدد كانوا يجهلون كل شيء عن الجريمة، وشعرت "كابستان" بتأنيب الضمير لأن ما أخبرتهم به قد يفسد أمسيتهم - إن لم يكن أيامهم القادمة - لكن المرأة أكدت أنهم لم يروا أحدًا في المنزل المجاور على الإطلاق.

عادت "كابستان" إلى منزل "ماري سوزيل"، حيث كان "توريز" ينتظر وهو ينكش التراب بمقدمة حذائه بطريقة آلية.

سألها:

- هل ندخل؟

لن يضيعا الوقت في طلب الإذن من قاضي التحقيق، فهزت "كابستان" رأسها بالموافقة.

نظر الملازم حوله مستكشفًا، ثم أخرج مجموعة مفاتيح عمومية وفتح القفل بكل سلاسة، وقال باستغراب:

- الباب لم يكن مقفلًا.

كان الخشب قد انتفخ وكشط البابُ الأرضية وهو يفتح، بالكاد اجتازا العتبة، حتى تجمد "كابستان" و"توريز" في مكانهما غير مصدقين لما يريانه.

بعد سبع سنوات من وقوع الجريمة، فقط الجثة غير موجودة، فيما عدا ذلك، لم يتحرك أي شيء من مكانه؛ الأدراج المقتلعة، الكتب المتناثرة، الزجاج المكسور.. كل ذلك كان لا يزال يغطي الأرض. كانت قفازات مستعملة خاصة بالشرطة الجنائية ملقاة على الطاولة الصغيرة، والمقابض والمفروشات ملطخة ببودرة رفع البصمات؛ الشباب تركوا كل شيء على ما هو عليه عند خروجهم، ولم يأت أي وريث أو وكيل عقاري لتنظيف المكان لبيعه بسعر مرتفع.

سأل "توريز" منبهرًا:

- هل سبق أن رأيت شيئًا كهذا؟ أن لا يأتي أحد للتنظيف بعد جريمة بعد سبع سنوات؟

- كلا، لا سيما في بيت من السهل جدًا بيعه لاحقًا.

بدآ زيارتهما بقراءة تقرير الشرطة.

كان الغبار يغطي الديكور بطبقة رمادية، وقد استغلت العناكب غياب شركاء في السكن لتنسج على راحتها ما استطاعت. حاولت "آن كابستان" أن تتخيل الجثة على الكنبة؛ التقطت مكعب عليه مجموعة من الصور مصنوع من البلاستيك الشفاف، وهي تتجنب السير فوق شظايا البورسلين. على أحد الوجوه، صورةٌ لـ"ماري" وهي ترتدي جلابية سوداء وبيضاء ومنحنية على ظهر جمل، في الصحراء، وفي صورة أخرى، كانت تضحك وهي تقلِّد برج "بيزا" المائل بانحناءة جسدها. قلبت "كابستان" المكعب في يدها: الصورة التالية كانت قد اصفرت، ويظهر فيها رجل يبدو من الشبه أنه من العائلة، إنه أخوها من دون شك، واقفًا أمام دراجة سباق

هوائية وهو ممسك بمقبضها ويرتدي قميص سباق احترافي، الصورة التالية كانت صورة زوجين، "ماري" ورجل أشقر نحيل، يقفان تحت شجرة تفاح، ثم يظهران في صورة أخرى وهما يخرجان من كنيسة، ووجهاهما يفيضان سعادة، الصورة الأخيرة كانت لـ"ماري" وهي ترتدي بنطلون جينز وصندل وتشرب مياهًا معدنية أمام قصر "باكنجهام".

هناك رجل في مكان ما، ربما في هذه المدينة، قتل هذه السيدة وأنهى حياتها المفعمة بالفرح، دون أن يتحمل حتى اليوم، أدنى نتيجة على ما اقترفته يداه.

وضعت "كابستان" مكعب الصور برفق على رف المكتبة، إلى جانب علبة مليئة عن آخرها بقسائم تخفيضات متعددة الألوان. "توريز" كان يتجول في أنحاء الغرفة، بشعره الأشعث وهيئته التي تبدو دائمًا كمن أتاه للتو خبر تعرض سيارته لحادث، ثم راح يسرد من ذاكرته وبصوت عالٍ بداية التقرير:

- "ماري سوزيل"، 66 عامًا، أخت "أندريه سوزيل"، أصلهما من منطقة "الكروز"، من بلدة "مارساك" بالضبط.

ثم أضاف وقد أضاء وجهه للحظة:

- أنا أيضًا من منطقة "الكروز"، من "دون لو باليستل".

قبل أن يتابع:

- الأخ لا يزال يعيش هناك، "ماري" تزوجت - إنما لفترة وجيزة - توفي زوجها في "هانوي"، خلال الحرب الهندوصينية، لم ينجبا أطفالًا، كانت مدرسة.

ثم سكت، فيما بدا أنه يفكر وهو يحدق في الديكور؛ كان ثمة تفصيلة تثير قلقه:

- لص يقوم بخنق ضحيته.. هذا أمر نادر!

أجابته "كابستان" وهي تلتقط تحفة صغيرة نجت بأعجوبة من الكسر وضعتها بدورها على الرف:

- حتى يسكتها، فهو لم يكن يحمل سلاحًا.. ما أراه أنا خارجًا عن المألوف بالأحرى، هو أن يأخذ وقته في حملها لإجلاسها من جديد.

إجلاس الضحية كان إجراءً لا طائل منه، لكنه كشف عن أن اللص كان لصًا هاويًا، لقد شعر بالخوف، فخنق "ماري" في عجلته، ثم أدرك مباشرة حجم ما اقترفه، بدأ الندم ينهش فيه، فحاول تصحيح فعلته مثلما يحاول طفل لصق قطع المزهرية بعد أن كسرها بِكُرَتِه.

ويداه على خصره، بدأ "توريز" بتفحص المدخل:

- لقد تم تغيير القفل فقط، لكن لسان القفل هو نفسه الأصلي، وهو سليم؛ أي أنه لم يكن مغلقًا عندما كسر اللص القفل.

- نعم، وإلا كان عليه خلعه، في الواقع.

وبينما كانت "كابستان" تهم بتناول أسطوانة تانجو من على أحد رفوف المكتبة، تجمدت مكانها وراح ذهنها إلى تقرير الشرطة.

- الباب لم يكن مقفلًا، أما النوافذ، فنعم، غريب؛ المفروض أنك تغلق النوافذ وتقفل بابك في آن واحد، ألا تعتقد ذلك؟

- بلى، بالضبط.

كان ثمة أمر يقلق "توريز"، فتنهد قبل أن يتابع:

- من ناحية أخرى، الكبار في السن ينسون كل شيء: الأحد الماضي، جاءت أمي لزيارتنا، ووصلت عندنا وهي لا تزال تحمل كيس القمامة بيدها، لقد ركبت المترو، واشترت الإيكلير بالشوكولاتة، وأدخلت شفرة دخول بنايتنا، وركبت المصعد دون أن يخطر ببالها أن ترمي القمامة التي في يدها، مع أنها كانت ترهقها، لم تخطئ بعدد قطع الحلوى ولا في النوعية، فعندما يتعلق الأمر بحفظ عناوين الحلاونية، ذاكرتها لا تزال تعمل جيدًا.

ابتسمت "آن" للملازم ولعلاقته الجيدة بوالدته.

إنه محق بكل تأكيد، أعتقد أنها سهت عن الأمر، مثل التليفزيون الموضوع على "الصامت" الذي يثير حيرتها، فاللص لا يقتحم البيوت وقت السهرة، لأن فيها مخاطرة كبيرة، إنما يفعل ذلك بعد أن ينام الناس، حوالي الثالثة صباحًا، عندما تطفئ الجدات شاشات التليفزيون ويخلدن إلى النوم. بادئ الأمر، ظنت "كابستان" أن في قصة "الصامت" هذه أمر مريب، ولكن ربما كان تفسير ذلك بسيطًا، كأن تكون "ماري سوزيل" قد صعدت غرفتها لتنام ونسيت إطفاء التليفزيون.

عُثِر على الجثة فوق الكنبة، وهي كنبة ضخمة، من ثلاث قطع على الطراز الريفي مطلية بالورنيش، اقتربت منها "كابستان". كان المحققون قد نزعوا قطعة صغيرة من قماش الظهر لأجل التحاليل الجنائية، وعلى المساند والمخدات لاحظت المفتشة تفصيلًا ما كانت لتخطئه بين ألف؛ إنه

شعر القطط، فالمخمل البيج المزركش بوردات كبيرة كان مغطى بشعيرات رمادية وبيضاء، دليلُ وجود قطة، وقطة مدللة أيضًا.

جمعت "كابستان" - غريزيًا - بعض العينات من الشعر وكورتها في قبضة يدها، فهي لا تذكر أنها قرأت معلومة عن وجود حيوان في تقرير الشرطة، فأين ذهبت هذه القطة؟ ثم توجهت إلى المطبخ.

لم يكن ثمة أي وعاء على الأرض، فإن كانت القطة قد هربت من اللص، لكانت أوعية إطعامها باقية مكانها، الأمر فيه ما يريب!

عادت إلى الصالون لعرض المشكلة على "توريز"، الذي استنتج قائلًا:

- لقد ماتت قبل السرقة، بل ربما قبل ذلك بزمن طويل، لأن شعر القطة مثل شعر الأرنب، يحتاج لعقود لإزالته وتنقية المفروشات منه، إنه لا يذهب أبدًا أبدًا.

صمت "توريز" لبرهة، وأتى ليتفقد الكنبة بدوره، ثم أردف بحيوية:

- لدي تجربة في هذا؛ ابني لديه أرنب سماه "كاسيلاس"، على اسم حارس المرمى الإسباني، مع فارق أن "كاسيلاس" الذي في بيتنا لا يثبت في مكانه دقيقة، وأكثر ما يلتهمه هذا الأرنب هي الاسلاك الكهربائية، يومًا ما ستضربه صعقة كهربائية مؤسفة.

تفحصت "كابستان" "توريز" وهو يهز رأسه بخيبة أمل، فالرجل الذي كان يُعطي صورة عن نفسه أنه الفارس الوحداني الصموت والمنحوس.. إلخ إلخ، اتضح أنه ثرثار، بمجرد أن ينطلق لسانه.

فجأة احمر وجه "توريز"؛ لقد تكلم أكثر من اللازم ووطد علاقته أكثر من اللازم ونسي من هو أكثر من اللازم، وشاهدته "كابستان" وهو يعود لوعيه رويدًا رويدًا، فعقد حاجبيه وطأطأ بذقنه وزمَّ شفتيه، وعاد الرجل القصير السمين، كث الشعر صعب المراس وقد نصب أشواكه كما يفعل القنفذ، وانغلق على كآبته السوداء حتى أصبح كتلة سمراء مشعرة مغلفة بالسحب السوداء، ولتجنب إحراجه أكثر من ذلك، توجهت "كابستان" نحو السلم في آخر البهو.

في الطابق العلوي، كان ممر معتم وضيق يؤدي إلى غرفة النوم، وكان يخترقها شعاع من ضوء الشمس يتلألأ بين ذرات سحابة من الغبار، شعرت "كابستان" بثقل هواء الأماكن المغلقة يطبق على حلقها.

كانت جدران الغرفة الكبيرة مكسية بورق حائط بلون بنفسجي فاتح، وفيها سرير خشبي ريفي إلى جانبه طاولة من الموديل نفسه، يعلوها صليب، وعلى الجدار ثمة رف عليه مجموعة قديمة من كوميكس "أستيريكس"، أخرجت مجلدًا منها.. إنها الطبعة الأصلية. كانت الأرضية المغبرة تنزلق تحت نعل حذائها، لكن المفتشة بدأت تعتاد شيئًا فشيئًا على الرائحة واستعادت تنفسها الاعتيادي. على الخزانة ذات الأدراج، هناك تمثال لإيزيس إلى جانب شجرة مجوهرات مزدانة بالأساور. أزاحت "كابستان" الستائر الدانتيل، كانت تطل على الحديقة الخلفية، وهي مهملة بدورها، وفي إحدى الزوايا، ثمة رشاش قبضته معوجة، يكاد يختفي كليةً تحت العشب المجنون. الطريق المرصوف بالحصى كانت تغوص تحت الطحالب ونباتات الهندباء، ولم يكن للحديقة مخرج، لا بد أن اللص قد استخدم المدخل الرئيسي للدخول والخروج، مع ذلك، لم يره أحد من الجيران.

أغلقت "كابستان" الستائر، وتوجهت إلى الحمام المجاور: مستلزمات الاستحمام والتجميل لم تتحرك من مكانها، كان بوسع شبح "ماري" متابعة وجوده على مدار سبع سنوات دون أي إخلال في عاداتها؛ معجون الأسنان، عبوة ماء الورد، فرشاة من شعر الخيل الحقيقي، صابونة برائحة البنفسج، وكرات ملونة من القطن في بطرمان زجاجي كبير، وكان ثمة أيضًا قلم أحمر الشفاه في طبق صغير من الخزف الأزرق، "ماري سوزيل" كانت امرأة تهتم بنفسها.

فجأة انتبهت "كابستان" لأمر ما، فعادت إلى الغرفة: السرير كان مرتبًا، إذًا "ماري سوزيل" كانت فعلًا في الأسفل تشاهد التليفزيون عندما دخل القاتل، لقد جاء في بداية السهرة بغتة، كما يفعل صديق قديم.

كان "توريز" لا يزال في الصالون عندما نزلت "كابستان"، وكان خيط طويل بدأ ينفك من إحدى حلقات الحزام في جاكيتته الجلد الشاموا.

نظر "توريز" إلى ساعته، ثم قال بنبرة إعلانية دون أدنى خيال لابتسامة:

- إنها الثانية عشرة، سأذهب للغداء، نلتقي عند بيت "سيرج نولان"، في الساعة الثانية؟

وخرج من الباب دون أن ينتظر جوابًا، تاركًا المفتشة "آن كابستان" وحدها وهي ترفع ذراعيها في الهواء علامة العجز.

10

بعد ساعتين بالدقيقة، كان "توريز" ينزل الشارع مترنحًا مثل وحيد القرن.

قال وهو يرتاح مستندًا إلى ركبتيه:

- استغللت الفرصة لأجمع بعض المعلومات.

كان الضابطان يقفان على الرصيف، بعيدًا بعض الشيء عن بيت "سيرج نولان"، الرجل الذي اتصل برجال الإطفاء، وكان سور من النباتات غير المشذبة يخفيهما عن نوافذ الطابق الأرضي.

- المنزل لم يُعرض للبيع إطلاقًا منذ حادثة القتل، وقد بدا لي غريبًا أن أيًا من المتشردين لم يحاول أن يستولي عليه، فاستفسرت عن الموضوع، هل تصدقين أن أخ الضحية يدفع المال لشخص ليقوم بحراسة المكان؟ لكنني لم أعرف من هو.

إذًا، فالأخ قد فضَّل حراسة البيت على تنظيفه، هذا أمر غريب!

على صندوق البريد، كان مكتوب "السيد نولان"، والرجل الـذي فـتح البـاب كـان لا يزال مرتديًا البيجاما، وفوقها روب منزلي أحمر داكن، كان لزجًا وطريًا في نفـس الوقـت وهو ما جعله يبدو ممتلئًا رغم نحافته. رفع الرجل حواجبه المثقلة وتفحص "كابسـتان" على أقل من مهله، وقد ارتسمت ابتسامة على جانب فمه.

أبرزت "كابستان" بطاقتها، وقالت باقتضاب:

- الملازم أول "توريز" والمفتشة "كابستان"، لن نزعجك طـويلًا، لـدينا بعـض الأسـئلة لنطرحها عليك تتعلق بجارتك السابقة "ماري سوزيل"، لقد قُتلت قبل سبع أعوام، هـل تذكر ذلك؟

- بالتأكيد.

قال وهو يفسح لهما الطريق للدخول.

لم يفسح المجال بما يكفي لمرور "كابستان" دون أن تحتك بـه، فكتمـت رعشـة مـن الاشمئزاز وشقت طريقها دون مجاملة.

- ظل الطريق مغلقًا لأشهر بعد تلك الحادثة المريعة.

ثم اقترح عليهما بصوت عذب:

- هل تشربون شيئًا ما؟ لدي بعض المشروبات الكحولية.

فردت المفتشة باقتضاب:

- كلا، شكرًا.

كان حليق الوجه لولا بعض الشعيرات التي كانت تفسد منظر خديه، وقد ربط شعره الطويل المشعث ذيل حصان؛ من الواضح أنه يحاول أن يظهر بمظهر الرجل البوهيمي الشهواني الساحر.

عندما رأت "كابستان" أن "توريز" مستعد، وقد أمسك قلم الحبر الجاف ودفتر الملاحظات، بدأت الاستجواب بقولها:

- هل كنت تعرفها؟

- قليلًا، كنا نتبادل الحوار أحيانًا.. كما يتحدث الجيران، لا شيء أكثر من ذلك.

أشعل سيجارة وأبقاها منخفضة بين أصابعه الطويلة، وعندما رفعها إلى شفتيه القرمزيتين، اختفى نصف الفلتر في فمه.

سألته "كابستان" وهي تشيح بنظرها عن ذلك المنظر المقزز:

- هل حدثت سرقات أخرى في الحي في ذلك الوقت؟

- كلا، فقط منزلها، لم يكن أكثر البيوت فخامة، مع ذلك فهذا ما حدث.

- ألم تسمع شيئًا تلك الليلة؟ هل تذكرت أي تفصيلة بعد ذلك؟ هل جاء أحد يستكشف المكان؟ هل رأيت أحد المتشردين؟

أجاب وهو يسحب نفسًا:

- لا شيء، لم ألحظ شيئًا مهمًا.

- هل بدا عليها التوتر في الفترة الأخيرة قبل الحادث؟

مسح "نولان" زوايا شفتيه بإصبعه المصفرة، وأجاب دون أن يحمِّل نفسه عناء التفكير:

- ربما، مع أنها لم تكن من النوع القلِق. هل تريدون بعض البسكويت؟ لدي البعض منه في علبة هنا.

لم تكن "كابستان" ترغب لا في الكحول ولا في البسكويت، كانت تريد معلومات جديدة، تفصيلة ما، أي شيء يمكِّنها من المضي في هذا التحقيق في طريق لم يسبقها إليه أحد من قبل، كانت تريد إسداء خدمة لذكرى "ماري سوزيل"، وكانت تريد أيضًا أن ينجح فريقها حيث فشل الآخرون.

"نولان" هذا كان مراوغًا، كان يبدو راضيًا عن نفسه كمن يجلس فوق كومة من المعلومات مستمتعًا بإبقائها في الدفء.

تركت "كابستان" الأسئلة المتعلقة بالسطو، وانتقلت إلى موضوع آخر:

- هل كان ثمة من يضمر الشر لـ"ماري سوزيل"؟ في الحي مثلًا؟

لم يستسغ "نولان" ذلك التبدل في اللهجة، فسحب نفسًا عميقًا قبل أن يجيب على مضض:

- بالطبع، كانت امرأة صاحبة قضية وعنيدة، وغالبًا ما كانت تفعل ذلك على حساب الآخرين؛ جمعية مكاتب السماسرة العقارية في "إيسي فال دو سين" على سبيل المثال، مؤكد أنهم لا يكنون لها أية مودة.

أنهى جملته وهو يضحك بتهكم.

- ولم ذلك؟

- كانوا سيبنون مركزًا إعلاميًا هنا، في ذات المكان، وقد عرض عليها المقاول "برنارد أرجان"، ثروة مقابل كوخها هذا...

قاطعهم "توريز" بسؤاله:

- "أرجان"، كيف تتهجي اسمه؟

تركته "كابستان" يسجل الاسم قبل أن تكمل:

- وهي لم تبع؟

- كلا، على روحها السلام، لم ترغب إطلاقًا في البيع، تلك الساقطة.

رفع "توريز" رأسه وقلمه لا يزال مثبتًا على الورقة، بينما قالت "كابستان" وهي تحاول جاهدة أن تبقى هادئة:

- بيتك مجاور لبيتها، هل استشارتك قبل أن ترفض العرض؟

- كلا.

- لا بد أنك أضعت مبلغًا كبيرًا من المال.

- مليون يورو، كان عرضًا جميلًا حينها.

"نولان" كان بذلك يوحي وبدون مواربة أن لديه دافعًا جيدًا، ربما كان هو من نظم عملية السطو لإخافة "ماري سوزيل" ودفعها للرحيل، ثم حدث خلال العملية ما لم يكن في الحسبان، لكن "كابستان" لم تلبث أن أخرجت تلك الفكرة من رأسها. كان "نولان" ينظر بعين نصف مغمضة كالسحلية، لقد رمى صنارته وهو ينتظر اللحظة لسحبها؛ من المؤكد أنه يملك دليل غياب يغطي كامل فترة الأحداث، لكن المفتشة لم تشأ منحه

فرحة الكشف عن دليله ذلك، فتركت الصمت يلف الجميع، لا بد أنه خمن ما يدور في خلدها، فتابع قائلًا:

- كنت في "بايو" في تلك الأثناء عند والدي، ولم أرجع إلا قبل يومين من اكتشاف الجثة، أنا لم أقتلها. على كل حال، من الجيد أنني ابتعدت وقتها ولم أزعج نفسي، فكما تَرَيْنَ، موتها لم يغير شيئًا، وفي النهاية، المركز الإعلامي تم بناؤه بالقرب من الطريق.

- وأخوها أيضًا رفض أن يبيع، أليس كذلك؟

- لا شيء يخفى عليك، أيتها المفتشة.

- حتى أنه يستأجر أحدهم لحراسة المنزل.

ثم أضافت متهكمة:

- من الواضح أن الحظ ليس معك أبدًا.

فأجاب "نولان" وهو يسحق سيجارته في المنفضة الممتلئة.

- أنا هو ذلك الشخص الذي يدفع له.

فأعقبه "توريز" بقوله:

- أنت لا تقوم بعملك كما يجب، لقد دخلنا المنزل في وضح النهار.

- لم أقل إنه يدفع لي جيدًا.

إذًا، "نولان" هو المكلف بمهمة الحراسة، ربما كانت هذه هي المعلومة التي يخفيها بكثير من الغموض منذ بداية الحديث، هذا الرجل لا يعرف

الشيء الكثير، لكنه يحوط معلوماته بكثير من العناية حتى يتفاخر ويظهر أنه مهم، وربما العكس، وأن هذا الاعتراف ما هو إلا عَظْمَة رماها إليهم لينشغلوا بها عنه، وقبل أن تتقدم أكثر في الاستجواب، ارتأت "كابستان" أنه من الأفضل التحقق من ماضي الرجل أولًا.

لقد حان وقت الرحيل.

بعد بضعة أسئلة إضافية حول اكتشاف الجثة، نهض الضابطان من الكنبة الإسفنج التي كانا غارقين فيها كمن جاءه الفرج. تركا لـ"سيرج نولان" رقم تليفون للاتصال بهما في حال استعاد بعضًا من ذاكرته وتعاونه، وانسلا بعد تبادل التحيات المعتادة.

⦿⦿

انتزع "توريز" عن زجاج السيارة ورقة دعاية تروج لتنزيلات خيالية على إزالة شعر الرجلين، ثم سأل وهو يجعدها في يده، ويتوجه نحو أقرب سلة مهملات:

- لطيف هذا الرجل، أليس كذلك؟

فتحت "كابستان" باب "البيجو" 306، واندفعت داخل السيارة رغم رائحة التبغ البارد المعشعش فيها، وعندما جلس "توريز" خلف المقود أجابته:

- هذا الشخص ليس واضحًا، وعلاقته بالأخ ليست واضحة كذلك.

- أنتِ لست مقتنعة بقصة السطو، أليس كذلك؟

- بلى، بما أن مكتب التحقيقات الجنائية يقول ذلك، ومهما يكن الأمر، فقد عملوا لبعض الوقت على القضية.

ثم قالت وهي تنزل شباكها لاستنشاق بعض الهواء العليل:

- ولكن.. لا، لا أدري.

على إحدى إشارات الطريق، كان ثمة ملصق يقول: "كلا للتقشف"، وكان ثمة سيدتان تدردشان على مقعد في ظل شجرة، وكل منهما تهز عربة طفلها.

- لا بد من التضييق على "نولان"، فهناك احتمال أن يكون قد ارتكب أمرًا ما فيما مضى.

فقال "توريز" قبل أن يتحرك بالسيارة:

- سأتكفل بالأمر لدى عودتنا.

ثم أكمل قائلًا بعد أن خرج بالسيارة من مكان اصطفافها، وعينه على المارة الذين كانوا يركضون على الطريق دون انتباه:

- وماذا عن الأخ الذي لم يبع البيت بعد مرور سبع سنوات؟ بل وضعه تحت الحراسة، تصرف غريب منه.

- الأخ؟ لا يمكننا تكوين فكرة عنه قبل أن نراه، لا بد من زيارته.

قال "توريز" قلقًا إنما بصوت بالكاد يخفي حماسه للعودة إلى منطقة "الكروز":

- بهذه السيارة؟

- بل بالقطار، ثم نستأجر سيارة هناك؛ المفروض أن مصاريف المهمة لا تغطي سوى تنقلاتنا في المنطقة، لكنها مخصصة لأربعين شرطيًا، وبما أننا بالكاد خمسة عناصر، فسيمشي الحال أكيد.

ثم فكرت "كابستان" للحظة - سيكون من الجيد أن نتحدث مع ضباط الشرطة الذين حققوا في الجريمة وقتها لمعرفة ما الذي جعلهم يتوصلون إلى أنه لص منفرد.

فالتفتت إلى "توريز" وقالت:

- كلا، الواقع أنني لا أصدق إطلاقًا قصة السطو.

- ولا أنا.

11

صعدا من جديد ضفاف السين في الاتجاه المعاكس، واضطرا للتخفيف من السرعة لدى وصولهما ميدان "الكونكورد".

تأملت "كابستان" الميدان باستحسان، بمسلته وأعمدة الإنارة وحوله مجموعات صغيرة من السياح على عرباتهم "السيج واي" الكهربائية ذات العجلتين، كانوا خائفين، ويتقدمون بشكل متقطع وهم يبتسمون متشبثين بمقود دراجاتهم المتحركة، كانت باريس بأكملها أمام ناظرهم، لكن جل اهتمامهم كان منصبًا على عجلاتهم الكاوتشوكية الضخمة على الطريق.

مع الازدحام المروري، كان لدى "كابستان" الوقت للاستمتاع بالمشهد، وأخيرًا تحول الضوء إلى الأخضر، فانطفأ محرك الـ306 فجأة. نظر "توريز" إلى المقود بنظرة تهديد، وأخذ نفسًا عميقًا ثم شغل المفتاح، فدارت السيارة من جديد، بينما كان الضوء يقلب للأحمر من جديد، فانطلقت موجة مدوية من أبواق السيارات خلفه، بالكاد انتبهت لها طيور النورس الواقفة على الجسر.

بعد عشرين متراً أخرى، اختنق السير مجدداً وكان عليهم تخفيف السرعة:

- سأضع صفارة الإنذار.

ثم أشاح بنظره للحظة عن السير بحثًا عن الفانوس الدوَّار أمامه، ثم تحت كرسي الجانبي... لا شيء، فقالت "كابستان" بصوت مرهق مؤكدة مخاوفه:

- ليس معنا.

- ليس معنا سارينة شرطة؟

- كلا، لا سارينة ولا الكشافات الدوارة؛ نحن فرقة ملحقة، وبهذه الصفة نحن جزء من ميزانية الإدارة، لكنهم لا يغطون كل شيء.

فبعد أن شاهدت "كابستان" حالة المكاتب وأجهزة الكمبيوتر والسيارات، استعلمت قليلًا عن الموضوع.

- إذاً، لا ميزانية لأجل سارينات الشرطة؟

- هي لا تدخل في ميزانية التجهيزات، إنهم يرمون إلينا بما يفيض عنهم، كالأشياء منتهية الصلاحية، أو التي باتت موضة قديمة، وسارينات الشرطة لا تنتهي موضتها.

- وكيف سنعمل بدونها؟

- لسنا في عجلة من أمرنا حقيقةً، الجريمة التي نعمل عليها حدثت قبل سبع سنوات. أن نصل قبل الوقت بقليل أو بعده بقليل...

كانت السيارة لا تزال متوقفة، و"توريز" يتفرس في وجه "كابستان" دون أن يفتح فمه، فأضافت "كابستان" كما لو أنها قد نقلت إليه للتو خبر نقله إلى أقاصي سيبيريا:

- أنا آسفة.

عاد "توريز" إلى مقوده.

تردد بضع دقائق قبل أن يعترف:

- هل تعرفين، أنا منبوذ في وظيفتي منذ سنوات، وكنت وحيدًا، لكننا الآن فرقة، وهذا بالنسبة لي تقدم كبير إلى الأمام.

انطفأت أضواء الفرامل في سيارة "الفولفو" أمامهم، وانطلقوا من جديد.

انحرف "توريز" نحو مسار اليمين محاولًا عدم الاصطدام بدراجة هوائية، كانت تسير أصلًا بعيدًا عن المسار المخصص لها على بعد مترين كما تشير حارة الدراجات، كان يبدو أن في بال "توريز" سؤالًا يدور منذ برهة، كان مترددًا في طرحه، لكنه لن يلبث أن يتكلم. "كابستان" كانت تعلم تمامًا ما هو سؤاله وأمهلته - بينها وبين نفسها - حتى محطة "شاتليه" لكي يبوح بما في نفسه.

وأخيرًا، عندما وصلا تقاطع "سان جيرمان أوكسروا" تحدث قائلًا:

- إذًا، أنتِ فعلًا أطلقت النار على ذلك الرجل؟ لذلك وضعوكِ هنا، رغم... رغم ماضيك المشرف.

نعم! لقد فازت.

كان لديها الكثير والكثير لترويه، لكنها آثرت مع ذلك الابتعاد عن سرد قصتها المعتادة، مكتفية بالقول:

- دفاع مشروع عن النفس.

قطب "توريز" جبينه مشككًا فيما سمعه ويداه متشنجتان على المقود.

سيأتي السؤال التالي قريبًا، السؤال نفسه دائمًا، السؤال الحتمي، لكن "توريز" امتنع عن طرحه؛ سيحتفظ به لما بعد.

وصلا شارع "سيباستول". دخلت السيارة في جراج "فينشي"، حيث خصصت بعض الأماكن للفرقة، وفي إحداها كانت تربض سيارة "لكزس" فخمة ذات لون أسود متوهج، فسأل "توريز":

- ما هذا الشيء؟

- أظن أنها سيارة "روزيير".

- مؤكد أن فيها سارينة شرطة.

12

عندما وصلت "كابستان" ومعها "توريز" أمام المكتب، لاحظا أن الباب كان مغلقًا والمفتاح في القفل، فكان على "كابستان" أن تقرع الجرس لكي تدخل في قسم الشرطة الخاص بها. سمعت صوت نباح، ولم تستطع منع نفسها من التفكير قائلة: "ما هذا أيضًا؟". فتح لهما "لوبروتون" الباب وكلب هائج يجري بين قدميه. هز الرائد برأسه مسلمًا وعاد إلى محادثته، والكلب الصغير وراءه مباشرة يتبع خطواته.

دخل الجميع إلى "روزيير" التي زينت مكتبها من طراز "أمبير" ببهرجة: طقم مكتب جلد محفور، مصباح برونزي بلمبات على شكل شمعدانات، أبجورة طراز نابوليون، وكوب أقلام مذهبة بالذهب الخالص، كما وسعت أراضيها بكل أريحية، بأن أضافت مقعدين منجدين بالساتان كريمي اللون مع خطوط بالأخضر، في مواجهة عرشها الخاص المصنوع من الخشب الثمين. على أحد الكرسيين، كانت تجلس سيدة شقراء بشعر

معقوص، كانت تمسك في يدها ملفًا تقلب صفحاته بحركة متمكنة تمام التمكن، فقالت "كابستان" لنفسها: "لا بد أنها موظفة جديدة".

قالت المرأة الشابة شارحة وهي تشير إلى الصندوق المكتوب عليه كلمة "مخدرات" تحت قدميها:

- وجدته في هذا الصندوق، إنه ملف قضية يقولون إنها سرية، عن تاجر مخدرات يعمل في حديقة "مونسو".

لدى رؤيتها "كابستان"، نهضت للتحية.

- صباح الخير أيتها المفتشة، أنا الملازم "إيفرار"، كنت ضمن فرقة الألعاب والقمار وقد أبعدوني إلى هنا، وعندما علمت أنه أنت من تديرين المجموعة، قلت لنفسي...

ثم باعدت بين يديها كمن يقول "هذا أمر يستحق المحاولة". راجعت "كابستان" في ذهنها قائمة السير الذاتية، وهي ترسم ابتسامة مرحبة.

"إيفرار" الملازم، نعم، لكنها أيضًا لاعبة قمار مدمنة، ممنوعة من دخول نوادي القمار، وقد تم استبعادها لاتهامها بعمليات مشبوهة مع بعض نوادي القمار غير المرخصة، كان وجهها صريحًا، مع عينين واسعتين زرقاوين بريئتين، لا يبدو عليها أنها محتالة، ولا بد أن تلك كانت نقطة في صالحها.

- صباح الخير، أيتها الملازم، سعيدةٌ لانضمامك إلى صفوفنا، هل هذا الكلب كلبك؟

توجه "توريز" نحو المطبخ وهو يقول:

- سأصنع فنجان قهوة لنفسي.

شحبت "إيفرار" فجأة، وقد عرفت "توريز" المنحوس وراحت يداها تبحث غريزيًا عن بعض الملح أو أية تعويذة، تفحصت جيوبها وعثرت على شيء يبدو كالمهدئ، و"توريز" أشاح بنظره محرجًا، وانسل إلى مكتبه حيث اختفى.

"كابستان" أصرت على سؤالها:

- لمن هذا الكلب؟

فأجابت "روزيير":

- لي أنا، أرجو أن وجوده لا يزعج أحدًا، يبدو ككلب بوليسي، أليس كذلك؟

- كلبك البوليسي لا يتعدى طوله العشرين سنتيمترًا!

فقالت "روزيير" مخاطبةً كلبها بنغمة مواسية كذابة:

- لا تستمع لما تقوله السيدة، "بيلو" حبيبي، إنها لا تعرف ماذا تقول.

مضيفة:

- كما أنه كلب موهوب.

ساور "كابستان" شعور أنه لا بد من وضع حدٍّ أدنى من الالتزام وفرض سلطتها، لكن الكلب وضع مؤخرته على الأرض وكأنه يزن ثلاثة أطنان، ونصب أذنيه وأنفه، وراح يحدق فيها بشغف، كان يبدو بأقدامه الضخمة ورأسه الصغيرة، مع عدم التناسق بينهما، جروًا وسيبقى جروًا كل حياته.

بكل حال، "كابستان" لم تكن من محبي فرض سلطتها كثيرًا:

- من أي الأصناف هو، مهجن؟

فراحت "روزيير" تعدد بيدها اليسار:

- فيـه عـرق مـن كـلاب "كـورجي" مثـل كلـب ملكـة إنكلـترا، وشيء مـن سـلالة "الداشهند"، وخليط من أكثر من سلالة من هنا وهناك، لم يعد مهجنًا بل أصبح خليطًا من كل شيء.

ثم قهقهت مسرورة من نكتتها أو من كلبها، وأضافت:

- اسمه "بيلوت"، لكن بوسعك أن تناديه "بيلو".

- حقًا، ألن يجرحه ذلك؟

ابتسمت "روزيير" وانحنت لتداعب كلبها الذي مد أنفه ليستمتع قدر الإمكان.

كانت "كابستان" في طريقها للانضمام إلى "تـوريز" عنـدما ظهـر "ميرلـو" عـلى عتبـة المكتب، ثم تقدم مسلمًا على الشعب الصغير بخطوة عريضة وكرشه بارزةً للأمام:

- سيداتي، سادتي!

ثم أضاف وهو يحني رأسه على كلب الحراسة الأكثر كفاءة على وجه الأرض:

- السادة الكلاب.

بعد جولة من التأدب المبالغ فيه، استغل "ميرلو" جولة التعارف ليقبل أيادي المسكينتين "إيفرار" و"روزيير"، اللتين لم يسبق لهما لقاءه من قبل.

كانت تعبق منه رائحة الخمر بما يكفي لنزع ورق الجدران عن مكانها، ثم بدأ في حديث رجل متأنق، وكلما ثرثر، تراجعت السيدتان للوراء، حتى استسلمتا وقد كاد يغمى عليهما.

"لوبروتون" الذي كانت قامته الطويلة تسمح له بتنشق هواء أكثر نقاء، استمع له لثوانٍ دون أن يتزحزح، ثم دخل مكتبه.

استغلت "كابستان" فجوة صمت، فسألت "إيفرار":

- ملف تاجر المخدرات في حديقة "مونسو"، الذي كنت تتكلمين عنه منذ قليل، هل هي قضية قتل؟

- كلا، بل قضية كوكايين مغشوش ذي نوعية سيئة، أنا فقط مستغربة أنه لم يُقبض عليه رغم كل المعلومات المتوفرة ضده؛ حديقة "مونسو" مليئة بالأولاد ومع وجود تاجر مخدرات.. فهذه فوضى.

- بالضبط، هل تتابعين القضية مع "ميرلو"؟

لم يكن العرض لطيفًا لحدس "إيفرار"، لكن وفق حساباتها، عليها أن تستسلم، فهي تعرف كيف تسير مثل هذه الأمور.

جزيرة "كِي ويست"، جنوب "فلوريدا"،

الولايات المتحدة، 19 يناير 1991

من وراء نافذة مصفحة، رفع "ألكسندر" سبيكة الذهب، كانت أثقل وأنعم مما كان يتخيل.

كانت تلك السبيكة محور دعاية المتحف لاستقطاب الناس، ففي المدخل عند شباك بيع البطاقات، يلصقون على صدر الزائر - تقريبًا دون أن يكون له حرية القبول أو الرفض - لاصقة بيضاوية، تعلن بحروف سوداء على خلفية ذهبية: "لقد حملت سبيكة ذهب"، يجب أن يعلم الجميع أن القدوم إلى هذا المكان أمر مهم.

شعر "ألكسندر" بالملمس الرقيق لكف "روزا" على جلد ذراعه العارية، ثم وشوشت له كما تفعل كلما أرادت تناول الإفطار في الفراش:

- أشعر ببعض التعب.

فأجاب "ألكسندر" ممازحًا:

- إن كنتِ تفعلين ذلك لكي أسرق لك تلك الزمردة، فالجواب لا؛ هناك كاميرات في كل مكان.

قالت وهي تشد على ذراعه بقوة:

- كلا، كلا، إنها المياه، أعتقد أنني...

كانت تلهث، فاستندت على ذراع "ألكسندر"، وتركت نفسها تنزلق على الأرضية، ثم تمددت عليها المياه، أي مياه؟

- لن تلدي هنا؟ الآن؟

- بلى، أعتقد أنني سألد هنا.

- نحن في المتحف، لا يمكنك أن تلدي هنا...

كان العرق يتصبب قطرات على جبهة المرأة السمراء، كانت تبتسم لكنها لم تكن لتستسلم، كانت تنوي فعلًا الولادة هنا، وسط واجهات المتحف ومعروضاته، لتلد ابنهما.

13

في الخارج، كان ضباب ليلة سوداء يحجب النجوم، وحده ضوء النيون الأزرق للفندق المقابل كان يضيء المكان.

"لوي بابتيست لوبروتون" كان جالسًا على كنبته، وقد وضع قدميه العاريتين على الأرضية الباردة، وأطفأ كل الأنوار في الشقة ثم جلس يدخن، كان بوسعه أن يبقى على هذه الحالة لساعات، مع لا شيء سوى مؤشر الاستعداد الأحمر في التليفزيون يومض في الصالون الساكن، في استجابة سكونية مع جمر سيجارته "الدنهيل" المتوهج، وجيتاره ماركة "ريكنبيكر" 4001، معلق على الجدار حتى لا يستعمله ويوقظ الجيران.

كان زجاج لوحة إعلان حفلة "ديفيد بوي" في "هامرسميث أوديون" المعلقة على الجدار يرسل انعاكاسات من وقت لآخر، وكان "لوبروتون" يتأملها لساعة وأحيانًا لساعتين حتى ينام - كان يستيقظ ثم يدخن - وعمومًا كان ينتظر حتى الساعة السادسة صباحًا، الساعة التي ينهض

فيها الناس العاديون، يقوم إلى الحمام والقهوة، عندها تكون الساعة السابعة، وهي ساعة مناسبة لبدء اليوم.

"لوي بابتيست" لم يكن ليؤجل عمل اليوم إلى الغد، وقد منحته الحياة من الوقت أكثر من ما منحته من شيء يشغله، سحق سيجارته واندس في الكنبة منتظرًا؛ بعد ثلاث ساعات، سيزور "مائيل جينان".

لم يكن يولي أهمية حقيقية للتحقيق، ومؤكد أنه لم يكن يولي أي اهتمام لهذه الفرقة البائسة، لكن الأمور تسير في ذلك الاتجاه، وهو يسير معها أيضًا لمجرد أن يبقى في الصورة، على الأقل شريكته "روزيير" امرأة مسلية، أما "كابستان" فلم يكن ينتظر منها شيئًا.

إنها السابعة صباحًا.

في درج الدولاب، كانت قمصان "فانسان" لا تزال مطوية بعناية فائقة؛ كان "لوبروتون" قد كوى تلك التي جفت على منشر الغسيل قبل الحادث، ثم رتبها في مكانها.

عشرون سنة مرت منذ وفاة زوج "مائيل جينان"، لا بد أن الألم - بعد عشرين سنة - لا يزال حيًا تحت طبقات سميكة من الحياة؛ طبقة كل سنة ربما، وربما لا، و"لوبروتون" لم تكن لديه فكرة؛ كان فقط يأمل ذلك.

أما هو، فلا يزال يشعر - بعد مرور ثمانية أشهر - كأنه ينام في كفن ويتحمم في ضريح؛ كل غرفة، كل قطعة أثاث، كل طقطقة للأرضية كان يثير الشيء نفسه، تمامًا الشيء نفسه قبل سنة من الآن، عندما كان "لوبروتون" يحب أن يفتح باب شقته، ويوم كان كل شيء فيها ذا فائدة.

اليوم، كل شيء بات ذكرى، و"لوي بابتيست" لا يستطيع لا مغادرة المكان ولا البقاء فيه؛ هنا، كل حركة من حركاته كان لها عنوان.

توجه "لوبروتون" نحو المطبخ لأجل الفطور، وقد بات يتناوله واقفًا حتى لا يجلس وحيدًا على الطاولة.

لقد عاشا اثنتي عشرة سنة مع بعض، وخلال هذه السنوات الاثنتي عشرة، اعتاد "فانسان" أن يقطِّع الخبز فوق الحوض حتى يتجنب عناء تنظيف الفتات، وكل صباح كان "لوبروتون" يمر ويفتح الحنفية لشطف تلك الفتات بالماء، وحتى اليوم لا يزال ينحرف عن الحوض صباحًا متجنبًا المرور أمامه وقلبه يعتصر.

في باب الثلاجة، هناك آخر بطرمان من سلسلة طويلة من برطمانات المخلل الفارغة التي كان "فانسان" يحتفظ بها هنا؛ بانتظار أن يأتي يوم ما ويرميها، و"لوبروتون" لم يلمس أيًا منها منذئذ، وهذا البرطمان الأخير باقٍ على حاله، مليء بالخل وملعقته البلاستيك داخله.

"لوي بابتيست" الذي لا يأكل البسكويت أبدًا، كان يحتفظ في خزانته بثلاث علب من "كعك سان ميشيل"، وإحداها مأكول نصفها.

في مكتبة الصالون، كان الكتاب الأول من ثلاثية "فارسيير" لكاتبة الفانتازيا الأمريكية "روبين هوب" (The Farseer Trilogy) موضوعًا مكانه بالمقلوب، والمجلد الثاني كان لا يزال ملقًى على طاولة "فانسان" الليلية مهترئَ الزوايا. هذه الطاولة في الواقع هي لـ"لوي بابتيست"،

ورثها عن عائلته، إنما كان يروق له تسميتها "طاولة فانسان الليلية"، كانت على جانب السرير من حيث ينام "فانسان".

"لوبروتون" لم يغير ملاءاته منذ 8 أشهر، وبات يشرب كل مساء بعد أن كان يشرب مساء الجمعة فقط، وقد أصبح وهو في عمر التاسع والثلاثين فقط "الأرمل الكئيب الذي لا عزاء له"، في أصدق تجسيد لبيت الشعر هذا من ديوان "نيرفال (Nerval)".

ارتدى "لوبروتون" جاكيتته السوداء وربط حذاءه، مسح الجاكيتة بفرشاة الملابس والجزمة بقطعة قماش. جسده المشلول من الفَقد تحول إلى قيد حديدي، كان بوده خلعه والانطلاق بعيدًا، مثلما يهرب المرء من العاصمة إلى الريف، كان بوده الخروج من قصته، أن ينساها خلال أيام، وهو يغلق الباب خلفه تساءل "لوبروتون": كم من الوقت استغرقت "مائيل جينان" حتى قررت ترتيب سريرها؟

التقى "روزيير" وكلبها في مقهى على الناصية أسفل بيته، وقد احتمى تحت مظلة المحل من المطر المنهمر الذي كان يضرب القماش المشمع مصدرًا صوت قرقعة.

كانت "روزيير" تحاول جاهدة نزع الورقة عن قطعة السكر لأجل القهوة، وقد قفز الكلب لاستقبال "لوبروتون"، فحرك الطاولة ساكبًا نصف القهوة وموقعًا قطعة السكر بورقتها في الفنجان، فتمتمت "روزيير" وهي ترفع عينيها نحو الرائد:

- وهذه مشكلة انتهينا منها.

"مائيل جينان" كانت تسكن في شارع "مازاجران"، وهو غير بعيد عن المقهى، اتفقا على اللقاء هنا قبل أن يذهبا إليها.

جلس "لوي بابتيست" على الكرسي إلى جانب "إيفا"، داعب رأس الكلب، وأشار للنادل أنه سيأخذ قهوة هو أيضًا.

- صباح الخير "إيفا"، هل تنوين الصعود مع الكلب؟

- كلا، سأتركه في السيارة، سيكون على ما يرام لمدة نصف ساعة فقط، وسأترك الشباك نصف مفتوح، ثم بهذا الشكل لن تأتي الشرطة وتسحب لي سيارتي.

كانت الأمطار تضرب المظلة، والمارة يسيرون بسرعة على الرصيف، وبعضهم قد التجأ إلى مدخل العمارة المقابلة للمقهى، وهم يحدقون في السماء في انتظار أن يهدأ المطر، ثم ثارت ريح عاصفة في الشارع، فقلبت الشمسيات وكنست الكتيبات الدعائية، كانت مياه البرك الصغيرة تهتز، وقعقع الرعد منذرًا بالطوفان الآتي.

قالت "روزيير" وهي تطمئن كلبها الذي تكور بين كاحليها:

- يا له من جو متوحش.

فسألها "لوبروتون":

- غريب هذا التعبير، من أين عرفتينه؟

- من منطقة "اللوار"، أنا من "سانت إتيان"، وأنت؟ لا تقل لي إنك باريسي لعين!

- كلا، أنا من نواحي "ديجون".

والدا "لوبروتون" كانا يعيشان في واحدة من تلك الأرياف المسطحة التي كانت تمر فيها القطارات، والتي كان يهرب منها المراهقون للذهاب والتسكع في حارات حي "الماريه" الباريسي.

شرب الرائد قهوته دفعة واحدة ووضع في الصحن الصغير ما يكفي لحساب الطلبين. كان المطر قد هدأ وتباطأت حباته وكأنه يستجمع قواه، فالأفضل لهما استغلال هذا الهدوء قبل العاصفة.

- هل نذهب؟

اعتبر الكلب أن الدعوة له، فنهض للحظته وهو يحرك ذيله بحماسة شديدة.

⊙⊙

أول سؤال طرحته عليهما "مائيل جينان" كان:

- هل تذكران غرق عبّارة "كي لاين إكسبريس"؟

"روزيير" لم تكن تستطيع التركيز كثيرًا وهي تفكر في كلبها وحيدًا في السيارة؛ المسكين - مع هذه العاصفة - لا بد أنه يشعر بالقلق، ولعابه يسيل على المقاعد الجلد العسلية، ثم إن بدايات الاستجوابات دائمًا ما تكون مملة، ولا يخرج منها المرء بأي شيء ذي فائدة إطلاقًا، وكانت "روزيير" تستغلها عمومًا لرسم صورة للشاهد لا أكثر، كانت تترقب اللحظة التي تبدأ فيها المشاعر بالكلام، لأنه - فقط - انطلاقًا من هذه اللحظة نحصل على خيوط تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم... اللعنة! لقد طرحت السيدة الطيبة سؤالًا، ماذا كان أصلًا؟ آه، نعم.

- كلا، قبل التحقيق لم يكن الأمر يعني لي شيئًا.

أومأت "مائيل جينان" برأسها حزينة.

كانت في حدود الرابعة والأربعين، ترتدي بنطلون جينز مطرزًا بفراشات ملونـة، وبلـوزة قطنية بنفسجية كبيرة أكثر من اللازم عليها، وقد أصبح لونها رماديًا عند الكـوع - ابتسـمت ودفعت خصلتها بيدٍ ذات أظافر مقصوصة وضمت ساقاها، وعلى رباط حذائها لمـع شـعار على شكل نجمة فضية.

أضاف "لوبروتون" بقامته الممشوقة:

- عليَّ الاعتراف، ولا أنا.

"هذا الرجل، يا للخسارة!" قالت "روزيير" لنفسها، حتى عين السيدة "جينان" لمعـت لدى رؤيتها تلك الرجولة.

قالت "مائيل":

- شي عجيـب! بعـد عشريـن سـنة لم يعـد أحـد يـذكر الحادثـة، نتـذكر غـرق "الكونكورديا"، وربما "الإستونيا"، لكن "الكي لاين" فلا شيء؛ إما أن الحـادث بـات بعيـدًا جدًا، أو أنه لم يمت فيه الكثير من الناس، مع ذلك فالضحايا كـانوا ثلاثًـا وأربعـين، هـل تتخيلون! ثلاث وأربعون ضحية، ربما لعدم وجود الكثير من الفرنسيين بينهم.

كانت الطاولة التي أجلستهم "مائيل" إليها في غرفة الطعام مغطاة بمشـمع منقـوش بورود، وكان بوسعهم لمس بطانته الناعمة، وقد اهترأت زاويـاه مـن الاسـتعمال، فظهـر تحته خشب الطاولـة الغـامق، وكانـت الكـراسي القـش تكـاد تتـداعى تحـتهما فجلسـا متسمريْن متيقظيْن خشية الوقوع.

على الجدار، ثلاث نوافذ سفن نحاسية مُقلدة معلقـة عـلى مسـتوى واحـد، تحتَهـا عدة إطارات صور مذهبة، تحكي تطور فتًى أصبح شـابًا جمـيلًا، لا بـد أنـه "سـيدريك" ابنها.

على أحد الرفوف، لفت انتباه "روزيير" جهاز غريب مزود بإبرة، من النحـاس أيضًـا، فقالت لنفسها: لا بد أنها بوصلة.

اقترحت عليهما "مائيل" بصوت ناعم جدًا جعلهما يصغيان السمع لها:

- هل أقدم لكما عصير التفاح؟

عصير التفاح؟ هذا هو إذًا ما تحبه؟ عصير التفاح؟ يا إلهي يا فتاة! حقًـا إن الشـهرة لا تُكتسب من فراغ.

كادت "روزيير" تأخذ الشيء الشبيه بالبوصـلة لـترى مـا هـو، لـولا أن منعتهـا نظـرة حازمة من "لوبروتون"، ثم قال بنبرة نصف مخملية هادئة:

- نعم، لو تفضلتِ.

يبدو أن "مائيل" تعيش حياة متقشفة شحيحة، والظاهر أنها ممـن يخشـون تفقـد صندوق البريد خوفًا من الفواتير أو ما شابه.

في إحدى زوايا الغرفة إلى جانـب سريـرٍ أبـيضَ للعـب الأطفـال، كـان ثمـة صـندوق بلاستيكي شفاف، جُمعت فيه دباديـب ومكعبـات ملونـة وألعـاب مسـتعملة؛ هـذا مـا تستخدمه في عملها كمربية أطفال.

عادت "مائيل" بزجاجة مفتوحة وملأت الأكواب، فأكمل "لوبروتون" كلامه:

- زوجك كان على متن العبَّارة عندما غرقت، صحيح؟

أجابته وهي تجلس على طرف الكرسي:

- بعد حادثة الغرق، لم يعد كما كان.

بقيت عيناها معلقة بالكوب بين يديها.

- لم يكن يفكر إلا فيما حدث، كان يستيقظ في الرابعة صباحًا وهو غارق في عرقه، كان يتكلم عن الموضوع كل الوقت: عن الذعر على متن العبَّارة، عن الناس التي كانت تصيح والتي تمشي فوق بعضهم بعضًا.

بعض الناس تنغلق على نفسها وتغرق في الصمت بعد تعرضهم لصدمة ما، أما هو فكان العكس؛ أعتقد أنه حكى لي قصة كل من كان على متن تلك العبَّارة، ظل لأسابيع وهو لا يتحدث إلا في ذلك، لم يعد حتى ينصت لابننا عندما يعود من المدرسة، وفي المساء - أمام التليفزيون - يحدث أن يقاطعنا في منتصف الفيلم ليروي لنا كيف رأى فتاة تضرب شيخًا على وجهه.

كان يوقظني في منتصف الليل ليحكي لي عن مشاهد تذكرها فجأة: عن رجل قفز من فوق العبارة وهو يصرخ "نظارتي، نظارتي!"، وهو يشد بيديه على وجهه حتى لا يفقدها، بينما كانت زوجته تحاول التعلق بإحدى العوامات، النساء اللواتي كن يمشين فوق الفتيان، الصراخ بجميع اللغات وغيرها من الأهوال، كان الاستماع إليه مؤلمًا. نعم، شاهد بعض المواقف البطولية أو الشهامة، لكن ذلك لم يؤثر فيه وكلامه، عن ذلك كان أقل.

كان يحب قصة امرأة فرنسية صاح بها زوجها: "أنقذي ما تستطيعين!"، فأخذتْ - في خضم الهلع - أول ما التقطته يداها، وكانت مملحة بلاستيك. ذهب "يان" لزيارتهما بعد الحادثة. كانت تحتفظ

بالمملحة في الفيترينا، قالت له: "لقد فضلتها على مجـوهراتي، وأعتقـد أنهـا ذات قيمـة"، كان "يان" يحب هذين الزوجين.

انحنى "لوبروتون" للأمام:

- ألم يشتكِ أحدٌ من زوجك أثناء غرق المركب؟

- كلا، لا أحد، وبعد سماع خطابات التعزية من الناجين في مأتمـه، أنـا متأكـدة جـدًا من ذلك، لقد تصرف "يان" كبحار حقيقي.

كانت "روزيير" تتأمل ورق جدران الصالون الأصفر المحمر؛ كان ذلك يعطي الغرفـة رونقًا، ومع السجاد كانت تبدو أكثر نظافة وأكثر اعتناء.

ثم سأل "لوبروتون" بصوت ناعم:

- هل تعتقدين أن أحدهم كان يكن له البغيضة؟

- هل تمزح؟

خشونة الـلـهجة أخرجت "روزيير" من سرحانها في الديكور، إنهم يقتربون مـن لـب الموضوع وسرعان ما ستتفجر الاتهامات.

"مائيل جينان" لم تكن لتصدق أن أحدهم لا زال يشك في الموضوع:

- "جالاتو"! كل ذلك بسبب "جالاتو"، الرجل الـذي بنـى السـفينة، مؤكـد أنه هو من أمر بالقتل! مُـلاك السـفينة الأجانـب كـانوا يتهمونـه بالبخـل في الاختبارات والمواد؛ الهيكل كان ضعيفًا أكثر من الـلازم، فانهـار وهـوت معـه مقدمة السفينة، ومع دخول الماء جنحـت العبَّـارة عـلى جانبهـا في أقـل مـن ساعة، وعلاوة عليه، أجهزة الإنذار الصـوتية كانـت معطلـة فلـم تعمـل، ولم

يكن المسافرون يعلمون أي اتجاه يسلكون للهرب. "يان" كان يريد تقديم شكوى ضد عديم الضمير ذاك، فقام بتجهيز ملف، واتصل بأكبر عدد ممكن من المسافرين، أمريكيين وكوبيين، لكي يشهدوا معه، وذهب شخصيًا للقاء الفرنسيين واحدًا واحدًا، استغرق منه ذلك أسابيع.

ثم أردفت وهي تباعد بين السبابة والإبهام مسافة خمس سنتيمترات:

- لقد جهز ملفًا سميكًا هكذا. ثم ذهب إلى ترسانة "سان نازاري" لبناء السفن ليعرضه على "جالاتو"، بعدها بثلاثة أيام كان ميتًا، لم يمت بمرض أو بحادث، بل برصاصة مسدس.

كانت تحدق فيهما كلٍ بدوره، بعينين صافيتين كمياه الأنهار، كانت منهكة تحت ركام من الظلم، وتعبة من المماطلات وجمود العالم أمام ما حدث.

ثم أنهت كلامها قائلة:

- وحتى اليوم، لم يتم توقيف أحد.

⊙⊙

عندما خرجت "روزيير" و"لوبروتون" إلى الشارع مجددًا، كان المطر لا يزال ينهمر على واجهات المنازل، لكن شمسًا قوية كانت تخترق الغيوم الداكنة.

علقت "روزيير" على القصة:

- "جالاتو" صاحب السلطة في مواجهة "جينان" المتمرد؛ قصة الرجل الذي يذهب بمفرده إلى الحرب وليس معه سوى قبضته وسكين، تنتهي دائمًا بمأساة.

ثم أضافت وهي تنظف أنفها:

- من ناحية ثانية، لا بد أن باني السفينة كان يعرف أنه سيكون من بين المشتبه بهم.

كورت النقيب منديلها قبل أن تضعه في كمها، ثم ابتهجت أساريرها لرؤية سيارتها "اللكزس" وكلبها على حالهما، وراح "بيلو" يقفز ملطخًا زجاج السيارة بلعابه.

أجابها "لوبروتون":

- لم يجد المحققون أي دليل ضده، هذا لا يمنع أن بوسعه تأجير أحدهم، بل ربما تطوع أحدهم فجأة للمهمة، فالبعض كان يخشى أن يفقد عمله في حال رفعت القضية. لا بد أن جماعة الميناء خافوا عندما رأوه آتيًا إلى الميناء متأبطًا ملفه.

- نعم، والبحارة ليسوا أناسًا أذكياء عمومًا.

فقال "لوبروتون" متهكمًا:

- وماذا عن رجال الشرطة، كأنهم تمكنوا من حل القضية في أقل من يومين.

هزت "روزيير" رأسها موافقة، وأكمل زميلها:

- انتقل مقر شركة "جالاتو" إلى منطقة "سابل دولون"؛ لا بد أنه قرف من العبَّارات وتحول إلى صناعة اليخوت الفخمة، أظن أن علينا القيام برحلة بحرية.

فقالت "روزيير":

- أوافقك الرأي في كل ما قلت، لم يكن ورق الحائط سيئًا في صالون السيدة، ألست معي؟ بوسعنا وضع الشيء نفسه في المكتب عندنا.

⦿⦿

أغلقت "إيفرار" باب غرفتها حيث كانت مراهقة في بيت أهلها، بسقفها المليئ بالنجوم وبوستر فيلم "كازينو" لـ"مارتن سكورسيزي" وسريرها المفرد، لقد عادت للعيش حيث قضت مراهقتها منذ ستة أشهر. توجهت إلى المدخل وأخذت معطفها الواقي من المطر من على شماعة الملابس الخشبية، وقبل أن تخرج، أطلت برأسها في المطبخ لتتمنى نهارًا سعيدًا لأمها، فأجابتها بأن تعمل جيدًا.

عندما خرجت "إيفرار" إلى الشارع، تحققت من محتوى جيبها بشرود عبر القماش المضاد للماء؛ قطعة النقود فئة واحد يورو الجالبة للحظ موجودة مكانها، إنه آخر يورو معها، اليورو الذي لم تقامر به والذي ستبني عليه حياتها من جديد، أحيانًا كان يخطر ببالها أن ترميه في نهر السين، فقط لترى ماذا سيحدث، كل تلك الأمور مجرد حماقات؛ حتى أسوأ اللاعبين يعرفون أنه لا يمكن إعادة بناء حياة انطلاقًا من واحد يورو، فالسؤال الحقيقي هو: على أي شيء ستبني حياتها من جديد إذًا؟

14

دخلت "كابستان" مكتب "توريز" وقالت معلنة:

- حسنًا، إنه يرفض.

- هل قالها لك مباشرة؟

وضع الملازم كوعيه على الأوراق المطبوعة التي تغطي مكتبه؛ يبدو أنه تفاجئ لمجرد أن يكون "فالنكور" قد قبل أن يتحدث معها على التليفون.

- كلا، كلمتني واحدة من مساعداته؛ الرئيس ترك رسالة: لا يمكنه استقبالنا الآن، إنما علينا ألا نتردد في الاتصال به لاحقًا، أو أن نرسل إليه تقريرًا بما توصلنا إليه.. إلخ.

تنهدت "كابستان".

من بين كافة رجال الشرطة المرتبطين بملف قضية "سوزيل"، "فالنكور" هو الوحيد الذي لا يزال متواجدًا في المنطقة، منذ زمن الجريمة

كان صاحب نفوذ كبير، لذا فهو كان يتابع عن بعد ولم يتورط في تحقيقات كثيرة، ولذلك قد لا يذكر الشيء الكثير، والأهم في الموضوع أن الرئيس لم يكن أكثر الرجال حفاوة ولا ظرفًا عندما تأتي الأمور لمبنى رقم 36.

رفع "توريز" حاجبيه مستسلمًا؛ وهو ما يشير إلى أنه لم يتلق في حياته سوى الرفض من زملائه، ثم ابتسم ابتسامة خفيفة لـ"كابستان"، وبعدها استعاد سحنته العدائية منكبًا على دراسة السجل الجنائي لـ"نولان".

أما المفتشة، فظلت حيث هي تنظر إلى "توريز" دون أن تراه، بانتظار أن يأتيها الوحي باتخاذ قرار ما. وفقًا للمساعدة، "فالنكور" موجود الآن في ميدان الرماية، في "بورت لا شابيل"، ولو الظروف مختلفة، لكان بوسعها الذهاب إلى هناك وأن تمثل دور لقاء الصدفة، لكن الآن وقد سُحب منها سلاحها فلا يفترض بها دخول ذلك المكان، وسيعرف "فالنكور" أنها جاءت لتلوي ذراعه، ثم فكرت: ولم الخوف؟ فليعرف!

فأعلنت فجأة:

- سأذهب لرؤيته، سيكون من الصعب أن يتهرب مني بعد أن يراني.

فتمتم "توريز" وهو في عالمه المتقوقع:

- إن كان هذا ما تريدين.

⊙⊙

بعد أن وصلت "كابستان" إلى منطقة "بورت لا شابيل" حيث وجه باريس القميء، خرجت من الطريق الدائرية ثم دخلت جراجًا مهجورًا،

ضربت على جرس الإنتركم القديم بدون اسم، وبعد أن أبرزت بطاقتها، دفعت الباب الفولاذي.

ميدان الرماية كان في الطابق الأخير، كان المصعد المليء بالجرافيتي معطلًا، فصعدت "كابستان" السلالم وهي تتبع آليًا الإشارات الفوسفورية على شكل مسدس والتي تشير إلى المسار. في كل طابق، كانت أبواب المخارج مغلقة بطوب مفرغ، ظلت تفكِّر في أماكن انتظار السيارات الواسعة والفارغة في هذا الظلام، هذا المكان بالتأكيد يجعلك تريد حمل مسدس.

في المدخل، سلمت بطاقتها للرجل المسن المبتسم وراء نافذته المصفحة، كان بوسعها أن ترى تحت مكتبه شاشات المراقبة تلمع بالأبيض والأسود، وبالكاد أخفى العجوز اندهاشه لرؤيتها هنا، وتمتم ببضعة كلمات لم تفهمها، فهزت رأسها بأي حال وتقدمت نحو صالة النادي الكبيرة المضاءة بالنيون.

كانت الصالة خاوية تمامًا، ولا أحد عند طاولات البلياردو ولعبة طاولة كرة قدم، كان الجو كئيبًا لولا سلسلة من ملصقات أفلام "جيمس بوند" المعلقة على الجدران، وبضعة نباتات خضراء بلاستيكية. كان رجلان يتدربان عند حلبة الرماية التي يطل شباكها على الصالة، كما هو الحال في صالات السكواش.

شعرت المفتشة بالضيق، فتحسست بيدها مكان مسدسها الـ"سميث ويسون" الفارغ. وقفت "كابستان" على العتبة وهي تحاول بكل ما تملك من كرامة البحث بنظرها عن "فالنكور"ـ شعرت وكأنها بطلة في السباحة، وتقف أمام حمَّام السباحة بدون ملابس العوم.

ثم لمحته، كان جالسًا بمفرده إلى طاولة لأربعة أشخاص وإلى جانبه الحقيبة التي تحتوي أسلحته، وهو يشرب القهوة في كوب ورقي ويقرأ صحيفة. وراءه، كانت فيترينة مليئة بكؤوس وميداليات النادي، وبدا أنها تضفي مزيدًا من الجلال على منصبه الرفيع. رفع عينيه فرآها، وتجهمت سحنته الجميلة الأشبه بسحنة هندي أحمر، مع ذلك دعاها بإشارة مقتضبة من يده للجلوس، وهو يتوقع سبب زيارتها، فاقتربت "كابستان" مبتسمة ابتسامة عريضة؛ كان ثمة فرصة للحصول على معلومات، وعليها استغلالها بأقصى ما تملكه من حذر.

جلست بسرعة على الكرسي المقابل لـ"فالنكور"، وظهرها للصالة.

- صباح الخير سيدي، وشكرا لـ...

- اختصري.

فاختصرت "كابستان"، وكانت تكافح حتى لا تشعر بالغضب أو الاستياء، فجاء كلامها مقتضبًا:

- كما شرحت الأمر لمساعِدتكم، نحن ندرس من جديد ملف "ماري سوزيل"، التي قُتلت عام 2005 في "إيسي ليه مولينو"، الأمر حدث منذ زمن.. أعلم، لكنكم كنتم مكلفون بالقضية، وكنت أتساءل إن كانت لا تزال لديكم بعض المعلومات حولها.

فكر "فالنكور" لبضعة ثوان كمن يحاول أن يتذكر، ثم قال:

- نعم، "ماري سوزيل".. انتشرت موجة من أعمال السطو في المنطقة وقتها؛ بعض اللصوص المبتدئين كان يرعاهم تاجر مسروقات كبير، السيدة المسكينة سمعت صوتًا، فارتعب السارق وقتلها.

ثم هز رأسه بهدوء، وأضاف:

- في عمرها ذاك، لم يكن لديها أي أمل.

بدا عليه الاشمئزار، وهو ينظر نظرة الضابط الغارق في ذكرياته والمشغول باسترجاع القائمة الطويلة للأشخاص الذين لم يستطع توقيفهم، كما بدا عليه - رغم مظهره الصارم - الحزن مما أدهش "كابستان" أن ترى إنسانًا ذا مشاعر وراء ذلك القناع الصارم، ومع ذلك، لم تنس ما جاءت لأجله.

- الغريب أنه على الرغم من أن السارق مبتدئ، فهو لم يترك أي أثر.

- ماذا تتوقعين الآن؟ حتى المبتدئ يلبس قفازات؛ منذ انتشار المسلسلات التليفزيونية، وتلك القفازات في متناول أي أحمق يريد الحصول عليها.

- هذا صحيح، و"ماري سوزيل"، أي نوع من النساء كانت؟

رد عليها "فالنكور" باقتضاب:

- عندما عرفتها كانت ميتة، كما تعلمين.

بالطبع، قالت "كابستان" لنفسها.

ليس هذا ما أرادت قوله، وهو يعلم ذلك، واللقاء القصير الذي وافق المدير عليه لن يتحول إلى حوار طويل، وسيقتصر على الوقائع فقط، لقد فهمت "كابستان" الرسالة.

- أتخيل ذلك، نعم. كنت أقصد الشهادات التي لا بد أنكم جمعتموها وقتها.

- الشهادات، كما تعملين.. ولكن لماذا تريدين رسم شخصية الضحية في حادثة سرقة؟

ها نحن قد وصلنا، والأسئلة التالية ستشكك بطريقة أو بأخرى بطريقة عمل الفريق الجنائي على القضية وقتها، فإما أن الرئيس قد لاحظ هو أيضًا بعض التناقضات وسيساعد "كابستان" وفرقتها، أو أنه كان مقتنعًا بما توصل إليه فريقه من نتائج وبكفاءته، وسيعمل بالتالي على حمايته مهما كان الثمن.

كانت الجمل وصيغها الدقيقة تدور في رأس "كابستان"، فكانت تشعر كأنها تتعامل مع كرة من الشوك يستحيل الإمساك بها.

أخيرًا، أخذت نفسًا خفيفًا، ثم انطلقت:

- في الواقع.. برأيي.. هناك العديد من التفاصيل التي لا تنطبق انطباقًا تامًا مع فرضية السرقة؛ القفل على سبيل المثال..

فجأة، لمعت عينا "فالنكور" بذلك البريق الخاص الذي يحتفظ به فقط لمن يحتقرهم.

- انتظري، انتظري أيتها المفتشة، حتى أتأكد من أنني أفهمك جيدًا، هل تلمِّحين إلى أن تحقيقنا كانت تنقصه الجدية؟

بدأ يأخذ موقفًا عدائيًا، وكان لا بد من استغلال الموقف وإلا انتهى الحوار قبل حتى أن يبدأ.

- كلا، البتة، أنا فقط أتساءل..

فقاطعها الرئيس:

- تتساءلين؟

كان وجه "فالنكور" خالٍ من أي تعبير، وهو يحدثها بصوت جليدي:

- اسمعي، أعرف أنكم تحتاجون - وأنتم محبوسون في جحر الفئران ذاك - إلى أن تشغلوا أنفسكم، والتشكيك بعمل الزملاء السابقين هو أفضل تسلية للوضعاء، في المقابل، فرقتك ما هي إلا خزانة وضعنا فيها العناصر غير المرغوب فيها، وليست مدرسة للمبتدئين، فلا تجبريني على إضاعة وقتي في "تحقيقاتكم"، تريدين سد الثغرات في أعمالنا؟ فليكن أيتها الفتاة، إنما ليكن لديك على الأقل الأدب لكيلا تطلبي مساعدتنا.

"أيتها الفتاة!"، تساءلت "كابستان": لماذا لم يقل لها "أيتها الجميلة" وقد كان بوسعه؟ لقد بدأ المعلم جديًا في إثارة غضبها، مع ذلك قاومت رغبتها في أن تثور في وجهه وتسمعه شيئًا من قبيل "أيها العجوز"، وآثرت الصمت، فكلامه صحيح في النهاية لأنها هي من قبل بمخاطر الحضور بدون دعوة. لم تحصل على أية معلومة، وبوسعها الانصراف الآن.

كانت الصالة قد بدأت تمتلئ.

جاء ضابط يحاول أن يبدو بمظهر الرجل المسترخي، وألقى التحية على "فالنكور" بكثير من الجلبة. كان حليق الرأس، ويرتدي جاكيت جلديًا، ويحمل حقيبة أدوات موسيقية تحتوي بالتأكيد على بندقية هجومية وخرطوشًا أكثر منها جيتارًا ونوتات موسيقية، بدا عليه الاندهاش قليلًا عندما شاهد المفتشة، ثم غادر وابتسامة خفيفة على شفتيه؛ الابتسامة نفسها التي رأتها على وجوه زميليه السابقين، ما جعل "كابستان" تستشيط غضبًا.

نهضت ومدت يدها بأدب مرغم قائلة:

- اسمح لي بالانصراف سيدي، شكرًا لتعاونكم.

صافح الرئيس يدها الممدودة بابتسامة آلية، ثم تردد لحظة قبل أن يقول:

- إن كان عليك البحث عن خيط جديد، فعليك بالأخ، لكن انتبهي منه، إنه إنسان شرير وعدواني.

هزت "كابستان" رأسها، ثم توجهت نحو الباب تحت أنظار زملائها الشامتة، وهي تشعر بكرامتها مجروحة، ثم وبينما كانت تفتح باب الخروج، سمعت صوت المسدس الرشاش "بريتا (Beretta)" المميز، فسرت في جسدها الرغبة في ممارسة الرماية الذي حرمت منه.

15

?

في بداية تلك الظهيرة، كانت "إيفرار" و"ميرلو" مشغوليْن بمراقبة مدمن مخدرات، وهما جالسان على مقعد في حديقة "مونسو" يلعبان الشطرنج. كان "ميرلو" يتباهى بتعليم شريكته خفايا اللعبة، وهذه الأخيرة كانت تستمع إليه صابرةً، ولسان حالها يقول: هذا الرجل لا يعرف التمييز بين الثلاثة والخمسة في الدومينو، لكن الهواء كان عليلًا والحديقة جميلة، فكانت تتسلى بحساب احتمالات الفوز بالرهان على عدد عربات الأطفال والألبسة الرياضية، والتنانير والبنطلونات أمام ناظرها، لم يكن في نيتها إعداد دراسة إجتماعية، كانت فقط تعالج أرقامًا في رأسها بينما صوت "ميرلو" في الخلفية يذكرها بصوت موظف طاولة القمار.

في الجهة المقابلة لهما، كان مدمن المخدرات ساهيًا يحك باطن ذراعه ويضرب الأرض بقدميه، كان يبدو عليه التوتر ولسان حاله يتساءل عمّا يفعله في حديقة في الدائرة الثامنة البورجوازية، ألقى نظرة عصبية باتجاههما، ولدهشتهما يبدو أنه شعر بالطمأنينة لرؤيتهما. رمقت

"إيفرار" جارها بطرف عينها ونظرت إلى بنطلونه المصفر، ثم إلى حذائها الرياضي القماش (الكونفيرس) المسود من الاستخدام، وتساءلت مرة أخرى: ما الذي تفعله في حياتها؟ ثم تابعت تسليتها.. عربتان، بنطلون، ثلاثة بيجامات رياضة، تنورة.

تقدم رجل بخطى كبيرة في الممر الرئيسي، فاستعدت "إيفرار"، لم يكن به ما يميزه عن بقية الناس، كان فقط أقل أناقة وأكثر شحوبًا، وكان يصيح غاضبًا في الشجر والهواء والناس "ابن الحرام! ابن الحرام! ابن الحرام!"، ضحية أخرى من ضحايا مدينة باريس.

حسدته "إيفرار" فجأة على حريته المطلقة، تلك الحرية التي تشعر بها وأنت تسقط سقوطًا حرًا.. بعد أن تقطع آخر خيط يقيدك كإنسان، أسكرتها الفكرة، ثم تنهدت لتعود إلى واقع حياتها: المراقبة والمهنة والعودة إلى العمل، وسمعت زميلها "ميرلو"، يتحدث إليها:

- انظري إلى هذا، سأقدم طابيتي، وخمني ماذا بوسع هذه الوقحة أن تفعله، إنها لا تسير بشكل منحرف، هل تتخيلين؟ وعلنًا!

هزت "إيفرار" رأسها موافقة، لكن انتباهها كان منصبًا على متعاطي المخدرات الذي يراقبانه.

لقد وقف، لا بد أن أحدهم آتٍ، نعم.. لقد نجحت المراقبة، وها قد جاء رجل ذو بشرة سمراء، يرتدي جاكيت رياضيًا وجينزًا ضيقًا وربطة عنق رفيعة، وجلس على مقعد التاجر. كانا يتصرفان كأنهما لا يعرفان

بعضهما بعضًا، لكنهما كانا يتحادثان في الوقت نفسه، كان مشهدًا غبيًا، ثم فجأة وبكل أريحية وهما جالسان على المقعد وسط الحديقة، تصافحا.

كانت الأوراق النقدية بارزة من قبضة اليد، وكان بوسع الضابطة سماع خشخشة ورق الألمنيوم حول كيس المخدرات، إنهم فعلًا يتعاملون مع مغفلين مبتدئين، وتساءلت "إيفرار": كيف أن شخصًا مثله لم يتم القبض عليه قبل اليوم؟ غادر الرجل مقعده، فشدت "إيفرار" "ميرلو" من كوعه خفية، فانتفض هذا الأخير، وقال باستغراب:

- ماذا جرى لك؟

يبدو أنه بسبب ضباطٍ كزميلها هذا، يتمكن المغفلون من التسلل بدون محاسبة.

أشارت "إيفرار" إلى تاجر المخدرات برأسها، فنهض "ميرلو" متثاقلًا ليتابع المراقبة.

توقف الهدف، ورفع نظارته الشمسية لينظر في تليفونه الجوال، فتجمد "ميرلو" في مكانه، وقال:

- لا داعيَ لتتبعه أكثر من هذا، فأنا أعرف عنوانه: فيلا "شيفر"، في الدائرة 16، إنه ابن "ريفرني".

- "ريفرني".. أليس وزيرًا، أو شيئًا من هذا القبيل؟

- إنه وكيل وزارة.

- الآن فهمت لماذا طُوي ملف القضية؛ لا يبدو على هذا التاجر أنـه ممـن يخـافون فيجرون بسرعة، وبالتالي فهـو لـن يبـذل مجهـودًا في إخفـاء عملـه، حسـنًا إذًا، فلـنُعلم "كابستان".

- بالتأكيد، هناك مقهى على الناصية، لا بد أن لديهم تليفون.

لم تشأ "إيفرار" القول إنها تملك تليفونًا محمولًا، مثل كل الناس، فبين الـزملاء، لا بـد أن تتعلم كيف تحافظ على الصداقة.

دخلت مقهى "كارنو" وطلبت عصير الفراولة، "ميرلو" كان سعيدًا؛ فها هي قضية قد حُلت بسرعة، والفضل كله يعود إليه.

?

16

خرجت "كابستان" من المصعد بصعوبة وهي تجر عربة خضار وردية غامقة مليئة بالحطب حتى حافتها، دخلت إلى القسم بظهرها وهي تجر حمولتها حتى وصلت أمام الدفاية. كان الجو مفعمًا برائحة شمع التلميع، والأرضية تبرق مثل حبة أبو فروة خرجت للتو من قشرتها، وكانت مقشة مغلفة بخرقة مبللة بالشمع السائل مركونة إلى الحائط خلف كرسي "لوبروتون".

سلمت "كابستان" على الرائد وعلى "روزيير" التي كانت تمسك بكيس من الشاي فوق كأسها، بينما كلبها ملتصق بحذائها الأزرق، ردا عليها التحية بدورهما، و"توريز" مثله مثل "أورسيني" كان بالتأكيد معتكفًا في مكتبه. طوت المفتشة حاجز المدفأة وركنته جانب عربة الخضار، ثم نزعت معطفها وبدأت رصَّ الحطب على يمين الدفاية.

سألت "روزيير" وهي تلقي كيس الشاي في سلة المهملات من الجلد الأخضر أسفل مكتبها:

- إذًا، كيف تسير قضية الجدة؟

- غير واضح حتى تلك اللحظة، غدًا سنذهب إلى منطقة "الكروز" لاستجواب الأخ. وأنتما، ماذا عن البحَّار؟

- أرملته مقتنعة أن صانع السفن هو من فعلها، ونحن سنتجه إلى البحر، ولكن هذا سيتم بعد غد لأننا بحاجة لأخذ موعد.

- ستكون لكل منا عطلته إذًا. ستذهبان بالقطار؟ لدينا ميزانية إن أردتم.

فقاطعتها "روزيير" وهي تنظر إلى "لوبروتون":

- كلا، بالسيارة، أنا أفضل ذلك كما أن "لوي بابتيست" لا يمانع.

هز رأسه موافقًا.

هرول الكلب، وقد أثاره الفضول نحو الحطب وتشممه بنية تحديد إذا كان سيستخدمه لقضاء حاجته، فنهرته "كابستان" وهي تشير بإصبعها إلى مكتب "روزيير".

التفت الحيوان إلى الاتجاه الذي أشار إليه الإصبع، لكن أقدامه ظلت مسمرة مكانها.

فأصرت "كابستان" قائلة:

- بكامل جسدك "بيلو"، ليس الرأس فقط.

استسلم الكلب لأوامرها، ولكن سرعان ما شده حدث جديد كليةً؛ كانت "إيفرار" تعلق معطف المطر الأزرق على المشجب في المدخل:

- صباح الخير أيتها المفتشة، لقد حددنا مكان سكن تاجر المخدرات، إنه فيلا "شيفر" في الدائرة 16.

انفرجت أسارير "كابستان" عن ابتسامة عريضة وهي تحمل قطعة حطب في كل يد:

- مدهش! عمل سريع وفعال، الوطن سيكون ممتنًا لك أيتها الملازم.

بدا على وجه "إيفرار" الأسف، إذ لم تكتمل فرحتها في المرة الوحيدة التي تسمع فيها إطراءً على كفاءاتها:

- نعم، إنما لا داعيَ للحماس الزائد، إنه ابن "ريفريني"، وكيل وزارة الأسرة، وهو ما يفسِّر بالتأكيد السبب وراء وجود الملف في آخر الصندوق، وأظن أنه ليس بوسعنا القبض عليه.

قالت "كابستان" مؤكدةً بنبرةٍ عاليةِ التفاؤل:

- بلى، بلى، إن خرج من بيته ومعه بضاعة، عليكم به.

دخلت أشعة شمس خريفية الغرفة، وصلت حتى الجدران الداخلية التي بدت كأنها تتفتح تحت حرارتها، كان يومًا يدعو للتفاؤل وليس العكس.

- أيتها المفتشة، لا أريد معارضتك، لكن إن كان الملف هنا، فهذا يعني أن فريقَ تحقيقٍ أكبرَ قد اضطر إلى العدول عن القضية منذ سنتين، رغم امتلاكه لإمكانيات أكثر، فالأمر لم يُترك لكي نعمل عليه نحن.

- نحن أيضًا قيد الخدمة، لم أقل إننا سننجح، قلت إننا سنجرب، طالما أن أحدًا لا يوقفنا، سنواصل التقدم.

هكذا تريد "كابستان" للأمور أن تسير، لديهم ما يكفي من العراقيل، وليس هناك داعٍ لخلق أخرى بأنفسهم، بعدها لكل حادث حديث.

فتحت "إيفرار" عينيها الزرقاوين البريئتين على اتساعهما، لكنها غير متأكدة، إذ لم يكن لديها رغبة قوية في الذهاب إلى الدائرة 16 والقبض عليه، ثم الدخول في نقاش لساعات مع محامي العائلة لتنتهي منه وهي صفر اليدين؛ كانت "كابستان" تتفهم موقفها، وما حدث لها مع "فالنكور" لم يرق لها هي الأخرى، لكن في الوقت نفسه، لا يجب على أعضاء الفرقة الركون والاستسلام لمصيرهم ولا أن يشلهم الكسل والسلبية كما يرجوا لهم الجميع، فإن كانوا سيتخلون عن القضايا دون حتى أن يؤمروا بذلك، فالأحرى بهم إذًا أن يذهبوا إلى بيوتهم فورًا.

قالت "إيفرار" وهي تشير إلى الشقة:

- ليس لدينا حتى زنزانة حبس.

فوضعت "كابستان" قطع الحطب التي كانت تحملها، وفركت يديها ثم أخذت سكينًا سويسرية صغيرة من حقيبتها اليدوية الضخمة، وتوجهت مباشرة إلى الحمام، ففكت المزلاج منتزعة بعض المسامير انتزاعًا، ثم ركبته على باب إحدى الغرف الداخلية، وعادت إلى الصالون وهي تغلق سكينها:

- ها قد أصبح لدينا حبس، ستكون الأمور أفضل حالًا بعد حين. عليكم باعتقال "ريفرني" هذا متلبسًا، كما يفعل عناصر الشرطة الجيدين، إن حدثت أية تعقيدات، تصرفوا كأنكم لا تعرفون شيئًا واتصلوا بي.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه "لوبروتون" وهو يراقب كل ما يحدث، مع ذلك انزوت "إيفرار" والشك ينازعها، لتتصل بـ"ميرلو" الذي بقي في مقهى "كارنو" احتياطًا.

لم تتوقع "كابستان" أن تبرز مسألة اعتقال أحدهم بهذه السرعة؛ كان بودها لو حصلت على المزيد من الوقت إلى حين أن تمسك بزمام الأمور أكثر قبل أن تبدأ في تحدي رؤسائها، ولكنها لا تملك أمام فريقها بأن تسمح لنفسها بالتغاضي عن أمر كهذا، وقبول فكرة أن تحرياتهم كانت من غير طائل، كان يعني قتل أي بوادر حماس لدى الفريق، لا بد لهذه الفرقة أن تكون مفيدة في شيء ما: ما هو بالضبط؟ هذا ما ستعرفه خلال بضع ساعات، عندها - على الأقل - ستكون حازمة فيما يتعلق بالتدخل.

التقت عيناها من جديد بعيني "لوبروتون"، خبط الرائد بقلمه على حافة مكتبه وأشاح برأسه جانبًا؛ دلالة على أنه كان ينتظر النطق بالحكم، تمامًا كما تنتظر هي، ابتسمت سريعًا وعادت إلى الحطب.

سحبت حامل الحطب من داخل الدفاية، كان على شكل تمثال نصفي لآلهة قديمة، ثم وضعتهما بتأنٍ على جانبي الدفاية، فركت يديها من جديد لتتخلص من غبار الصدأ الناعم الذي علق بهما.

جاءت "روزيير" تتأمل العمل:

- هذا عمل أنيق، سيكون من المناسب – برأيي - أن نضع مرآة كبيرة فوقها، في إطار مذهب.

لم تكن "روزيير" بحاجة للتشجيع في هذا الموضوع، لكن "كابستان" أومأت بذقنها موافقة، إذ كانت – مبدئيًا - تتجنب أن تقف عائقًا أمام فعل الخير، ثم سألتها:

- ألديك واحدة؟

فقالت "روزيير" بصوت جهوري وهي ترفع التليفون الأرضي على مكتبها:

- بالطبع، سأتصل بأحدهم.

ثم أضافت والسماعة مضغوطة على كتفها:

- لا بد أيضًا من نجفة تتماشى مع الديكور.

- نجفة!

شعرت "كابستان" بالرياح التي تسبق هبوب العاصفة. تأكدت تمامًا أن معارضتها ستفتح عليها حربًا ضارية، رضخت بقولها:

- حسنًا، إذا كنتِ ترين هذا مناسبًا.

17

بعدها بساعة، وصلتهم مرآة برونزية مذهبة ونجفة بكريستالات، فاحتفلت "كابستان" و"روزيير" بالمناسبة بارتشاف شاي ساخن جدًا على الكراسي الطويلة في البلكون.

كان خريفًا دافئًا رائعًا للاستمتاع أمام نار المدفئة أو في البلكون؛ تناهى إليهم صخب الباريسيين الذين يتسكعون حول النافورة: ضحكاتهم وأصواتهم العالية، ورنات التليفونات المحمولة، والكلاكسات الخفيفة لدراجات البلدية وأصوات رفرفة الحمام، ومن بعيد جاءهم صوت طبلتين إفريقيتين تتحاوران بتكاسل، وعلى إيقاعهما سار الناس ببطء في هذا اليوم الذي انتصف نهاره.

جاء "لوبروتون" واتكأ بمرفقه على جدار البلكون الحجري ليشعل سيجارته، ومع لطافة الجو طالت الاستراحة، وطال انتظار جرس التليفون، ثم - وأخيرًا - رن الجرس، ونهضت "كابستان" فورًا للرد كما يليق بالجندي الملتزم، كانت في طريقها لسماع الحكم من "بورون" بنفسه.

أخذت نفسًا ثم رفعت السماعة؛ إنه المدير فعلًا يتكلم، ولم يكن في صوته ما يـوحي بالحفاوة:

- أفراد فرقتك عند "ريفريني"، أليس كذلك؟

- نعم، هو كذلك. فعلى العكس مـن ابنـك الكامـل الممتـاز والمتفـوق في كـل شيء والحاصل على الشهادات مـن كـل مكـان، فإنـه "ريفرينـي" الصـغير يتـاجر بالمخـدرات وبأسوأ أنواعها.

- "كابستان"، ما الذي تَسْعَيْنَ إليه بالضبط؟ أنـا أمنعـك مـن القـبض عليـه أو حتـى استدعائه.

- عفوًا؟

- لن يقبل أي قاضٍ تحقيق النظر في القضية، حتى في المـرات السـابقة عنـدما كـان المحققون ضباط شرطة حقيقيين.

ثم خفف المدير من حدة كلامه قليلًا، وقال:

- سبق أن حاولنا كل ما تحاولين القيام به الآن، فلا داعيَ لأن تتعبي نفسك.

- هذا لا يتعبني، أنا في أحسن حال.

- "كابستان"، أرجوكِ؛ الأمر في غاية الجديـة، هـل هـدفك هـو معرفـة أقصى مـدى بوسـعك الوصول إليه؟ سأكون صريحًا معك كما لم أكن في حياتي: القضاة لا يعلمون بوجود فرقتك حتـى، فرقتك ليست قادرة على هذا النوع من القضايا.

صدمت الجملة الأخيرة "كابستان" وأغاظتها، ثم وعلى الطرف الثاني من السماعة، سمعت الصمت ثم طنين الخط فقررت إغلاق سماعتها بدورها؛ لم يكن بالإمكان الاختلاف مع نيابة عامة لا يمكن التواصل معها.

كانت تتوقع حدوث ذلك، فجأة شعرت بالحرارة تصعد في وجهها؛ كانت تشعر بالغيظ والحنق. لقد شرح "بورون" قواعد اللعبة منذ البداية، هذا مؤكد، لكنها كانت تجد صعوبة في تقبل الرفض بهذه السرعة؛ هذه الفرقة تستحق معاملة أحسن، كما بوسعها القيام بعمل أفضل من هذا.

فار الأدرينالين في عروق "كابستان"، فأخذت نفسًا عميقًا وزفرته لتخرج كل الأفكار المظلمة التي كانت تثقل دماغها؛ عليها التفكير والالتفاف حول الحواجز التي رفعها المدير في وجههم، فصاحت وهي تقف في منتصف الصالون، قاصدةً أن يُسمع صوتها من البلكون حتى المكاتب التي في الخلف:

- هل يعرف أحدكم الرئيس "فومنكو"؟

ساد صمت بعد سؤالها، وكانت على وشك إعادته بصيغة أخرى عندما دلفت "روزيير" إلى الصالة وفنجان الشاي بيدها، وعلى وجهها ابتسامة ذات معنى، ثم قالت بصوت أجش:

- أنا، أنا أعرف ذلك الوحش جيدًا.

لم تكن "كابستان" بحاجة لمعرفة المزيد، لكن الخبر جاء في وقته تمامًا.

- اسمعي، "بورون" لم يسمح لنا باحتجاز "ريفريني"، وعلى فرقتنا الرضوخ والانصياع - رسميًا على الأقل - لكنني أفكر في فرع مكافحة المخدرات، لا بد أن لديهم أسبابًا إضافية للقبض عليه. "فومنكو" له

جمايل على الرجال الذين خدموا معه سابقًا، فربما كان بوسعه دفعهم للاهتمام بالولد، أو إن لم يستطع، فيمكنه مساعدتنا بطريقة ما، لكن قبل ذلك لا بد من إقناعه، هل يبدو لك هذا ممكنًا؟

فأجابت "روزيير" وهي تفكر:

- نعم، لم لا؟ لكن، هل هي مهمة حقًا إلى هذه الدرجة، قصة بائع المخدرات هذا؟

- نعم، إن تنازلنا بهذه السهولة، فسيشوه ذلك سمعة جميع عملياتنا لاحقًا ويفقدها مصداقيتها، سنصبح مهرجين.

فقالت "روزيير" معززة كلامها:

- ونحن لسنا مهرجين.

- بالضبط.

كانت "كابستان" تتحسس بإبهامها جرحًا في يدها الأخرى على طول سبابتها، ذكرى رقيقة لسقطة وهي تتزلج، أول درس لها في الحذر وقد فشلت في حفظه، ثم أضافت بصوت خافت لكن به نبرة التصميم نفسها:

- فلنكن واضحين عل الأقل، إن مستقبلنا يعتمد على توجيه الاتهام لابن "ريفريني"، فإن قدمنا هذا الشاب للقضاء، عندها فقط نكون قد انطلقنا في طريقنا.

فقالت "روزيير" وهي تتحسس السلاسل على عنقها:

- نعم، فهمت.

كانت سعيدة لاكتشاف أن ثمة أملًا في مكان ما، وأن عليهم السعي وراءه.

18

بقيت "إيفرار" و"ميرلو" في الحي الذي يسكن فيه "ريفريني"، بانتظار أن تأخذ المكالمات التليفونية مجراها صعودًا وهبوطًا بين مختلف الرتب، قبل أن يصل القرار النهائي، فبعد حديثها مع "بورون" اتصلت بهما "كابستان"، لتطلب منهما الانتظار مكانهما حتى تصل تعزيزات محتملة. "إيفرار" نقلت لها صورة ما يجري من وجود بستاني في محيط الفيلا، وأنهما شاهدا الابن يضع المخدرات في علبة حديدية تحت حجر مسطح - لم يتحركا، وبالتالي، في حال حدثت مداهمة، سيعرفان أين يبحثان.

مع ذلك، فقد دق الشرطيان الجرس لطرح بعض الأسئلة دون الكشف عن حقيقة ما يجري، وقد تلقى الفتى المتبجح الأمور بسوء نية وهدد باستخدام القوة، فتدخل "ميرلو" بصرامة وواجه الشاب دون أدنى تردد، رغم أنه أقصر منه بثلاثين سنتيمترًا وأكبر بثلاثين سنة، وسرعان ما هرع الولد عند أبيه يشتكي له.

ذلك التضامن الفجائي من طرف "ميرلو"، أثار فضول "إيفرار" وإعجابها، هي من كانت ترى فيه مجرد شرطي متحاذق، كان تكاملهما يبعث فيها ثقة جديدة، في حين كان تاجر المخدرات يستفزها، وعليه، فكان لديها سببان وجيهان لانتظار وصول فرسان "فومنكو".

لكن هيهات، فقد عادت "روزيير" بِخُفَّيْ حُنَيْن آخر الظهيرة، وقد ظهر أن "فومنكو" كان على علم بما يحدث لكنه لم يكن ينوي جلب المتاعب لنفسه بهذه التفاهات، فالفتى غير ذي بال ولا يستحق المشاكل التي قد يسببها اعتقاله، كما أنه يكره أن يضيع كومة من الأوراق والأحبار لأجل ولد سوقي سيخرج بعد ربع ساعة وهو يبتسم بشماتة، هذا دون ذكر سلطة أبيه التي كانت ستكبح أي تقدم في القضية لعشر سنوات قادمة، وقال الرئيس أيضًا لـ"روزيير": "لو أننا نتكلم عن تاجر مخدرات بحجم وقوة بارون المخدرات "بابلو إسكوبار" لما اعترضت، أما هذا الفرفور الذي بين أيديكم الآن، فالأفضل أن تصرفوا النظر عن قصة اعتقاله".

كانت "روزيير" مسرورة لرؤية صديق قديم وفرصةِ أن تدخن بعضًا من الحشيش المغربي، لكنها كانت تشعر حقيقة بالأسى لفشل مهمتها الدبلوماسية، فليس من الممتع أن يخيب ظن المرء بهذه الطريقة.

قالت "كابستان":

- فهمت، شكرًا لأنك حاولتِ أيتها النقيب.

في النهاية، لقد تعلموا الكثير من الأشياء اليوم.

"فومنكو" كان ألطف وأكثر تهذيبًا من "فالنكور"، لكنه لم يختلف عنه في رفض توسلاتهم إليه رفضًا قاطعًا، وفي المحصلة، "بورون" كان يمنع اتخاذ خطوات رسمية، والكبار في الإدارة العامة يرفضون التعاون "الأخوي" شبه الرسمي - الفرقة بمفردها، بمفردها تمامًا، وعليها أن تتدبر أمورها على هذا الأساس، أو أن تعمل على شق طريقها بالقوة بما تملكه من إمكانيات خاصة بها.

سارت "كابستان" في الممر، وطرقت على أول باب على اليمين. داخل المكتب، كانت ملصقات أكثر حفلات أوبرا باريس بهاءً وأبهة تملأ الجدران، ومبخرة يخرج منها رائحة اليوسفي اللطيفة، بينما كان الراديو الموضوع على محطة "فرنسا ميوزيك" يبث بصوت خافت. على طاولة مرتفعة من الزجاج الغامق، تكدست عدة مجلدات في القانون فوق بعضها بعضًا، ضمنها نسخة قديمة من موسوعة "دللوز (Dalloz)" القانونية.

كان النقيب "أورسيني" يدون ملاحظات على دفتر صغير، هذا المخبر بقفاذاته القطيفة، الرجل المختص في كشف بؤر الفساد في جهاز الشرطة للصحافة، وهو ورقة "كابستان" الرابحة التي تخبئها للأزمات، رفع إليها وجهًا مستفهمًا عمَّا تقوله له:

- نقيب "أورسيني"، هل تستطيع مساعدتنا في إتمام تحقيق، لو سمحت؟ الموقع في فيلا "شيفر"، الدائرة الـ16. فريقنا هناك وسيشرحون لك القضية.

⊙⊙

جالسًا على كرسيٍّ بالقرب مـن أَسِرَّةِ بناتـه المتقابلـة، وسـاقاه ممـدودتان في شبشـبه القطيفة المنقط، كـان "تـوريز" يقـرأ بصـوته الجميـل الخافـت مغـامرات "كليمنتـين في الطريق"، وكانت الفتاتان تصغيان إليه وهما تداعبان خصلات شـعرهما الأسـود، بيـنما إحداهما تنظر إلى السقف والأخرى أسفل سرير أختها.

بعد توقف مقصود لمضاعفة التشويق، قلب "توريز" الصفحة وكان فيها رسم بـدائي لصالة رقص فيها تليفزيون ومُشغِّل "دي في دي".

جهاز الـ"دي في دي" كان موجودًا في صالون "ماري سوزيل"، وفي أيامنا هذه، لم يعد اللصوص يتكلفون عناء حمل مثل هذه الأجهزة، لكن في العام 2005، فلقد قـام القاتـل بإنهاء أموره في ساحة الجريمة على عجل، فهل نسي أن يسرقه، أم أنه لم يكن يريد إثقال نفسه بحمله؟

19

"جابرييل" كان في غرفته يتأمل صورة أمه في إطارها القديم الأسود، لم يتبق سوى هـذه الصورة في كل الشقة؛ لقد أزيلت كل الصور من الجدران ثم الرفوف شيئًا فشيئًا - أصلًا، لم يكن لديهم الكثير من صور أمه.

كان "جابرييل" قد رسم عشرات الصور انطلاقًا من هذه الصـورة، وأغلـب تدريباتـه على الرسم بالفحم أو بالألوان المائية وحتـى في الرسـوم المتحركـة، رسـمها بالاسـتناد إلى هذا الرسم. كان قد احتفظ بستة عشر من رسوماته تلك، جميعها مـن القيـاس نفسـه، وقد علقها في أربعة صفوف فوق منضـدة السريـر. كـان ثمـة اخـتلاف طفيـف جـدًا في خطوط الوجه بين كل رسم، ما يوحي بأن أمه كانت تتقدم في العمر.

سمع "جابرييل" طرقةً على الباب، ثم ظهر أبوه بقامته التي سـدت البـاب كلـه. منذ إعلان الزواج وهو يبتسم من وقت لآخر ابتسامة مرتعشة، بدا واضحًا عليه أنه لا يوافق على هذا الزواج، وودَّ "جابرييل" أن يطمئنه؛ أن يقـول لـه مـثلًا حتـى وإن غـادر المنـزل فهـو فلـن يبتعـد عنـه كثـيرًا، وأنـه سـيزوره في الآحـاد أو أيـام

السبت أو مساء خلال الأسبوع، وربما كل يوم إن لزم الأمر، لكن أباه لم يكن إطلاقًا من ذلك النوع من الرجال الذين بوسعك التحدث إليهم بهذه الطريقة، لم يكن من النوع الذي بوسعك طمأنته بالتربيت على يده.

تسمر أبوه عند العتبة، مرتديًا البولوفر الصوف الأزرق القديم نفسه ذا الرقعتين على الكوعين، كان ممسكًا بيده بشاكوش ومسامير، بدا وكأنه مَرَّ هنا صدفة، فأراد "جابرييل" ممازحته:

- لا أدري ماذا تنوي فعله، لكن برأيي أنه من الأسهل لك القيام به باستخدام مسمار أو مفك.

ابتسم أبوه، وتظاهر بأنه لم ير الشاكوش في يده:

- لهذا كنت أقول لنفسي ما قصة هذا الجدار ولماذا لا يتعاون معي.

كالعادة، شعر "جابرييل" ببعض الحرج لمفاجئته واقفًا أمام الصورة، فحاول التبرير مستغلًا العاطفة الأبوية، فأشار بإبهامه إلى الصورة إشارة غير ذي بال، وقال:

- أنا متأكد من أنها كانت ستعشق "مانو"؛ تبدو حماة مثالية، أليس كذلك؟ كانت ستفخر بها، ألا تعتقد ذلك؟

- بالتأكيد.

اجتهد "جابرييل" ألا ينتظر التالي، فالتفت لينبش في علبة أقلام الرصاص بحثًا عن مسمار، كان عليه إزاحة تماثيل كوميكس لشركة "مارفيل" العالمية التي تغطي مكتبه.

- كم كان عمرها حين التقيتها؟

قبل أن يضيف وهـو يمـد لأبيـه مسـمارًا وجـده بـين كومـة مـن الـدبابيس الورقيـة والمطاط:

- خذ.

أخذ أبوه المسمار، ووضعه في جيبه وهو يقول:

- شكرًا. كان عمرها ستة وعشرين عامًا، سبق أن قلت لك هذا.

- تبدو أكبر في الصورة.

بدرت من أبيه حركة، كمن يريد أن يقلب الصورة، لكنه توقف في الوقت المناسـب، ثم - وقد أربكته يده الممدودة بلا فائدة - وضعها في جيب بنطلونه الرمادي.

أشاح "جابرييل" بنظره نحو النافذة، كان بوسعه رؤية كميات كبيرة مـن السـيارات في شارع "بو مارشيه"، سيارات من كل الألوان تحـت غيمـة رماديـة مـن غـاز العـوادم. الإشارة حمراء، والأقدام على المكابح تلمسها، فالمحركات لم تتوقف عن الهدير والمداخنُ عن نفث الدخان، مستعجلة الانطلاق من جديـد، وقبـل أن يقلـب الضـوء إلى الأخضر، عشَّق السائقون الغيار الأول، وتقدموا عشر سنتيمترات تافهة.

أردف أبوه بنبرة عالية قليلًا:

- وماذا عن أهل "مانو"؟ هل هم سعداء؟ يجب أن نـدعوهم للعشـاء، سـأترك لـك مسألة تحديد التاريخ.

لم يصدق "جابرييل" أذنيه؛ عشاء؟ سيأتي أناس لبيتهم؟ هذا تقدم ملموس.

ولكي يخفي فرحه - الذي لم يسعه - ظل يحدق في النافذة، وأسدل الستارة ليحجب منظر المرور، دون أن يقلل ذلك من الضجيج القادم من الشارع، وعندما استعاد ابتسامته العادية، فتش في جيب بنطلونه البرمودا الجانبي عن موبايله، ذلك البرمودا البيج السعيد الذي يبرز جمال عضلات ساقيه، وإن كان لم يخطر بباله مطلقًا - قبل أن يتعرف على "مانو" - أن سمانة الساق شيء جميل، أما الآن، فهو لا يخلعه أبدًا، مهما كانت حرارة الطقس.

- سأتصل بـ"مانو" فورًا لأقترح عليها الدعوة.

تلاشت لحظة الحرج أمام الصورة، وسأل "جابرييل" وهو يفتح تليفونه:

- وماذا عن دفتر العائلة؟ هل فكرت فيه؟

- نعم، نعم، سأتولى الأمر، لكن قد يستغرق ذلك بعض الوقت، أنت تفهم ذلك، أليس كذلك؟

- نعم، بالتأكيد بابا.

الواقع كلا، "جابرييل" لم يكن واثقًا أنه فهم، ففي الربيع سينتقل رسميًا إلى مصاف البالغين. "مانو" كانت تقول إن حياة المراهقة وأفكارها أمر جيد، مع ذلك، كانت تعرف أنه قد تجاوز تلك المرحلة منذ زمن بعيد.

كانت عشقه وملاذه، وهو على وشك الزواج منها، لكنه لم يزل يجد صعوبة في إدراك ذلك، فكلما مرت هذه الفكرة برأسه، اجتاحته موجة من الحرارة،

وشَدَّتْ السعادة على صدره واعتصرته، سعادةٌ نابضة بالحياة لدرجة أنها لامست الحزن الكامن داخله؛ شيء ما كالحنين يجتاح الإنسان في لحظة ما.

جلس "جابرييل" على حافة سريره، في مواجهة صورة أمه، ورث عنها البشرة الداكنة واستدارة الوجه، وخلقته التامة كانت ناقصة عند أذنيه، فقد قطعت شحمة أذنه اليسار وعمره بالكاد سنتين؛ وكان ذلك بفعل كلب، كما يقول أبوه، ولكنه لا يتذكر ما حدث، لا مع أذنه ولا مع نصف خنصره الأيمن الناقص، "جابرييل" لا يتذكر أي شيء إطلاقًا.

كذلك الأمر بالنسبة لأمه، فهو يجهل ما حدث لها. اعتاد أبوه التحدث عنها كثيرًا، عندما كان "جابرييل" طفلًا، ثم جف النبع، وشيئًا فشيئًا أصبحت كل الأسئلة التي يسألها "جابرييل" تصطدم بالدموع التي حاول أبوه عبثًا إمساكها. كان منظر أبيه بجسده العملاق وعيونه الحمراء مخيفًا، ولم يكن "جابرييل" ليحب بطبعه تعذيب الآخرين، فانتهى به المطاف مع مرور السنوات بأن تخلى عن السؤال، واختار طوعًا التقوقع تحت طبقة قطنية سميكة من الصمت.

قريبًا، سيصبح هو أيضًا – ربما - أبًا، وعندها سيكون عليه هو الإجابة، ولن يكون لديه أي شيء ليقوله، لقد آن الأوان للبحث عن جواب، وبات لزامًا عليه القيام ببعض التحريات عن الموضوع.

20

كرر "توريز" كلامه لـ"كابستان" اللامبالية:

- طبعًا، الخطر حقيقي.

كانت ترفع عينيها للسماء بعد سماعها لكل جواب.

وقفت أمام سيارة "الكليو" المستأجرة، ويدها على قبضة الباب. غادر آخر المسافرين جراج محطة "لا سوتيرين" في منطقة "الكروز"، وهم يتنفسون الصعداء، لوصولهم متأخرين أكثر من ساعة في رحلة بالكاد تستغرق ثلاث ساعات عادة؛ ذلك أن جزءًا من الكبل الكهربائي سقط فوق السكة الحديد بفعل فاعل، وبعد أن تجاوزوا مئات الكيلومترات من المناظر الجميلة، ظلوا عالقين في مكانهم عند مخرج أحد البلدات، في مكان طالت فيه وتعالت الأعشاب الصفراء، محاطين بالأسيجة الشائكة المتراكمة، ولفات الكبلات الكهربائية.

راحت "كابستان" تتأمل هذا الديكور الحزين عبر نافذة ملطخة بنقط من سائل التنظيف. لم يكن في القطار الذي يستقلانه عربة مطعم، أما

عربة البيع المتنقلة فقد نفد ما عليها قبل أن تصل إلى عربتهما في الدرجة الثانية. تقاسمت مع "توريز" علبة "بونبون ريكليس (Ricqles)" بالنعناع التي تحتفظ بها في قعر حقيبتها، وهي تعِد نفسها أن تكون أكثر اعتمادًا على أموال الدولة في المرة القادمة، وأن تسافر في الدرجة الأولى.

الأمر الأكثر إرهاقًا؛ كان اضطرارها إلى استماع "توريز" وهو يعتذر طوال الرحلة عن التأخر الذي حصل، ولم يفد "كابستان" شيئًا تأكيدها على براءة الملازم من حادثة سقوط كبل الكهرباء، فقد استمر يدمدم بقوله "أنا أعرف نفسي، أنا أعرف نفسي"، كان خائفًا؛ إنه شعور داخلي دائم لديه وقد زاده هذا الوقت المستقطع ثقلًا.

كانت فكرة النحس مسيطرة على "توريز" وتساءلت "كابستان" إن كان هذا الشعور الفتاك يؤثر على حياته الخاصة أيضًا أم أنه أمر خاص بحياته المهنية كشرطي. المسكين كان يسير في هذه الحياة وظهره مثقل بالأحمال، بين ندم "قابيل" وسيف "دموقليس".

⊙⊙

بعد أن أصبحا في السيارة التي دخل من نوافذها المفتوحة الهواء المنعش، امتدت أمام الملازم منطقة "الكروز" العزيزة على قلبه، فشعر صاحبنا ببعض الاسترخاء، لكن ليس لحد الابتسام؛ كل ما حدث هو أن حاجبيه قد عادا إلى شكلهما الطبيعي.

انسابت الطريق بين التلال والحقول والغابات، وكانت "كابستان"، والريح تلفح وجهها، تكتشف معنى الخريف الحقيقي. هنا، لا وجود للمدن

ذات اللون الموحد، أو الأخضر اللا متناهي لأشجار السرو على قمم الجبال، هنا كانت ألوان الطبيعة ترقص على إيقاع الفصل: أشجار السنديان بلونها الأحمر البرتقالي، والكستناء بلونها البني، والزان بلونها الأصفر الفاقع، لكل نوع من الشجر تناغمه الخاص مع شهر أكتوبر، وكان خضار السهول يكمل هذه اللوحة التي أبدعها رب العالمين. لا ضجيج، لا لون رمادي، ورائحة تفتح الطبيعة تفوح في كل مكان. كان الهواء عليلًا نقيًا تستنشقه الرئتان ملء اتساعهما، فينفذ إلى خلايا الجسد واحدة واحدة، ثم يصعد حتى الدماغ الذي أفسدته المدينة. كانت "كابستان" منبهرة وقد لاحظ "توريز" ذلك، فانفرجت أساريره واعتبر انبهارها إطراء شخصيًا.

عبرا قرية، ثم لاح لهما منزل بورجوازي من القرن 18، وكانت شجرة دالية أرجوانية تغطي واجهته بالكامل حتى السقف المصنوع من حجارة الأردواز السوداء. تألف البيت من طابقين، وآثار الصدأ بادية على مصاريعه المعدنية.

من الشارع، رأت "كابستان" ورقة معلقة على الباب. دفعت المفتشة البوابة فأصدرت صريرًا مكتومًا، وتابعت السير والحصى يصدر صوتًا تحت خطواتها، فقالت لنفسها يا له من صوت جميل وحقيقي، ثم وجدت تفكيرها هذا غريبًا وفي غير وقته. الورقة كانت رسالة من "أندريه سوزيل": "أنا في البركة، في كوخ الصيد على الجزيرة الصغيرة".

قبل أن ترجع إلى "توريز" الذي كان ينتظرها مسندًا ظهره إلى السيارة، لاحظت "كابستان" أمرًا غريبًا وهو وجود أطباق صغيرة لإطعام الطيور فوق عدد من الأشجار، مع أن الشتاء لم يدخل بعد.

- "أندريه سوزيل" ينتظرنا في كوخ الصيد، لكنني أريد المرور على المقبرة قبل الذهاب إليه.

فقال "توريز" مستغربًا:

- لماذا المقبرة؟ هل تريدين الصلاة؟

- كلا، "ماري سوزيل" مدفونة هناك، وأريد التأكد من شيء ما.

في السيارة، كان جاكيت "توريز" السميك يعيقه عن ربط حزام الأمان، ما اضطره للمحاولة مرتين ودفع رئيسته لسؤاله باستغراب:

- ألا تشعر بالحر بهذا الجاكيت في هذا الجو؟

- قليلًا، لكنه سيصبح مناسبًا جدًا بعد شهر، ثم إن فيه جيوبًا.

وأنهى حديثه وهو يدير مفتاح التشغيل:

- أنا لا أحب البرد.

⦿⦿

المقبرة كانت جاثمة على خاصرة إحدى التلال، أعلى القرية. كان يمكن رؤية جرس الكنيسة والهيكل الأسود لديك الرياح، وخلفه تمتد سماء زرقاء، بينما السهول تمتد على مد البصر، مليئة بالأبقار الشقراء. أمام هؤلاء الأموات منظر جميل، ولديهم الوقت الكافي للتمتع به! مدفن عائلة "سوزيل" كان إلى الأعلى قليلًا أيضًا، مستند إلى جدار من الحجارة المستديرة تحميه من الرياح.

رخام القبر والشاهد بحالة ممتازة، لا أثر للطحلب أو للمطر أو للطين؛ كانت البلاطة تلمع، والعناية الشديدة ظاهرة عليها، وقد أحيطت بورود

ندية. على الأرض - حول القبر - زُرعت ثلاثة صفوف من نبتة الأزاليا في تربة مسمدة جيدًا غاية في التنسيق.

"كابستان" لا تزال تذكر الفوضى في بيت الضحية في "إيسي"، أمَّا قبرها، فإن أخاها يقوم بعمل لا ينبع إلا عن محبة.

رأت المفتشة ما كانت تريد رؤيته، و"توريز" الذي بقي عند البوابة، كان يقرأ الإعلانات الصغيرة على لوحة البلدية، وكان يبدو عليه القلق.

نزلت "كابستان" بضع درجات للوصول إليه، وبالقرب من إحدى الممرات، شاهدت لوحة كتب عليها "لن ننساك أبدًا"، وقد سقطت أرضًا وغاص قسم منها في الأرض، وإحدى زواياها مكسورة.

نظرت "كابستان" إلى صور كل هؤلاء الأموات الذين يبتسمون للأجيال القادمة، لم يعد لهم وجود إلا هنا، في هذه القطعة من الأرض، محصورون ضمن إطاراتهم المزخرفة.

- هل نذهب؟

فصاح "توريز" بنبرة المتشائم:

- هذا فخ!

- لن تبدأ الحكاية نفسها من جديد.

فنقر الملازم بسبابته على الإعلان الأصفر كما ننقر على الباب:

- "سوزيل" ليس لديه ما يفعله في هذا الكوخ، فموسم الصيد قد انتهى.

هزت "كابستان" كتفيها غير مهتمة لما قاله "توريز"، بينما دس هـو يديـه في جيوبـه وراح يحدق في حذائه، وقال:

- الأولى بنا ألا نذهب؛ يراودني شعور بأن أمرًا سيئًا سيحدث.

بدأ إصرار الملازم يثير "كابستان"، وقد خشيت أن يـؤثر عليهـا بسـلبيته، فمـن فـرط مـا يتمثل دور المتنبىء بالمستقبل، سينتهي به الأمر بجلب المتاعب حقًا، لم تكن المفتشة تؤمن بالنحس، لكنها كانت تخاف من عناد المتشائمين.

وصلا إلى البحيرة في بضع دقائق. كـان ثمـة طفـلان يلعبـان عـلى الأرجوحـة الـدوارة في حديقة الألعاب الصغيرة وصراخهما يمـلأ المكـان. إلى الأمـام قلـيلًا، جزيـرة صـغيرة تغطيهـا أشجار البلوط والكستناء، وفيها كوخ خشبي صغير.

عبرا إلى الكوخ فوق تل ترابي صغير يعمل عمل السد، ونشرت الأشجار الكبيرة ظلالها في كل مكان، فنمت الطحالب وتكاثرت، فأصبح الهواء مـثقلًا برائحـة التربـة المختلطـة ببقايـا أوراق الشجر والحيوانات. تقدما نحو الكوخ وكان بابه مفتوحًـا. تـكسَّرت تحـت أقـدامهما الأغصان الصغيرة والأوراق الميتة.

أمسك "توريز" بذراع "كابستان" بحركة خفيفة محاولًا منعها من المضي أكـثر، لكنهـا رفضت الانصياع له؛ على الملازم أن يتخلص من قيوده، وسـتثبت لـه أن بوسـعه العمـل معها دون أن تنزل عليهما لعنات السماء.

طرقت بحزمٍ على خشب الباب ثم دلفت إلى الكوخ. الغرفة الصغيرة كانت مظلمـة، ولم تتح لعيني "كابستان" الفرصـةُ للاعتيـاد عـلى الظـلام، إذ تلقـت ضربـة عنيفـة عـلى صدغها، ثم اجتاحت جمجمتها لمعة من الألم، وفي ثـورة صـعود الأدرينـالين في عروقهـا، وَمَضت فكرة أخيرة في عقلها قُبيل سقوطها: "عندما أستيقظ، سأقتلك كائنًا من تكون".

21

صاح بهما "سوزيل" بصوت محموم:

- لن تنالوا مني بهذه السهولة!

"توريز" كان واقفًا ويداه في الهواء على بعد مترين من السلاح الموجه إلى صدره، وهي بندقية "براونينج" قديمة، لا بد أنها صنعت في السبعينيات، وكانت يدا الرجل ترتجف وهي تمسك بها، لكن وجهه بدا حازمًا. كان ينظر بقلق إلى "كابستان" المطروحة أرضًا بالقرب من المدخل، وكان من الصعب معرفة إن كان قلقه لأنه يخشى أن تستيقظ، أو على العكس ألا تستيقظ.

"توريز" الذي - للأسف - لطالما كان يتوقع حدوث هذه المواقف، كان يحاول التحكم بسيل المشاعر الذي تجتاحه، لن يفقد شريكته، لا يمكن لهذا الأمر أن يتكرر. كان صدغ "كابستان" اليسار ملطخًا بالدماء، وبدا أنها تتنفس لكن دون حراك، وبشرتها بدأت بالشحوب.

لقد أنذرها، لماذا لم تستمع إليه؟ سيطر "تـوريز" عـلى أعصـابه وهـو يقـاوم نوبـات القلق العصبي داخله، فإن كان يريد إنقاذ الموقف، فعليه الحفاظ على تركيزه.

"سوزيل" كان عصبيًا؛ عيونه الزرقاء الصغيرة الحادة تتحرك في كل اتجـاه، وخصـلات من شعره الأبيض ملتصقة بجبهته التي تلمع من العرق، يجب على "تـوريز" التخفيـف من حدة التوتر السائد في الكوخ واستعادة شيء من الهـدوء، وكـان عليـه هـو أن يمنـع الوضع من التدهور، فبدأ بالكلام متقصدًا الحفاظ على نغمة واحدة:

- لا أحد يريد النيل منك سيد "سوزيل"، لقد جئنا هنـا فقـط لنطـرح عليـك بعـض الأسئلة.

- هذا ليس صحيحًا، لقد نبهوني! أتيتم لتضعوني في السجن، لكني لن أذهـب! لـيس وأنا في هذا العمر!

كان صوت "سوزيل" مرتعشًا وهـو متشـبث بسـلاحه؛ كـان يـرفض الاستسـلام دون مقاومة، مدفوعًا بمزيج من اليأس والرعب المسيطر، وبحالتـه النفسـية تلـك، كـان مـن السهل عليه إطلاق النار.

كان يجد صعوبة في التحدث، والكلمات تتسارع في فمه:

- المرة الماضية حاولتم أن تلصقوا الجريمـة بي، قبـل أن تخرجـوا عـلى النـاس بقصـة السطو تلك.

- أنت لا تصدق قصة السطو إذًا؟

- كلا! بالطبع كلا! لكنني لست الفاعل!

أمر مثير أن يكون لدى الأخ أيضًا شك حول حادثة السطو؛ مؤكد أن لديه أسبابه، بقي أن نعرف ما هي حتى نتقدم في التحقيق، التحقيق، لكن أولًا لا بد للمفتشة من النجاة من هذا المأزق.. ما كان على "توريز" أبدًا أن يقبل العمل معها، لا معها ولا مع أي إنسان آخر، ما كان عليه الاستسلام ونسيان نحسه على الآخرين.

كان جسد "كابستان" ساكنًا فوق الأرضية المسودة بفعل الرطوبة الشديدة، وفوقها، كان معطف من المشمع ذي لون كاكي معلقًا إلى مسمار كبير صدئ، وكانت جزمة عالية من الكاوتشوك بلون كاكي هي أيضًا، قد وقعت وكعبها يلمس رأس "كابستان".

على "توريز" أن يهدىء من روع المهاجم، فقال محاورًا:

- ولِمَ تظن ذلك؟

- لا أدري، بسبب الأزهار، "ماري" كانت تكره الأزهار المقطوفة، ولم تكن تشتري منها أبدًا.

هذا التعليل كان أكثر غرابة مما سبق أن فكروا فيه حول قارىء الـ"دي في دي"، ومصاريع النوافذ المغلقة والقطة المختفية.

- ربما أهدى إليها أحدهم باقة من الورود.

هز "سوزيل" ذقنه بقوة، وكأنه وصل إلى النقطة بالذات التي كان يريد الوصول إليها:

- نعم، بالضبط؛ القاتل.

- أو أي أحد آخر، صديقها ربما؟

- كلا؛ كانت لتقول لي.

شاهد "توريز" "كابستان" تبدي حركة، كانت تستعيد وعيها، وما كان يجب أن ينتبه "سوزيل" لذلك، فلا بد من شد انتباهه بأي ثمن.

كان ثمة باقة من صنارات الصيد وقد تشابكت خيوطها تحتل زاوية في الكوخ، وكانت في متناول يد "توريز"، ففكر في قلبها لكنه تردد؛ في الأمر مخاطرة، فالرجل العجوز منفعلٌ، وتكفي حركة واحدة مفاجأة لكي يضغط على الزناد، فارتأى "توريز" إلى أنه من الحكمة توجيه اتهام شفهي من شأنه أن يشتت انتباهه، فأخذ نفسًا ثم قال بنبرة جازمة:

- لم تكن تريد قتلها، كان مجرد حادث.

انتصب "سوزيل" تحت وقع الاتهام.

- كلا! لم يكن حادثًا، لكنني لست أنا الفاعل، ولماذا أقتلها بأي حال؟

- البيت، مليونا يورو.

- لكنني لم أبعه.

فتحت "كابستان" عينيها.

بعد برهة، تحسست خلسةً صدغها بيدها، أحست بالدم على أصابعها، فارتسم في نظرتها تعبير قاسٍ لم يسبق لـ"توريز" أن رآه من قبل إطلاقًا.

أمعنت النظر في وجه "سوزيل" وبدا أنها تنوي القيام بحركة ما، فأردف "توريز":

- هل لديك سوابق في ارتكاب أعمال عنف؟

- أنا!

بدا الرجل العجوز صادقًا في اندهاشه.

أشار "توريز" بعينيه إلى السلاح، فبدت على "سوزيل" مسحة من الارتباك، فسدد الملازم ضربته:

- الرجل الذي يضرب زوجته يمكنه بسهولة أن يقتل أخته.

خفض "سوزيل" بندقيته من دهشته، وصاح:

- أنا! لكنني لم ألمس "مينوش" بحياتي، ما هذا الذي تقول؟

وفي جزء من ثانية، استجمعت "كابستان" نفسها وقفزت على "سوزيل"، ثم ألقت بثقلها كله فوقه فارتميا كلاهما على الأرض، ثم أمسكت بالبندقية وانتزعتها منه بيد واحدة، ثم دفعتها إلى آخر الكوخ.

نهض "سوزيل" مستندًا إلى الجدار، لكن "كابستان" لم تدعه يستعيد توازنه، فأمسكت به من رقبته ودفعته واقفًا على الألواح التي ارتجت تحت الصدمة، وأبقته هكذا، يداه ممدودتان، وهي تضغط على قصبته الهوائية.

اتسعت عينا "سوزيل" من الرعب، واعتقد "توريز" لوهلة أنها ستقتله وجهز نفسه للتدخل، لكن "كابستان" أفلتت الرجل فجأة، فانهار أرضًا وهو يسعل ليسترد أنفاسه.

22

داست الصيدلانية على ذراع سلة المهملات المعدنية، ورمت فيها القطن المبلل بالكحول، وقالت لـ"كابستان":

- الجرح نظيف الآن.

نهضت المفتشة عن المقعد الرمادي الذي جلست عليه لفحص جرحها.

كان "توريز" و"سوزيل" واقفيْن أمام رفوف الأعشاب يراقبان نهاية العملية، وكل منهما يشعر بالذنب أكثر من صاحبه، وقد بدأت تظهر آثار كدمات على رقبة "سوزيل" - لم يكن مصابًا، لكن "كابستان" كانت تشعر بالضيق لأجله؛ هذا الرجل يبلغ من العمر أكثر من سبعين عامًا، ومع ذلك تعاملت معه بفظاظة كما لو أنه لم يتجاوز الثلاثين.

خرجوا من الصيدلية إلى سماء زرقاء صافية، وقد تركت طائرة وراءها خطًا من الدخان الأبيض، دليل الارتفاع الشاهق للرحلة، وهو أمر لا يُشاهد إلا في الأرياف.

أجلس الضابطان "سوزيل" في المقعد الخلفي للسيارة، ثم وقفا خارجها لمناقشة ما بوسعهما فعله فيما حدث.

هذا الرجل احتجز ضابطي شرطة تحت تهديد السلاح، حتى أنه ضرب أحدهما إلى حدٍّ أن أغمى عليها، في المقابل، ردة فعل "كابستان" كان مبالغًا فيها، حتى في حال الدفاع المشروع، والمفتشة تفضل عدم التعرض لجلسة استماع في إدارة التفتيش العامة، كما أنها استنفدت النقاط التي في رخصتها. أما "توريز"، فكان في غنًى عن لطخة جديدة في سمعته، فاتفقا على إسقاط الدعاوى القضائية ضد الرجل، لكن لا يزال عليهما طرح بعض الأسئلة عليه.

كان "سوزيل" ينتظر الحكم وهو يراقبهما عبر زجاج السيارة، وكان لا يزال مترنحًا بعض الشيء. أومأت إليه "كابستان" بأن يُنزل زجاج السيارة فانصاع الرجل في الحال، وتلقى نبأ تجنيبه العقاب بارتياح وعرفان، ثم طلب منهما إن كان بوسعه الإجابة عن الأسئلة وهو يقوم بتوصيل بعض الطلبيات التي تأخر في تسليمها بسبب ما حدث، فانطلقوا مجددًا نحو البِرْكة.

ما إن وصل "سوزيل" حتى فتح الباب الخلفي لشاحنته البيضاء المكتوب عليها "بساتين سوزيل"، ثم أخرج صندوق تفاح واختار أفضل حباته وقدمها إلى الضابطين، فأخذ "توريز" واحدة وشكره بأدب جمّ كما يفعل طفل في الخامسة من عمره، و"كابستان" أشارت أنها لا تريد.

كان رأسها لا يزال يؤلمها وتشعر ببعض الغثيان. غمزت لـ"توريز" بعينها، فباشر هذا الأخير العمل. كانت تفضل المراقبة من بعيد، فهي تحتاج لمزيد من الوقت حتى يهدأ مزاجها المتعكر. قضم الملازم تفاحته، ثم شرع بشيء من الغِلظة حتى يحافظ على ميزان القوى لصالحهما:

- "نولان" هو من قال لك إننا قادمون لإلقاء القبض عليك؟

- نعم، قال لي إنكم استجوبتموه، وإنكم حتمًا ستأتون لتضعوا الكلبشات في يديَّ.

ظلَّ "سوزيل" متسمرًا أمام صندوق سيارته، يمسح يديه على بنطلونه الجينز الباهت المكوي على طول الساق؛ لم يعد الرجل يدري ماذا يقول.

أعطى "توريز" التفاحة لـ"كابستان"، أخرج الدفتر والقلم من جيبه، وخربش عليه بعض الكلمات قبل أن يطرح السؤال التالي:

- هل كانت علاقتك بأختك جيدة؟

- نعم، كنا قريبيْن جدًا من بعضنا البعض.

- مع أنكما تعيشان على مسافة 300 كيلومتر؟

- وما الضير في ذلك؟ إنها مسافة قريبة بالسيارة، ثم إننا كنا نتحدث بالتليفون دائمًا.

- معك حق، إنها مسافة قريبة بالسيارة؛ وقتها كان بوسعك أن تسافر إليها وتعود في الليلة نفسها، لكي تقتلها.

- كلا البتة، لم أغادر المنطقة، هناك العديد من الناس ممن سيقولون لكم.

- هؤلاء الناس لا يراقبونك يوميًا، خاصةً كل ليلة.

- سبق لزملائكم أن قالوا هذا.

فقال "توريز" وقلمه على دفتره:

- وبماذا أجبتهم وقتها؟

- لم أكن قد اشتريت البنزين اللازم لرحلة طويلة مثل هذه... في النهاية، ما الفائدة؟ لا شيء، لم أجب بشيء، لكنني لم أكن لأقتل "ماري" بحياتي.

أزاح "سوزيل" شعرة عنيدة عن صدغه بيد غليظة.

كان جاكيته القماشي ملطخ عند الأكواع، واستأنف بصوت مخنوق:

- كما تعلم، أبوانا تُوفيا، وكانت هي أرملة وأنا مطلق، لم نرزق أطفالًا، لا أنا ولا هي، كان لديها الكثير من الأصدقاء، أما أنا فلم يكن لدي غيرها.

ابتعدت "كابستان" بضع خطوات، وكانت لا تزال تحتفظ بالتفاحة في يدها.

ارتفعت أمامها أربع شجرات ذات جذوع نحيفة ازدانت قاماتها بأوراق صفراء براقة، وكأنها أعواد ثقاب عملاقة زرعت هنا لإنارة العشب الأخضر.

كان سطح البركة الأملس والسميك يلمع مثل الزئبق، وفي وسطها بطة وحيدة تسير في خطٍ مستقيم ثابت راسمةً موجات فضية وراءها، هذه البطة تعرف إلى أين تذهب، على عكس القاتل الذي يتصرف بشكل مريب؛ قالت المفتشة لنفسها: فهو يسير وفق خط متعرج؛ أولًا يرتكب جريمة قتل وحشية بيدين عاريتين، ثم يضع ضحيته في وضعية الجلوس في محاولة لتكريمها نوعًا ما، يخنقها، لكنه يسرح لها شعرها؛ هذا الرجل ينتقل من الغضب الجارف إلى مشاعر الندم في لحظات، وفي داخله كمٌ هائلٌ من المشاعر التي لم يكن يعرف كيف يتحكم بها - شخصية "سوزيل" مناسبة لهذه الأوصاف، لكن هل لديه حقًا سبب لأن يقتل أخته؟

كان "توريز" الذي نسي تفاحته، يتابع الاستجواب، وبعد أن استبعد الملازم احتمال تورط الأخ في الجريمة، أراد دراسة مسارات أخرى، فانتقل من استراتيجية الهجوم إلى طلب التعاون، وراح يمثل شخصية الضابط اللطيف والشرير في آن واحد:

- هل كانت لديها علاقات سيئة مع أحدهم؟

- ربما مع السمسار، في باريس.

فتابع "توريز" بصوت جلف ومشجع في الوقت نفسه:

- نعم؟

تساءلت "كابستان" كيف ينجح في ذلك!

كان الملازم يلقي السؤال وراء السؤال ويسجل كل شيء، واضح أنه اعتاد العمل بمفرده.

- كانت ترفض البيع، وكان يلح عليها، عدا هذا، لم أتابع القصة كثيرًا في جميع الأحوال.

- كانت مدرِّسة متقاعدة، أليس كذلك؟ هل بوسعك أن تحدثنا عنها؟ حياتها، طبعها؟

- نعم بالتأكيد، ولكن هل يزعجكم إن بدأت جولتي؟ يمكنكم الصعود معي في الشاحنة الصغيرة، سنتكدس فوق بعضنا، لكن المشوار ليس بعيدًا.

نظر "توريز" إلى المفتشة مستشيرًا، فوافقت.

تكدسوا في المقعد الأمامي، ثم انطلق "سوزيل" بأقصى سرعته.

سألته "كابستان" استكمالًا للحديث:

- إلى أين نذهب؟

فأجاب الأخ وهو يشير برأسه إلى صناديق الزجاجات في مؤخرة الشاحنة "البرلنجو":

- إلى قرية "بينيفون لابيه"، هناك سوق للأشياء المستعملة، يقام كل خريف لمدة ثلاثة أيام، أنا أورِّد عصير التفاح للكافتيريا.

كان مدخل القرية مغلقًا لأجل السوق، وكان على "سوزيل" تحريك الحواجز حتى يصل إلى ساحة الكنيسة، وقد حصلوا على معلومات أكثر قليلًا حول موضوع "ماري"، والتي شاءت الصدف أن يتم تعيينها في باريس، وبالنسبة لامرأة بنشاطها، كان ذلك مناسبًا جدًا؛ كانت تهوى السفر، وبعد وفاة زوجها زارت كل أوروبا وحدها، كما زارت الأراضي المقدسة في فلسطين، وعبرت الأطلسي إلى أمريكا وتجولت في الهند والشرق الأوسط، لكنها - للأسف - لم تعثر على زوج آخر في أي من تلك الأمكنة.

علاوة عليه، كانت "ماري" مولعة برقص التانجو بانتظام وقراءة التاروت، وكذلك بالسينما وبأفلام الكوميك "أستيريكس". قطتها كان اسمها "بتي بونوم"، ولا يذكر "أندريه سوزيل" إن كانت القطة ماتت وقت الحادثة، ولم يكلف نفسه عناء السؤال.

كانت لا تزال في عين الرجل آثار دموع. سحب بعض الصناديق من صندوق شاحنته الخلفي قبل أن يغلق الباب بكوعه، ثم ألقى واحدًا بين يدي "توريز" قائلًا:

- خذ هذا، أيها الضخم.

لم يجرؤ أن يحاول الأمر نفسه مع "كابستان"، لكنها شعرت أنه كاد أن يفعل.

وصل ثلاثتهم إلى الكافيتيريا الصغيرة، وبينما كان "سوزيل" يتحادث مع زبائنه، قررت "كابستان" و"توريز" التجول في السوق وتذوق بعض ما فيه. سيدة مهذبة ترتدي مريلة عليها ورود، قدمت لهما في كوب من البلاستيك عصيراً أكثر عكارًا من مياه السين.

ذهبا وجلسا على أحد المقاعد يراقبان حركة السوق، وهما يرتشفان شرابهما:

- أنا أفكر في القفل الذي لم يُكسر، والتليفزيون الموضوع على "صامت" - لقد قطعت "ماري" برنامجها التليفزيوني لتفتح الباب، أنا متأكدة من ذلك، كانت تعرف المعتدي.

وافق "توريز" على كلامها، إذ يبدو أنه توصل إلى النتائج نفسها:

- شخصية الأخ مناسبة نسبيًا.

فقالت "كابستان":

- نعم، حتى إن بدا لي أقل عنفًا مما وُصف به في الملف.

كاد "توريز" يختنق بالعصير عند سماعها تقول ذلك، وبعد أن استعاد نَفَسه، أشار إلى الكدمات على صدغها مستفهمًا عمَّا تعنيه بقولها.

فتابعت المفتشة كلامها:

- نعم، هو ليس بالعنيف حقيقةً؛ هو بالأحرى إنسان غير متزن، إنه مشتبه به مناسب، لكن ينقصه الدافع، كان متعلقًا بأخته ولم يطمع في الميراث بعدها، فهو لم يبع شيئًا منه.

- ربما هو صبور، أو ربما ليس لديه المال لدفع رسوم إنهاء الميراث. ربما علينا إجراء بعض التحريات حول سندات الملكية، أما بالنسبة للدافع، فربما كان على مستوى آخر: حقد عائلي، خيانة من نوع ما، ربما لم يرد أن يشاركه أحدٌ حبها له.

"كلام صحيح" قالت "كابستان" لنفسها، فكثيرًا ما نشاهد هذه الأمور لدى أفراد العائلة الواحدة.

مرَّر "توريز" سبابته على محيط كوبه من الداخل قبل أن يكمل:

- وماذا عن "نولان"؟ هو أيضًا مشتبه به مناسب.

"توريز" كان قد أجرى تحقيقاته واكتشف أن "نولان" لديه ملف في المخدرات، كان يروج المورفين والأفيون في السبعينيات، ثم تجاوزته أجيال المروجين الجدد ويبدو أنه تقاعد وترك الكار، لكن مصدر دخله الحالي ليس أقل غموضًا من السابق.

تأملت "كابستان" في سؤال زميلها لوهلة:

- لديه سحنة مجرمين، هذا صحيح، إنما لا أدري إن كان تضييع تلك الصفقة يشكل دافعًا قويًا لارتكاب جريمة قتل، مع أن كل شيء ممكن في الخلافات بين الجيران.

- تبدأ القصة برفع صوت التليفزيون، وتنتهي بقيام أحدهم بتسميم الكلب بسبب نباحه المستمر.

- أو أن تحذر مشتبهًا به أن الشرطة قادمة إليه، إن كان يرغب في التخلص من بعض الأدلة التي تدينه.

كان في الساحة بعض بائعي الروبابيكيا، وآخرون يعرضون لحومًا مقددة ومنتجات محلية. هنا، سيدة جالسة على كرسي طويل تطرز مفارش للبيع، وهناك دراجة مركونة على قاعدتها وقد عُلق عليها لافتة تقول "ليست للبيع".

ذهبت "كابستان" لجلب قطعتين من فطيرة بالبطاطس في صحون من الكرتون. تناولا الفطيرة بأيديهما صامتين وهما يستمتعان بمشهد السوق أمامهما، وفي سيارة مفتوحة من الطرف مثل شاحنة البيتزا، وقف رجل خمسيني نحيف ينظر إلى مجموعاته الممتدة أمامه، كان يعرض على أكثر من 3 أمتار المئات من شوكلاته "كندر سربرايز (Kinder Surprise)" التي بداخلها هدايا للأطفال، مصنفة حسب الفئات في صناديق شفافة، كان الرجل بادي السعادة، وفخورًا بالعرض كأنها ثمرة عمل عمر بأكمله. إلى جانبه، وعلى ستاند صغير للغاية، كانت زوجته تخيط - بضجر - حبات لؤلؤ خشبية على أساور تعويذات الحظ.

عاد "سوزيل" قاطعًا عليهما استراحة الغداء، فوضعت "كابستان" فطيرتها في الصحن، وطرحت عليه السؤال الذي كان يشغل بالها طوال الوقت:

- لماذا لم تنظف المنزل؟ كان بوسعك استئجار إحدى الشركات التي تقوم بهذا العمل.

- هذا غير وارد البتة؛ هناك رجل قتل أختي، هل نتركه حرًا ونغلق القضية، ثم ننظف البيت ونبيع؟ وبهذا ينتهي كل شيء ونقول فلننتقل إلى شيء آخر، ثم ماذا؟ هذا البيت سيبقى على هذه الحال طالما ذلك الحقير حرٌ طليق.

ففكرت "كابستان" وهي تتفحص الرجل، أن البيت سيبقى على حاله متسببًا بتسمم الجو في المدينة، سيبقى كتلة من الذكريات تفسد منظر الحي؛ طالما أن أخته لم ترقد بسلام، فلن يعرف هذا الشارع طعم النوم الهني. كانت المفتشة تعرف كيف تستشعر خزانات الغضب العميق.

هذا الرجل كان ينتظر أن يضع يده على المذنب، حك خده وحدق للحظة في الأرض قبل أن يكمل:

- "ماري" موجودة هنا، وليست هناك، الأهمية لهذا المكان، ويجب أن يكون نظيفًا ومعتنىً به - في المقبرة -.

- شيء أخير سيد "سوزيل"، هل كانت أختك من النوع الحذر؟ أعني، هل يعقل أن تفتح الباب لإنسان لا تعرفه؟

- كانت واثقة من نفسها، إنما بحدود، فالأفضل أن يبقى الغرباء في الخارج.

- أنت لا تصدق رواية السرقة، فهل هناك سبب آخر عدا الأزهار يدعوك لاعتقاد ذلك؟

"كابستان" لم تكن تؤمن بالحدس، فالحدس بالنسبة لها مجرد تفصيل صغير في العقل، ولا بد من إخراجه للسطح، ووضعه تحت المجهر للتحليل في مركز الجهاز العصبي؛ كانت بحاجة إلى أمر آخر: شعور مبهم حول ما جرى لأخته، مكالمة تليفونية ربما، فسألته:

- ماذا قالت لك في آخر مكالمة بينكما؟

تغضن وجه "سوزيل" وهو يجتهد أن يتذكر، ثم لمعت ذاكرته بأمر ما فجأة:

- نعم! كانت مدعوة إلى سهرة مع واحدة من تلك الجمعيات أو نادٍ، شيء من هذا القبيل...

- نادي التاروت؟ التانجو؟ جمعية سكنية؟

فأجاب "سوزيل"، بصوت متحفظ قليلًا:

- لم أعد أذكر، آه، بلى، لم تكن سهرة "بهيجة، لكنها كانت مهمة لها"، نعم، هذا ما قالته لي في آخر مكالمة.

حك أنفه بظهر يده، ثم قال:

- حسنًا، هل أعيدكم إلى سيارتكم؟

فأجابته "كابستان" وهي تنهض:

- نعم، شكرًا.

بحثت عن مكان ترمي فيه كوبها، فرأت سلة قمامة طافحة بالأكواب لأكثر من خمسين سنتيمترًا، لكنها نجحت في وضع كوبها الورقي فوق الكومة دون إفساد توازنها، فأعطاها "توريز" كوبه حتى تكرر التجربة مرة ثانية.

في الطريق إلى السيارة، توقف الملازم عند أحد البائعين واشترى زلعتي عسل، أعطى واحدًا لـ"كابستان" قائلًا وهو يبتسم:

- خذي، هذا لتشجيع التجارة المحلية.

فأجابته وقد فاجأتها المبادرة:

- شكرًا! سأضعه في المكتب حتى يتسنى للجميع تذوقه.

- كما تشائين.

جزيرة "كي ويست"، جنوب "فلوريدا"

الولايات المتحدة الأمريكية، 19 يناير 1991

منزويًا في طرف الصالة، ثملًا من أصوات الصراخ والبكاء، وقف "ألكسندر" مكتفًا ذراعيه وهو يحدق في واجهات المتحف، سمع القابلة (الداية) تقول مشجعة:

- هيا، ابذلي مزيدًا من الجهد.

إلى جانبها، وقفت موظفة الاستقبال الشابة وكلها تشوق وفضول، حتى المدير جاء مرتديًا قميصًا مخططًا، بابتسامته التي تشبه ابتسامة بائع اليانصيب، وكان على "ألكسندر" أن يطردهم فورًا، لكنه لم ينتبه إليهما عندما دخلا.

زادت القابلة من تحفيزها ونصائحها، بينما "ألكسندر" يتعرق مثل الثور؛ كان يصل إلى مسامعه صخب الناس في ميدان "مالوري"، حيث يتجمع السياح على طول رصيف أحواض السفن لمشاهدة واحد من أكبر استعراضات المدينة إقبالًا، إنه غروب الشمس على خليج المكسيك، فيجلسون هناك، ظهورهم للمدينة وضوضائِها، ليستمتعوا بالمشهد أمامهم، وتنتشر حرارة هذه اللحظة ذات الجمال الخالص في كامل

الجزيرة التي تحبس أنفاسها لبضع دقائق، و"ألكسندر" كان يرتجف، فابنه سيولد هنا، وسيولد الآن.

اخترقت صرخة الوليد الأولى الصمت، وفي لمحة امتلك الطفلُ قلبَ أبيه، الذي هرع وبخطوة واحدة كان إلى جانب زوجته وابنه، شدت "روزا" على يده بقوة، وهما يتأملان منبهريْن بالمولود المحمر الصغير، ثم همست الأم:

- "جابرييل"...

- إنه هنا.

تسعة أشهر تقريبًا، وهما يتخيلان من سيصبح محور حياتهما دون رؤية وجهه إطلاقًا، واليوم، ها هما يلتقيانه للمرة الأولى، فاستقبلاه بدموع بالغين شجاعين.

لفت القابلة المولود الجديد في منشفة واسعة، ثم تقدم مدير المتحف ووضع لصاقة المعرض عليه "لقد حملت سبيكة ذهب".

كاد "ألكسندر" أن يعترض، لكنه سمع "روزا" تضحك مقهقهةً، فقال في نفسه "لم لا؟ إنه حقًا سبيكة ذهب"، ثم انطلق صياح الحشود في ساحة "مالوري" في الخارج؛ كان الناس يصفقون بعفوية لأشعة الشمس الأخيرة، لقد وُلد "جابرييل" محاطًا بالمجوهرات، ووسط صياح جمهورٍ يحيي نجمه المبجل، وما كان لمولود أن يولد تحت طالع أفضل من ذلك.

23

"إيفرار" كانت قد ارتجلت مسابقة لرمي "دارتس" السهام وثبتت هدفًا على باب الممر، ومع احتدام التنافس، كانت أصوات الصياح تتعالى، فيما كان "توريز" - على بعد بابين - منزويًا في مكتبه راجيًا ألا يصاب أحد بأذى. كان صراخ الفرقة صراخ حقد وإحباط في معظمه، لأن "كابستان" ربحت أربع جولات متتالية من أصل أربعة.

تقدمت "روزيير" لتنتزع سهمها الصغير من الدائرة الأخيرة وهي تقول:

- أقترح أن نلعب بدونها.

وافق الجميع وبقوة حتى "لوبروتون"، ثم التفتوا إلى النتائج التي كانوا يسجلونها على أرضية الغرفة مباشرة، فاحتجت "كابستان" مبتهجة بما حققته:

- هذا ليس لطفًا منكم!

في كل مرة كان أحد اللاعبين يرمي سهمًا، كان الكلب ينطلق مثل المجنون، ثم يعود محتارًا وآذانه مستنفرة.

أضافت "إيفرار" دعمًا لرأي "روزيير":

- بصراحة، وجود بطلة في الرماية يقتل اللعب.

- بطلة رماية بالمسدس، الأمران مختلفان تمامًا!

"كابستان" كانت حاصلة على الميدالية الفضية في الرماية بالمسدس في الألعاب الأولمبية التي أقيمت في سيدني عام 2000، واليوم - بعد اثني عشر عامًا - لم يعد لها الحق حتى في رؤية سلاحها.

ردت "إيفرار" وهي تثبت مقدمة حذائها الرياضي على الخط الأحمر:

- وإن كان!

رن جرس التليفون في الصالون، ولعلمها أن المكالمة لها، انسحبت "كابستان" وهي تضحك قائلة:

- ها أنتم تخلصتم مني.

وصلت إلى مكتبها المعدني، وأبعدت نماذج ورق الحائط المصمم على الطراز الإنجليزي الذي أحضرته "روزيير"، لأخذ رأي الفريق فيها. أمسكت بالجهاز، ثم جلست في مقعدها الدوار، لا بد أنه "بورون"، يستعد لمشاركتها بخبر القرن.

صباح اليوم، كان وجه "ريفريني" الغاضب يتصدر جميع الصحف اليومية المجانية والمدفوعة، وداخلها كانت المقالات تتحدث بتفصيل مذهل

وموثق بشكل رائع، عن تجاوزات "ريفريني" الابن منذ سنوات؛ "أورسيني" - الخبير المحنك - كان يعرف من أين تؤكل الكتف، وكيف يكشف أمرًا كهذا للرأي العام، لقد أشعل الشرارة عبر الإنترنت، وولعها بتمرير وثائق إلى صحيفة "لو كانار أنشينيه" الساخرة، ثم اشتعلت الدنيا مع أخبار الثامنة التي اضطرت لمتابعة الخبر، قبل أن يسقط جمرًا في صحف اليوم التالي، ثم إن الجميع يعلم أن القصص التي يلتقطها "أورسيني" تستحق النشر حقًا، والصحفيون يعلمون مصداقيته، فلا بد أن المكالمات التي استقبلها "بورون" لم تتوقف منذ الصباح.

رفعت "كابستان" السماعة وهي تحبس أنفاسها؛ إنه "بروتون" فعلًا، قال:

- على عادتكِ، كان عليَّ توقع هذا، أليس كذلك؟

- صباح الخير سيدي المدير، الواقع أن الأمر كان مغريًا، نحن نعيد الأمور إلى نصابها فقط.

- فقط، فقط! هل تعرفين أين أوصلت عدالتك "ريفرني"؟ لقد أجبرته على الاستقالة!

كان "بورون" يختنق على طرف الخط الآخر، وكانت "كابستان" تتخيل وجهه محمرًا قانيًا وعروق رقبته تكاد تنفجر، وسماعته غارقة في عرقه المتصبب عليها.

- آه، أشعر بالشفقة عليه، سأمسح دموعي!

- لم أطلب منك أن تبكي عليه، "كابستان"! أنت لا تطاقين! لن تتغيري أبدًا. الإدارة العامة، القيادة، الوزارة، حتى الموظفين الصغار، الجميع

يتصل بي منذ الساعة السابعة صباحًا ليسألوني من أين جاءت التسريبات، ماذا أقول؟ هذه ليست تسريبات، هذا فيضان! لأنك تصرفت بشراسة، فأنتم لم تسربوا للصحافة قصة الولد والكوكايين فقط، بل كشفتم أن الأب كان يضغط لخنق التحقيقات وإسكات الأصوات المعاندة.

في الخارج كانت منافسات لعبة "الدارتس" مستمرة بدون "كابستان"، وكانت متعة الزملاء أكثر بكثير، غير معقول كم يكره الناس الخسارة، حتى هي!

فقالت له مذكِّرةً بحواراتهما الماضية:

- أنتم لم تتركوا لي الخيار، وأنتم تعلمون ذلك.

- نحن دائمًا نملك الخيار، لكن أنت من تختارين دائمًا من يتملق كبرياءك.

فأجابت "كابستان" موضحة:

- كبرياء الفرقة.

كانت لا شعوريًا تقلِّب عينات ورق الجدران، حتى اختارت في آخر المطاف الأحمر القرميدي.

- نعم، كبرياء الفرقة! حسنًا، أنا لم أقل للإدارة العامة إن التسريب جاء من عندكم، فأنتم في غنى عن المشاكل، كان يمكن لهذا الأمر أن يكون القشة التي تقسم ظهر البعير وتُنْهِي مسيرتك المهنية، وأنت تعلمين هذا جيدًا، لقد أخذت على عاتقي أن أحميكم، لا أطلب منك أن تشكريني.

فقالت بنبرة فاجأتها هي نفسها:

- لكنني أشكركم سيدي المدير من الصميم، شكرًا لتفهمكم ولتكتمكم الذي ليس له مثيل.

لم يكن فيما قالته أية إهانة.

كان يحدث أن تتلاسن مع "بورون"، إنما في حالات أقل توترًا، وكانت تفعل ذلك للمرح قليلًا، حتى هو لم يكن يمتعض ممَّا تقوله، كان يعرف مدى ما تكنه له "كابستان" من احترام وتقدير، كان تقديرًا راسخًا ولا حدود له، ولم يحدث إطلاقًا أن قللت احترامها معه. مع ذلك، كان واضحًا أن جوابها فيه تهكم من التوبيخ الذي تلقته للتو؛ كان ذلك من وحي اللحظة وما كان بوسع "كابستان" أن تفسر لامبالاته بالشكليات – على غير عادته - وذلك الشعور بالمزاح المتبادل، حتى "بورون" بادلها المزاح، رغم بعض التبرم في صوته:

- عدا عن ذلك، كيف حال الفرقة؟ هل تسير الأمور بشكل جيد؟

بعد بضع دقائق من الكلام العادي أغلقت "كابستان" السماعة، لكن التليفون سرعان ما رن في الثانية نفسها، فرفعت السماعة، وقالت مباشرة:

- هل نسيت شيئًا أيها المدير؟

على الطرف الآخر من الخط، سادت لحظات من التردد تبعه صوت متملق عرفته "كابستان" فاعترتها رعشة اشمئزاز:

- صباح الخير أيتها المفتشة.

فقالت:

- السيد "نولان"! صباح الخير، هل لديك شيء جديد؟

- أردت أن أخبرك أن شابًا جاءني اليوم باحثًا عن "ماري سوزيل".

- عجيب! ولأي سبب كان يبحث عنها؟

- قال لي إنه يريد التحدث إليها فقط، وتفاجأ كثيرًا وأسف غاية الأسف، عندما علم أنها توفيت بتلك الطريقة منذ سبع سنوات مضت.

فسألته "كابستان" وهي تقرِّب دفتر الملاحظات وقلمًا تبين أنه فارغ:

- كيف كان شكله؟

جربت ثلاثة أقلام بالخربشة سريعًا على ظهر عينات ورق الجدران، وأخيرًا وجدت قلمًا أحمر يكتب، لماذا الأقلام السوداء أو الزرقاء هي التي تنتهي دائمًا قبل غيرها؟

- كان شابًا مفعمًا بالنشاط، شعره بني محمر، يشبه السنجاب، بشرته غامقة وبها بعض الاحمرار كلون شعره، ولد جميل طوله حوالي 180 سم إنما رفيع البنية، شكله أكبر من عمره، فهمتِ قصدي؟ فتًى خجول لكن عينيه متوقدتان. شحمة أذنه اليسرى غير موجودة، وربما أحد أصابعه، لم أعد أدري، كان يرتدي "سويت شيرت" أحمر له غطاء للرأس، وتيشيرت من تلك الموضة الجديدة من الرسوم المتحركة.

- المانجا؟

- نعم، هذه، وكان أيضًا يلبس بنطلون "برمودا" بيج، وذلك الحذاء الرياضي الضخم، من ذلك النوع الذي يجعل أقدام الشباب تبدو مثل أقدام ميكي ماوس، فهمتي ما أقصده.

شعرت "كابستان" أن "نولان" يبتسم، كان يعتقد أن حسه الفكاهي لا يقاوم.

- وخوذة دراجة هوائية لونها أخضر عشبي.

وصف "نولان" كان دقيقًا بدرجة مدهشة، بل مثيرة للشبهة حتى. كانت "كابستان" قد مرت عليه ليلة أمس؛ أرادت أن تتكلم معه بعد الاستقبال الشنيع الذي لقيته في منطقة الـ"كروز" بسببه، وكانت ترجو الحصول على تفسير لذلك، لكنه لجأ للمراوغة كعادته نافيًا أية مسؤولية عن نفسه، وبمجرد طرحها لأي سؤال عليه، كان يبدأ بتمثيل دور الرجل الغامض المنيع على الاستجواب، وقد وصل الأمر بـ"كابستان" أن أمسكت بتلابيبه وهزته قليلًا بقدر ما أثار سخطها، ورأسها لا تزال تؤلمها من ضربة البندقية، لكنه لم يتفوه بأي جديد، فاضطرت المفتشة إلى إفلاته، وغادرت المكان وهي مقتنعة بأنه مذنب دون أن تملك إمكانية إثبات ذلك، واليوم من الواضح أن "نولان" كان يحاول أن يشتري براءته من جديد، والوصف الذي جهزه ما هو إلا محاولة لإسكاتها.

- هل ترك لك اسمه؟

- مع الأسف، كلا.

"أمر عجيب" قالت "كابستان" في نفسها، ثم أجابته بشيء من السخرية:

- خسارة! مع ذلك شكرًا لك، وصفك دقيق جدًا.

فأنهى الآخر كلامه بلهجة متملقة:

- كان بودي حقًا أن أساعدك أيتها المفتشة.

حيته "كابستان" وأغلقت الخط.

ظلت واقفة لبضع ثوانٍ تتفحص الملاحظات التي دونتها، وفي النهاية، مزقت قطعة الورق الملون التي خطت عليه بضع خربشات، وذهبت تدق على باب مكتب "توريز"، ثم انتظرت جوابه قبل أن تدخل.

جالسًا على كنبته، كان الملازم يدرس ملفات "أندريه سوزيل" الضريبية - لا سيما مستندات الوراثة - على ضوء مصباح عمل مثبت على مقعد صغيرة. على الأرض، كان جهازه الكاسيت يذيع أغنية للمطرب "إيف دوتيل"؛ أغنية حزينة نوعًا ما.

كان الحر خانقًا في الغرفة، وثمة إعلان دعائي جديد معلق على الجدار - فريق "باريس أليسيا" لكرة القدم للصغار، ثلاثة صفوف من الأولاد يرتدون "شورتات" أكبر منهم، وعلى الجانبين المدربان ملابس رياضية ضيقة.

أعادت "كابستان" - كلمةً كلمةً - محتوى تليفون "نولان"، و"توريز" يسجل ما يسمع، ثم سألت المفتشة وهي تحك مكان الجرح في إصبعها:

- ما رأيك بهذا؟

- هدية جميلة، مغلفة جيدًا مع ربطة الشريط حتى.

- تمامًا، وفوق كل هذا لم يعطِ اسمًا. لا أعرف كيف وأين يمكن البدء بالبحث! شاب شعر بني محمر، "سويت شيرت" وغطاء للرأس، وفوق كل هذا، يرتدي برمودا في هذا الطقس؛ مؤكد أن البرد لا يعني شيئًا لهذا الفتى.

- عندما يتعلق الأمر باللباس بالنسبة للمراهقين، فالدفء هو آخر ما يهمهم.

- لديك طفل مراهق أيضًا؟

فأجاب "توريز" بجدية:

- لدي كل شيء. ربما يمكننا البدء انطلاقًا من خوذة الرأس الخضراء بلون الحشيش، هذا اللون ليس منتشرًا كثيرًا؛ لا بد أنها جاءت من متجر متخصص بالدراجات الهوائية، أمَّا إن كان يوجد منها عند متجر الرياضة الكبير "ديكاتلون" مثلًا، فقد قُضِيَ على البحث.

- لنفترض أن هذا الشاب موجود حقًا خارج خيالات "نولان"، فهل للأمر أهمية؟ فتًى يزور امرأة عجوزًا بعد وفاتها بسبع سنوات، لماذا؟

أغمض "توريز" عينيه، كان يجري وراء الإشارة، المفتاح، الحصاة الصغيرة التي ستدله على الطريق، ثم قال:

- طالب قديم؟ ألم تكن الضحية مدرِّسة.

- نعم، ربما. حسنًا، سأدرس قصة الخوذة ولنُبْقِ الوصف في بالنا، على ألا نتعب أنفسنا به. اكتشافات "نولان" هذه...

كانت يد "كابستان" على قبضة الباب وهي تستعد للخروج، عندما تذكرت الدعوة التي ذكرها "أندريه سوزيل"، فالتفتت نحو "توريز":

- هل عثرت على سهرة أو اجتماع ما في أجندة "ماري"؟

- كلا، وكنت أنوي الحديث معك حول هذا بالضبط!

رفع "توريز" سبابته لشد انتباه المفتشة أكثر، بينما كانت يده الأخرى تجلب ملفًا ضمن الملفات المتناثرة فوق طاولته:

- لم تسجل شيئًا على أجندتها، فخطر ببالي أن أراجع بريدها لأرى إن كانت قد تلقت دعوة، لكن.. انظري.

ثم أضاف وهو يُظهر ورقة من ملف الشرطة الجنائية:

- تخيلي أنه ليس في لائحة الأشياء المتحفظ عليها من بيت "سوزيل" جواب واحد.

- ربما لم يروا شيئًا يستحق عناء الاحتفاظ به.

- هذا ما خطر ببالي أولًا، لكنني ذهبت للتأكد بنفسي على أرض الواقع.

ثم أضاف "توريز" بكل مهنية:

- قمت بتفتيش مكتبها في الصالون وأدراج المكتبة والطاولة في المدخل: لا شيء، عدا فاتورة كهرباء وجواب للمشاركة في مسابقة أرسلتها شركة بيع عبر الإنترنت، لم يكن هناك ظرف جواب واحد.

- هذا غريب في الواقع، لا سيما بالنسبة لشخص ذي نشاطات اجتماعية كثيرة مثلها.

- لقد أخذ القاتل معه كل البريد، لا أرى خيارًا آخر سوى هذا، وبرأيي أنه لا يعرف الضحية فقط، بل كانا شريكين في نشاط اجتماعي واحد.

وقبل حتى أن تجيب "كابستان" بشيء، رفع الملازم يده مسلمًا:

- أعلم، أعلم، بقي علينا التحري إن كان لها قيد ما في نوادي الحي.

⊙⊙

توقف الجميع عن لعب "الدارتس" لعبة السهام.

اجتازت "كابستان" المطبخ، لتنضم إلى المجموعة عبر النافذة الزجاجية الكبيرة المفتوحة على مصراعيها على البلكون. "لوبروتون" و"روزيير" كانا يدخنان سيجارة، و"إيفرار" ممسكة بكوب قهوتها بكلتا يديها، و"أورسيني" منتصب مثل برج المراقبة ينظر إليهم جميعًا بإمعان، فاقتربت منه "كابستان" وسحبته على جنب لتحادثه على انفراد:

- أيها النقيب، قد يبدو طلبي ساذجًا بالنسبة لك، لكن...

فقاطعها قائلًا:

- لا تقلقي أبدًا أيتها المفتشة، فيما يتعلق بهذه الفرقة، أنا لا أنوي نقل ما أراه إلى الإدارة العامة للتفتيش أو للصحافة؛ أنا لا أشي إلا بالفاسدين، وأمثال هؤلاء إما أن يكونوا في السجن أو في الميدان، لكنك لا تجدينهم أبدًا بين الضباط المغضوب عليهم، ليس في نيتي إهانتك، لكن قصص البُلهاء من أفراد الشرطة أو المعاقبين، لا تستهويني.

فقالت "كابستان" مدفوعةً بالرغبة في الدفاع عن فريقها أمام الاحتقار الذي يظهره "أورسيني":

- لكن هذه هي وظيفتك.

هز رأسه موافقًا بكل سرور، وعدَّل من ربطة عنقه الحريرية السماوية بحركة سريعة، ثم ابتسم قائلًا:

- على العكس، أنا أرى نفسي هنا للمساعدة أيتها المفتشة.

أومأت "كابستان" بالموافقة ثم ابتعدت عن النقيب.

استوقفها ذلك التفصيل الأخير، فوضعته في ركن من دماغها ليتسنى لها التفكير فيه على مهل.

فتحت الثلاجة لإخراج العصير قبل الخروج إلى البلكون في الهواء الطلق هي أيضًا، ثم لحق بهم "ميرلو" حاملًا في يد ملعقة وفي الأخرى بطرمان العسل الذي أحضره "توريز"، ودون أي اعتبار للآخرين الذين ينظرون إليه، غطس ملعقته في الوعاء ورفعها مباشرة إلى فمه، وبينما كان يهم بتغطيسها من جديد، قفزت "كابستان" وأنقذت الوعاء منه، قائلة:

- هذا هدية من "توريز".

وهي تعلم أن أحدًا لن يقترب من هذا العسل بعدما عرفوا مصدره.

بدا "ميرلو" ممتعضًا قليلًا قبل أن يصب كل اهتمامه على الملعقة التي راح يلحسها متلذذًا:

- العسل، يا أولاد، العسل! أليس رائعًا ما تمنحه الطبيعة لنا؟

"بيلو" الكلب وافق على الكلام بهزة من رأسه منتظرًا أن تقع الملعقة أرضًا.

فانبرت "روزيير" للرد عليه وهي تشير إليه بإصبع سمين:

- الطبيعة لا تمنح شيئًا أبدًا؛ هذا إنتاج مئات النحلات الصغيرة التي تعمل بلا كلل لأشهر حتى تصنع مخزونها، وما إن تنتهي حتى يأتي ابن آدم ويستولي على كامل المحصول، كما يفعل قاطع الطريق، والنحل المسكين

يجد نفسه جناحًا من خلف وجناحًا من قدام، وعليه إعادة الكرة مـن جديـد، "الطبيعـة تعطي".. هذا كلام فارغ! نحن ننهبها، هذه هي الحقيقة.

ثم أنهت كلامها بتنهيدة مطولة على عادتها بعد الانتهاء من السخرية من أحدهم:

- "أليس رائعًا"! هففففف!

لكن "ميرلو" استمر في الابتسام، وهو يتأمل ملعقته هازًا رأسه مبسوطًا على ما يبدو لسماع رأي "روزيير"؛ كان "ميرلو" يحب الحياة، كـان تصـنيفه الشـخصي للأمـور بسـيطًا كبساطة الحلال والحرام، فكل الأمجاد والمكاسب تعود له، وما سوى ذلك لا يهمه في أي حال من الأحوال.

في الجهة المقابلة من البلكون، وقف "أورسيني" ينزع الأوراق الميتـة لنبتـة الـ"دفـلي" الوردية، وهو من سرب إلى الصحافة المعلومات المترفـة بالتفاصـيل عـن قضـية "ريفـرني"، كانت "كابستان" تتوقع منه ذلك، لكن النتائج فاقت توقعاتها بكثير. جمع النقيب المتـأنق تأنق الفرنسيِّ العتيق، الأوراق في كلتا يديه، قبل أن يذهب ويلقيها في صندوق القمامة في المطبخ. أدركت "كابستان" أنها - في أعماقها - لم تشعر بـالخوف أبـدًا مـن "أورسـيني"، إذ كانت ترى فيه منذ البداية - في الواقع - حلًا وليس تهديدًا.

عاد تفكير المفتشة إلى "بورون" الذي بالغ في تقديم النصح والتعليمات، مـع أنـه لا يمكـن أن يكون قد تفاجأ بما فعلته؛ وهو من منحها موافقته مـن أول المشـوار، فالمـدير كـان يعـرف "أورسيني"، وكان يعرف "كابستان" بخاصة.

ثمة أمر تقرُّ به المفتشة على مضض، فمن السهل جدًا التنبـؤ بأفعالهـا في حـال أُكرهـت على فعل شيء ما، فهي لا تتحمل القواعد التعسفية وتفعل كل ما بوسعها للالتفـاف عليهـا وتجاوزها، و"بورون" يعرف هذا من زمن. فجأة شعرت "كابستان" أنه قد تم التلاعـب بهـا؛ نعم، هذا مؤكد، كانت لعبـة في يـد أحـدهم دون حتـى أن تشـعر، بقـي أن تعـرف إلى أي درجة ولأي هدف تم ذلك.

جاءتها فكرة مفاجئة، فتوجهت رأسًا نحو "ميرلو" الذي ترك ملعقته على مسند أحد الكراسي.

- أيها النقيب، هل أستطيع أن أطلب منك شيئًا؟

- بالتأكيد صديقتي العزيزة، أنا تحت أمرك.

- إن كان أحد من معارفك قد سمع عن دعـوى بـين "بـورون" و"ريفرينـي"، فـالأمر يهمني.

24

غادرا في منتصف الليل.

شوارع باريس كانت تتوالى خاليةً؛ على واجهات الأبنية النوافذ كانت سوداء، وأصوات نادرة لضوضاء سيارات تأتي من بعيد شبه مخنوقة. على الضوء الأحمر، شاهد "لوبروتون" مجموعة صغيرة من الشباب الثلاثينيين الثمل أمام مدخل نادٍ ليلي يدخنون تحت ضوء النيون. بعد بضعة إشارات مرور أخرى وبضعة توقفات، سيأخذون الطريق الدائرية، وبوسع السيارة "اللكزس" أخيرًا الانطلاق بحرية، مثل حصان في البرية.

"لوبروتون" كان يقود السيارة بسلاسة، ويستمتع بهمس المحرك الذي بالكاد يمكن سماعه. السيارة من الداخل مصنوعة من الجلد وغمرتهم برفاهية متناهية، والأضواء البرتقالية للوحة القيادة تلقي على وجوههم نورًا خافتًا، وفي الخلف، كان "بيلوت" يجلس هادئًا، متكورًا على غطائه السميك، مصدرًا من وقت لآخر شخيرًا طويلًا، واستثنائيًا، لم تسرف "روزيير" في وضع عطرها الـ"جيرلان"، فكانت رائحة السيارة الجديدة هي الطاغية.

جهَّز "لوي بابتيست" قائمة أغاني للرحلة من الأغاني الشعبية الأمريكيـة "الكـانتري"، وراكبي الأمواج الكاليفورنية، وبعـض كلاسـيكيات موسـيقى "البلـوز"، ذلـك النـوع مـن الأجواء التي يتمنى المرء ألا يتوقف إلا على ضفاف المحيط.

نامت "إيفا روزيير" منذ مفترق الطريق A11، بعد "سان آرنو"، واسـتيقظت عنـدما كان على "لوبروتون" تخفيف السرعة عند بوابة "روشـيه سـور يـون" لتحصـيل الرسـوم على الطريق السريع، تمطعت، ثم أخـذت حقيبـة يـدها وأصرت عـلى أن تـدفع، لكـن بطاقة "لوبروتون" المصرفية كانت أسرع، وبعد أن انطلقـا مـن جديـد، بـدأت "روزيـير" حديثًا لا بد أنها تفكر فيه منذ برهة، فسألت زميلها بأريحية:

- يبدو أنك كنت مفاوضًا في فريق التدخل السريع.

- نعم، لعشر سنوات.

عشر سنوات مرت كلمح البصر.

"لوبروتون" أحب تلك المهنة المليئـة بالإثـارة والهـدوء والمنهجيـة والاسـتماع للآخـر؛ أن تستهدف الحل السلمي وسط أزمات العَتَه والجنون، أن تركز على خط الدفاع الأخير ذلـك، جدار التفاوض، قبل تدخل القوة والبراثن المقنَّعة، عشر سنوات وهو يتمرن ويطـور نفسـه للأفضل، لم يشعر بالملل ثانية واحدة، وللمفارقة القاسية، تذكر الرائد نفسه وهو جالس ليلة أمس في مركز الشرطة، أمام كمبيوتر ولوحة مفاتيح أزرارها مفقودة.

لم يُثْنِ "روزيير" أن "لوبروتون" لا يرغب الخوض في الموضوع، فعادت إلى طرح المزيد:

- أمر رائع العمل في فريق التدخل السريع، ما الذي دفعك للقدوم إلى إدارة التفتيش العامة؟

- لم يدفعني شيء؛ لم يكن لدي الخيار.

بداية التحاقه بسلك الشرطة، لم يذكر "لوبروتون" ميوله الجنسية؛ كانت الأفكار المسبقة ثقيلة وقاسية وهو يريد الوظيفة، وقد حصل عليها، ثم رفعته كفاءاته فوق كل الشبهات.

سألته "روزيير" وهي تعدِّل كرسيها، ليكون كتفها الممتلئ في تجويف الوسادة، ويكون بوسعها تأمل محدثها براحة أكثر:

- لماذا؟

- هل تعرفين ماذا يعني أن يكون المرء مثليًّا في الشرطة؟

- بدايةً، أنت الوحيد الذي يقول "مثليٌّ".

ابتسم "لوبروتون" أمام بديهية الجواب:

- نعم، أصبتِ.

ثم دخل "فانسان" حياته، ومع مرور السنوات والنضوج، سئم "لوبروتون" من إخفاء سره، وحدث ذات صباح أن كان يتمشى مع صاحبه على ضفاف قناة "سان مارتان"، فالتقى بقائد سرية التدخل السريع "ماسارد"، قدم

"لوبروتون" "فانسان" بصفته كما هي دون مواربة، وقتها بالغ "ماسارد" في تمثيل دور الرجل ذي العقل المتفتح، بينما لم يطلب منه أحد شيئًا.

- عندما عُلم الأمر، نقلوني من مكاني في أقل من أسبوعين، مع ترقيـة إلى رتبـة رائـد، لجعلي أتقبل الصدمة.

إدارة التفتيش العامة هي مقبرة الفيلة، نهاية العالم، الثقب الأسود.

لم يكن "لوبروتون" يعتقد أن بإمكانه السـقوط أدنى مـن ذلـك، لـيس قبـل أن يـرى فرقة "كابستان" على الأقل، والمهمات التي كانت توكـل إليـه لم تكـن غـير ذي فائـدة في نهاية المطاف، فهناك دائمًا ضباط شرطة يعتقـدون أن شـارتهم المهنيـة هـي شـيك عـلى بياض.

- يبدو أنك من حقق مع "كابستان" هناك.

هذا واحد من الأمثلة خطـر ببـال "لوبروتـون"؛ إنهـا متلازمـة باتمـان، فهـو لا يهـتم بالترتيب الوظيفي ولا للمحامين أو للقضاة، فهمُّه تطبيق العدالة وفق رؤيته هو للخـير والشر، احتفظ بتلك الخاطرة لنفسه واكتفى بإشاحة نظره بعيدًا عنها.

على قمم المنحدرات المحيطة بالجهات الأربع، كانت أوراق الأشجار تصفَّر، أمـا الريـف الذي كان يتراءى في المرآة الخلفية أحيانًا، فكان لا يزال أخضر.

ثم أجاب مؤكدًا:

- نعم، فيما يتعلق بزلتها الأخيرة.

ثم التفت بسرعة نحو "روزيير" قبل أن يضيف:

- لكنني غير مخول بالكلام عن الموضوع، اعذريني.

وعاد بفكره إلى القضية.

مدرس يخطف تلميذين، احتاج الأمر ستة أشهر من "كابستان" لتحدد مكانهما، وعندما وصلت إلى الموقع، قامت بقتل الرجل بكل بساطة.

قالت "روزيير" بإصرار:

- كان دفاعًا عن النفس، أليس كذلك؟

- نعم.

دفاع عن النفس، غير أن الرجل كان على مسافة خمسة أمتار ومسلحًا بقلم، وأن "كابستان" أطلقت ثلاث رصاصات مباشرة في القلب، وهو ليس حقيقةً المكان الذي نصوب عليه في حال أردنا تحييد مشتبه به.

"كابستان" حافظت على رواية أنها - تحت ضغط اللحظة - لم تستطع ضبط رميتها، وعندما يصدر هذا الكلام عن شرطي حاصل على ميدالية في الرماية، فهو أقرب إلى الاستفزاز، و"لوبروتون" لم يستسغ حتى الآن كيف تجاوزت القيادة عن هذا.

فسألته "روزيير":

- وأنت؟ كيف انتهى بك المطاف معنا بعد أن كنت في الإدارة العامة للتفتيش؟

راح "بيلو" يعض مسند الكرسي، فرفعت صاحبته سبابتها مهددة، فتوقف الكلب المطاوع، وراح يتثاءب بشدةٍ أنهاه بنباح الراضي، ثم لف حول نفسه لفة صغيرة قبل أن يعود للاستلقاء والنوم.

كان الفجر قد بدأ ينير السيارة شيئًا فشيئًا، جالبًا معه الرغبة في فنجان من القهوة، ثم أشرقت الشمس برتقاليةً من الشباك الخلفي، منيرةً الطريق في خط مستقيم.

شعر "لوبروتون" كأنه يقود على أحد طرقات أمريكا السريعة، وكان بوده لو يسود الصمت مجددًا في العربة، لكن "روزيير" استمرت في ملاحقته بأسئلتها:

- ماذا؟

كانت النقيب بحميميتها العفوية، وطاقتها المتحررة في مزاج يسمح لها بتبادل الاعترافات، وما كان بوسع "لوبروتون" تجنب ذلك دون أن يجرحها.

انتقل إلى الحارة الشمال ليتجاوز شاحنتين، ثم قال بنبرة خالية من أي مشاعر:

- موت "فانسان" كان صدمة لي، إنما كان عليَّ العودة للخدمة بعد الدفن بأسبوعين.

شعر "لوبروتون" بنفسه من جديد تائهًا في الممرات، خطواته مشوشة لدرجة عجزه عن العثور على مكتبه، وكان زملاؤه يظهرون تعاطفهم معه بالتربيت على ظهره، وهم يعتقدون أن ذلك أقصى ما عليهم فعله.

- لم يكن بوسعي التركيز، فذهبت لمقابلة المسؤول عن القسم وطلبت إجازة بدون راتب.

- لكنه لم يرد على طلبك، أليس كذلك؟

- قال إن الأمر لا يناسبه في الوقت الحالي.

ذكر "لوبروتون" لمديره أنه يحتاج إلى وقت للحداد، وأن زميلهم "داميان" الذي فقد زوجته العام الماضي، احتاج إلى أربعة أشهر ليتجاوز مصابه؛ كان بحاجة إلى تلك الاستراحة، ارتبك المأمور لكنه لم يجد إلا أن يقول: "لن تقارن نفسك به!".

ما كانت شروح الدنيا تكفي لفتح نافذة في روح ذلك الأحمق، وكان "لوبروتون" قد اكتفى، اكتفى من تبرير نفسه، واكتفى من الطاعة العمياء، فإن كان الضباط أنفسهم المكلفون بتنظيف سلك الشرطة يمارسون التمييز بكل أريحية، فهذا أمر لا بد من الاعتراض عليه.

بادرته "روزيير" وهي تنتظر تتمة الحديث:

- ثم ماذا؟

- قدمت شكوى ضد التمييز، ووصلت بها إلى الإدارة العامة ولوزارة الداخلية.

- وماذا فعلوا بها؟

- لا شيء بالتأكيد، فالإدارة العامة للتفتيش لن تفتح تحقيقًا ضد نفسها.

- ورئيسك خرج من القضية هكذا؟

أشاح "لوبروتون" للحظة بنظره عن الطريق، ثم ابتسم لمرافقته ابتسامة ضاحكة:

- من يجلس إلى جانبك في السيارة؟ أنا أم هو؟

ظهرت إشارة مدخل مدينة "لي سابل دولون" على يمينهما، فتوقفا عن الحديث، وفي مثال جميل للعمل المتزامن، أنزل "لوبروتون" و"روزيير" نافذتهما في اللحظة نفسها، فتدفق هواء رطب ومحمل برائحة البحر داخل السيارة. أخرجت "روزيير" يدها وحرّكتها لتشعر بالرياح، وعلى المقعد الخلفي، انتصب الكلب وراح يئن شوقًا للنزول، ثم غرز أظافره في المسند مادًا أنفه إلى الأمام، لكي يصل إلى الشباك ويشم روائح تلك الأعشاب البحرية الواعدة.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحًا، الوقت مبكر جدًا للذهاب إلى صانع السفن، لكنه ممتاز لأخذ استراحة مع فنجان قهوة أمام البحر.

تجاوز "لوبروتون" حاجز موقف السيارات المفتوح في ميناء الصيد ووضع السيارة في مكان متاح، رفع فرامل اليد وأوقف المحرك، وقبل أن تخرج من السيارة، عادت "روزيير" إلى موضوع "كابستان"، فقصة إخفاق المفتشة في التسديد تزعجها:

- زميلها لم يكن معها لتغطيتها، ربما خافت...

- لقد اختارت "توريز" من بين أعضاء الفرقة.

ثم أضاف موضحًا قصده:

- "كابستان" لا تخاف من شيء أبدًا.

25

"كابستان" كانت تخاف من كل شيء؛ بعد أن أخذت دوشًا وارتدت ملابسها، عادت وأغلقت نافذة الغرفة التي فتحتها لتهوية المكان، وقبل أن تفرش اللحاف على السرير، أخذت المسدس من تحت المخدة حيث تضعه كل مساء، إنه سلاح إضافي قديم، وقد أصبح سلاحها الأساسي منذ أن صادرت الإدارة مسدسها الـ"سميث ويسون"، لم يعد بوسعها النوم بدونه، كانت تشعر كأن باريس بأكمها تترصد بها خلف الباب، وكانت بحاجة إلى الشعور بأسطوانة مسدسها الدوارة بجانبها حتى تنام.

لقد أنهكها العمل في الشرطة، هي من اختارت هذه الوظيفة حبًا في المغامرة أكثر منه لشجاعتها، لكسر روتين قدرها المرسوم كفتاة حاصلة على شهادات عليا وزوجة عاقلة، لقد قادها حماسها والشعور بالواجب بعيدًا جدًا، لكن رأفتها وتحكم عاطفتها بها قاداها إلى الهاوية، هذا ما يجعل "كابستان" تخاف، إنما ما كان لذلك أن يفقدها شجاعتها، فهذا حدٌّ وضعته لنفسها؛ كبرياؤها أولًا.

في المقابل، كانت تسيطر على خوفها بسهولة أكثر من سيطرتها على غضبها، مع علمها أن الشعورين ينبعان من نفس واحدة.

صباح ذلك اليوم، قررت المفتشة أن تدرس ملف "سوزيل" في الهواء الطلق، عسى أن تلهمها النسائم العليلة إضاءات جديدة على خيوط القضية.

كانت شمس باريس ضعيفة إنما مشرقة، فاختارت أن تجلس في حديقة "لوكسمبورج"، وأمام البركة الكبيرة، أعادت قراءة التقارير وهي تراقب من حين إلى حين حركة المتنزهين حولها.

اتصلت من موبايلها بمكتب المسح العقاري وبلدية "إيسي ليه مولينو"، وأخيرًا باتحاد السماسر العقارية في "إيسي فال دو سين"، للحصول على معلومات أكثر عن المتعهد المدعو "بيرنارد آرجان"، وهكذا، اكتشفت أن عقود المكان الجديد قد وُقِّعت قبل مقتل "ماري سوزيل" بشهر كامل؛ ما يعني أن وقت وقوع الجريمة، لم يكن لدى "آرجان" أي سبب يدعوه للضغط على الضحية، وبالتالي بوسعنا شطب أحد المشتبه بهم.

بعد أن سكنت نفسيتها بهدوء الحديقة، صعدت "كابستان" شارع "سان ميشيل"، وهي تتنفس رائحة الخريف المميزة تحت أشجار الكستناء.

وصلت إلى حيث ترى ضفاف "السين"، وعلى يمينها ظهرت كاتدرائية "نوتردام" بجلالة سطوتها، وكأنها تحاكم أرواح جميع الباريسيين.

على الطرف الآخر من الرصيف، شاهدت كلبًا من نوع "روت فايلر" الألماني جالسًا تحت سور النهر، ليس لدى "كابستان" أي اعتراض خاص على سلالة الـ"روت فايلر"، لكنها كانت ممتنة لأن "روزيير" اختارت

بالأحرى كلبًا من حجم "بيلـوت"، وكالعـادة، رفعـت رأسـها إلى صـاحبه لـترى إن كانـت سحنته تشبه سحنة كلبه، كان جالسًا فوق السور، مـدليًا رجليـه إلى طـرف النهـر، وبـدا واضحًا أن الكلب ألطف من صاحبه بكثير.

ضرب الرجل بيده على الحجر مشيرًا للحيوان أن يقفز إلى جانبه، المسكين كان خائفًا ورفض أن يقفز؛ كان يجهل ما وراء ذلك السور، وكان يخشى الفراغ وراء الجدار، فأسدل أذنيه ووضع ذيله بين قدميه، لكن صاحبه أصر، وشد الحبل صارخًا به أن يصعد إليه.

اجتاحت "كابستان" شحنة من الغضب جعلتها تتسمر مكانها؛ الكلب كـان مرعوبًـا ولا بد لهذا الشخص أن يتركه وشأنه. كان الضوء أخضر ومـا كـان بوسـع "كابسـتان" أن تقطع الشارع؛ كانت السيارات تمر بكل سرعتها حاجبةً عنها الوصول إلى الطرف الآخر.

تمدد الكلب على الأرض، فنزل صاحبه من حيث كان معتليًا جدار الرصيف ليـتمكن من السيطرة على الحيوان بكامل جثته الكريهة، كان بوسع المفتشة أن تراه يجعجع وما لبث أن بدأ يضرب الحيوان، انفجر الغضب في رأس "كابستان".

كانت مئات الدبابير تقفز بـين عينيهـا، وبـدأت سـتارة حمـراء قانيـة تحجـب عنهـا الرؤية. كانت تتقدم رويدًا رويدًا نحو الرصيف، والسيارات تمر بمحاذاتها تكاد تلمسـها، سارت محملقةً في الضوء الأخضر، وجبينها منخفض؛ كانت تريد عبور الشارع والإمساك برأس تلك الأفعى السامة بين يديها، ثم تخبطه على الجـدار حتـى يتوقـف عـن إزعـاج كلبه، كان بوسعها تخيل صوت عظامه تتكسر على الحجر، فعـدَّلت مـن حـدة الضربـة

ذهنيًا، كان دم حيواني بدائي يفور في عروقها، وكانت تستجيب لندائه. فجأة، توقفت السيارات وانفتح ممر المشاة أمامها واسعًا.

على الرصيف الآخر، كان الكلب قد تمكن من القفز وقد جلس مستمتعًا باسترخاء، مدليًا لسانه، وصاحبه المتوحش جالس إلى جانبه يشعل سيجارة. عبرت "كابستان" ممر المشاة وهي تتنفس بصعوبة، كانت لا تزال تشعر بنغزات حارقة في جسدها كله، تدفعها إلى قتل هذا الرجل. الكلب لم يمت اليوم، لكنه سيموت من دون شك غدًا. شعرت "كابستان" بعقلها يطرق على دماغها طرقاً، آمرًا إياها بإفلات قبضتها، لقد مرَّ الأمر على خير، والمرء لا يقتل هكذا؛ لم تكن لديها السلطة للقتل، نجحت الرسالة في شق طريقها، وبدأ الحذر ينتشر داخل جمجمتها، فمضت "كابستان" في طريقها إلى المكتب مسرعة.

⊙⊙

الأمر يزداد سوءًا يومًا بعد يوم، وها هي الآن تفقد أعصابها حتى لأجل الكلاب، قريبًا، لن يكون بوسعها تجاوز الامتحانات الخاصة بسلك الشرطة؛ لقد أصبحت مهلهلة مثل الجلد الذي طال استعماله ودفاعاتها تتهاوى وهي تقترب شيئًا فشيئًا لأن تصبح غير مؤهلة، بل ومتوحشة بدورها.

وهي تمشي، تكورت كالكرة في زاوية من لا وعيها بحثًا عن الهدوء والسكينة.

الغضب؛ أن تقتل رجلًا لتنقذ كلبًا.

توقفت "كابستان" فوق الجسر: "وماذا لو كانت قطة "ماري" حية وقت وقوع عملية السطو؟ لقد اختفى كل أثر لطعام الحيوان وشرابه،

فهل القاتل هو من أخذ القطة إن كان قد قرر عـدم قتلهـا؟ أن يتبناهـا؟ أي نـوع مـن القتلة يتصرف بهذا الشكل؟".

جلس "ميرلو" إلى الطاولة أمام طبق من السمك والبطاطس بالزيـت، صـب لنفسـه كأسًا من نبيذ "الرون"، ثم أغلق الفلة بضربة من يده المتسخة، وبينما يرفـع الكـأس إلى شفتيه، لمعت برأسه فكرة جعلته يعلق حركته في الهواء:

- هل يعقل أن تكون "روزيير" عذراء وغير مرتبطة؟

أنارت وجهه ابتسامة سفيهة، وبحركة لا إرادية، ملَّس على خصلة شعر ضائعة فـوق رأسه الصلعاء منذ زمن.

هز النقيب رأسه، ثم أضاف بكل ثقة:

- يا سلام! حتى "كابستان"!

26

سارت "روزيير" مع "لوبروتون" بمحاذاة ميناء الصيد للوصول إلى الرصيف البحري حيث تتواجه - على طرفي القناة - منارتان: واحدة بضوء أخضر، وواحدة بضوء أحمر، وكان الضوء الأخضر منحنيًا مثل النخلة التي شهدت الكثير جدًا من الأعاصير. كان المشهد على بعد يلتقي بخليج "سابل دولون" الواسع، والمحيط كان ساكنًا في هذه الساعة الصباحية، لولا بعض الموجات التي تجري على سطحه.

على الكورنيش الطويل الموازي للبحر، كان مقهى "بيرو" يفتح أبوابه والنادل، بمريلته وحذائه الرياضي يخرج الطاولات إلى البلكون. جلسا وطلبا قهوة، وبعض الماء للكلب.

بعد أن وضع النادل المشروبات على الطاولة وغادر إلى عمله، أخذت "روزيير" نفسًا عميقًا وبدأت باسترجاع الأحداث قبل المعركة:

- موضوعيًا، الأمر سهل؛ إن لم يتكلم "جالاتو"، فلن يكون لدينا أي دليل، مجرد أجزاء غير ذي قيمة، إنه المشتبه به رقم واحد لدينا، والأهم أنه المشتبه به الوحيد، فإن لم يعطنا على الأقل بداية اعتراف أو طرف خيط، فسنعود خالِيِ الوفاض، وسنعلن للأرملة أن القضية ستدخل بعد ثلاثة أشهر في حيز التقادم.

- في آخر مرة استجوب فيها رجال الشرطة هذا الإنسان، فشلوا فشلًا كبيرًا.

- في آخر مرة، ما قام به رجال الشرطة كان عملًا عديم الجدوى، علينا نحن أن نثبت أننا أفضل.

أخذت "روزيير" قطعة البسكويت التي ترافق القهوة وأعطتها لكلبها، فالتقطها بلطف بين أسنانه وابتلعها بحركة صغيرة، ثم اتجه إليها بفم استعدادًا لتكرار العملية، فنظرت "روزيير" إلى "لوبروتون" فتنازل هو أيضًا عن قطعته قبل أن يسأل:

- يبدو أن لديك خطة.

- كلا، لكن لدي بعض الأفكار؛ قمت ببعض البحث، لن نذهب بأيدٍ خالية، سنجعله يثق بنا بادعائنا أننا سنشتري قاربًا من عنده.

- لست واثقًا من أن القانون يسمح، يا "إيفا".

- أنت ظريف حقًا يا حبيبي بكلامك هذا! اسمع، علينا العمل بما نملكه بين أيدينا، ليس معنا إذن قانوني ولا اتهامات قوية ضده، بينما هو معه المال والمحامون، نحن مجبرون على العمل وفق هذه الطريقة؛ قصة

"جينان" مضى عليها زمن، لن يشك في شيء أبدًا، سنتقدم بنعومة، وسنغريه على مهل حتى يعلق بصنارتنا.

حرك "لوبروتون" قهوته بصمت لبضع ثوان.

إن اتبعوا أسلوب من سبقهم، فسيحصلون على النتائج نفسها، "روزيير" كانت على صواب، والتنويع أمر محبذ.

فقال وهو يضع ملعقته في الصحن:

- حسنًا، سيدهشني إن نجحت الخطة، لكنني منصت لك.

⦿⦿

في الساعة 9.15، ركنا السيارة في جراج "لاماريه"، بالقرب من شاحنة سعة 38 طنًا كانت تفرغ حمولتها من صناديق البلاستك الأبيض المليئة بالسردين، وسارا للوصول إلى شركة "جالاتو" تحوطهما روائح أعشاب البحر وفضلات النوارس، فقالت "روزيير" في سرها: "يا له من استقبال ذي نكهة محلية!"؛ أرصفة الميناء كانت شبه خاوية، والنقيب هي المرأة الوحيدة.

كان الجميع ينظر إليهما، إذ لم يكن يبدو عليهما أنهما سائحان يبحثان عن مغامرات خارج الأماكن المعهودة. أحاطت بهما صوامع أسمنتية عملاقة، ترتفع عاليًا فوق العنابر المغطاة بالصفائح المعدنية التي يأكلها الصدأ، وكان صوت الرافعات يختلط بأصوات النوارس، وعلى بعد، تمايلت صواري القوارب السياحية مع الرياح مصدرة رنينًا كأنها آلاف الأجراس. للبحر هنا رائحة الورشات وزيت الآلات.

وصلا أمام الأبواب الزجاجية لبناء طويل من طابق واحد، وفوقه كُتب على لافتة بأحرف زرقاء: "جالاتو لبناء السفن".

ذكَّرت "روزيير" شريكها بقولها:

- علينا خداعه، هيا أرنا ابتسامتك النجومية.

كان في استقبالهما شاب أشقر ذو بشرة شديدة البياض، سألهما إن كان لديهما موعد، فأجابت النقيب بنعم، وكانت قد أخذت احتياطها وحجزت:

- السيدة "روزيير" والسيد "لوبروتون".

- نعم، لأجل يخت 42 قدم.

- بالضبط.

لم يطل انتظارهما، إذ سرعان ما جاء "جالاتو" لاستقبالهما، سلم عليهما وقدم نفسه بمودة.

كان يرتدي طقمًا رماديًا وحذاءً مدببًا، هذا الرجل كان أشبه بسيارة جيب مستعدة لاقتحام الكثبان الرملية؛ كانت حواجبه كثيفة جدًا وعيناه عينا إنسان يجب الحذر منه، ففكرت "روزيير" أنه لن يكون سهلًا خداع هذا الرجل.

دخلا المكتب، فانغرست أقدامهم في الموكيت البيج النظيف. كانت الرفوف تغطي الجدران، وقد عرضت عليها مجموعة من نماذج السفن، وبعض المقالات الصحفية المحفوظة داخل إطارات زجاجية.

وراء "جالاتو"، نافذة عريضة منزلقة تطل على مدخل القناة، وعلى الطرف المقابل، كان يمكن رؤية الكورنيش وعلى طوله صف العمارات

المنخفضة الملونة، كان منظرًا ساحرًا، وكان من المؤسف أن عليهما العودة للتحديق في رأس "جالاتو" الأخرق، هكذا فكَّرت "روزيير".

بدأت بتمثيليتها أملًا في خداعه، بينما كان "لوبروتون" يراقب ردود فعل صاحب الشركة الذي ظل صامتًا كالصنم، تاركًا "روزيير" تنهي إلقاء ما عندها، وعندما انتهت راح يتفرس فيهما بصمت.

كنس بيده بعض قشور الممحاة من على مكتبه، ثم كتف يديه وقال:

- أنتم لا تريدون شراء يخت.

- ما الذي يجعلك...

فأضاف بابتسامة بغيضة:

- شراء يخت أمر يدعو للحلم، وأنتم لا تحلمون، إذًا ماذا تريدون مني؟

كان لا بد من خطة بديلة: هل تقول إن لديهم ما يبيعونه؟ أم من المافيا؟ أم شركة تأمين؟ "روزيير" كانت تفكر بأسرع ما باستطاعتها، لكن "لوبروتون" سبقها وقال:

- الرائد "لوبروتون" والنقيب "روزيير"، نحن نحقق في مقتل "يان جينان".

فجأة انغلق "جالاتو" على نفسه، واجتاح الغرفة برد قطبي، وبدا أن الصمت سيدوم للأبد وسط جو مكهرب:

- أنتما من الشرطة!

سرعان ما تخلى رجل الأعمال عن تملقه ومجاملاته التي يخصصها للزبـائن، فاسـتند بكتفيه على كرسيه وانفجر في وجههما بصفاقة كأي عامل في الميناء:

- لقد أضعت ما يكفي من الوقت معكما، والآن.. مع السلامة.

فارتاح "لوبروتون" بدوره على كرسيه، وقال بهدوء:

- ليس قبل أن نطرح عليك بعض الأسئلة.

- سبق أن سمعتها كلها ولم تعجبني.

- لقد جاء "جينان" هنا ومعه ملف حول عبَّارة "كي لايـن" قبـل موتـه بـزمن قصـير، هل لديك ما تخفيه؟

فرد "جالاتو" حانقًا:

- لا شيء، قلت لكم لا شيء! هذه تخيلات ضباطكم، لقد جُـنَّ جنـونكم جميعًـا! وبـدأتم تثيرون أعصابي بنظرياتكم عن المؤامرة، ماذا تعتقدون؟ أن حادثة الغرق لم تتم دراستها بـأدق التفاصيل؟ هل رأيتم ملف لجنة التحقيق؟ إنها ستة مجلدات بسماكة ثلاثين سـنتيمترًا، خـبراء ومهندسون وشركات تأمين وقضاة ومفتشون، ظلوا يـدخلون ويخرجـون مـن ورشـاتي لأشـهر! أمريكيون وفرنسيون، بل وفيهم كوبيون! عشر سنوات تحقيق إداري ولم يجدوا شـيئًا ضـدي! هل تعلمون لماذا؟ لأنه ليس لي أية علاقة بتلك الحادثة الملعونة! كل ما في الأمر، أنـه مـا كـان عليهم الإبحار في ذلك الطقس فقط، هيا، ارحلوا الآن.

لم يتحرك الضابطان وبدأ وجه "جالاتو" بالاحمرار.

أشار إلى الباب بيد متشققة:

- قلت لكم اذهبوا.

التفت "لوبروتون" نحو "روزيير"، وقال:

- ما رأيك؟ هل نذهب؟ هل لديك رغبة في الذهاب؟

- كلا، ليس كثيرًا، المكان جميل هنا ولدينا إطلالة على الميناء.

في الخارج، كان قارب مطاطي يصعد القناة، وهيكله الكاوتشوكي يقفز فوق سطح الماء المتموج.

توجه "لوبروتون" بالكلام مجددًا إلى "جالاتو":

- لقد فكرنا جيدًا، سنبقى.

للحظة، تساءلت "روزيير" إن لم يكن البحَّار سيلجأ إلى استعمال يديه لإجبارهما على الخروج وقد انتفخ صدره، لكنه تردد؛ لا بد أنه بسبب ضخامة "لوبروتون"، وهذه كانت إحدى مفاتيح نجاحه كمفاوض، فاختار "جالاتو" أن ينظر إلى "روزيير" بازدراء، فأردفت هذه الأخيرة وقد راقها الأمر:

- الخبراء لم يكونوا على متن القارب، أما "جينان"، فقد كان، هل كان يبتزك؟

- لن أنطق بكلمة واحدة أخرى، تريدون البقاء، ابقوا، لدي ما أقرأه.

أخذ "جالاتو" كومة ملفات كانت بالقرب منه، ثم سحب قلمًا من مقلمته وبدأ يشطب بعض السطور في الصفحة الأولى.

بعد برهة، فتحت "روزيير" الجيب الخارجي لحقيبتها اليدوية وأخرجت موبايلها، وراحت تبحث في قائمة الأسماء:

- "لويك كليش"، هل يوحي لك هذا الاسم بشيء؟ لدي رقمه هنا.

"جالاتو" كان يعرف جيدًا عمن تتحدث، فالرجل مليونير ورجل أعمال مشهور في المنطقة، وقد قرأت "روزيير" في الصحافة أنه طلب من شركة "جالاتو" مؤخرًا، تصنيع أكبر يخت سبق له صنعه في ورشته.

رفعت التليفون إلى أذنها:

- سيسعده أن يعرف أن قواربك لا تغرق، كما يؤكد الخبراء في تقاريرهم التي بين يدي.

ثم أضافت وهي تشير إلى السماعة بإصبعها:

- إنه يرن.

ألقى "جالاتو" قلمه فوق الملفات، وحك عينيه قبل أن يقاطع "روزيير":

- طيب، طيب.

لقد أتعبته هذه القضية، فتابع بلهجة أقل حدة:

- اسمعوا، لا أريد انتهاك حرمة ذكراه، لكن "جينان" لم يكن بالرجل الحاد الذكاء، ليست لدي أدنى فكرة عما كان يحتويه الملف الذي أحضره معه، لكنني لا أعتقد أنه كان بوسعه إيصال صوته بعيدًا، اللهم عدا عن الالتماس الذي كتبه، وأنتم تعلمون مدى عدم الاهتمام بمثل هذه

لالتماسات، ثم إنه لم يكن يسعى ورائي أنا فقط؛ كان يبحث عن أحد المسافرين أيضًا.

فقالت "روزيير" لنفسها: "أحد المسافرين! هذه لفتة جميلة، هل أبدو لك بلهاء!".

غادر "لوبروتون" و"روزيير" بعدها بعشر دقائق، وقد شطبا عنصرًا آخر من حساباتهم، فالواقع أن دافع "جالاتو" لا يستقيم مع وجود قصة التحقيق الذي استغرق زمنًا طويلًا، وبديهي أن "جالاتو" لن يقتل رجلًا كان يهدده في الوقت الذي كانت فيه كل الدنيا تستعد للانقضاض عليه؛ لقد أثَّرت عليهم وجهة نظر الأرملة الداعمة لزوجها البطل، وشوَّش على إدراكهم لمنطقية الأحداث.

مع ذلك، فإن لدى "جالاتو" أشياءً يخشى افتضاحها، كانت "روزيير" متأكدة من ذلك، والترابط الزمني بين زيارة الضحية له ويوم الجريمة يجعل براءته أمرًا بعيد الاحتمال، ثم يبقى ذلك المسافر الغامض الذي لم يعطهم الرجل أية تفاصيل عنه.

في النهاية، ذهب الشرطيان إلى الفندق. كانت غرفتاهما المتجاورتان متصلتين عبر شرفة صغيرة، وقد قررا - بعد أن أعلما المركز - استغلال المحيط الأطلسي لقضاء الليلة في المدينة، فمن شأن ذلك أن يعوض عن طول المسافة التي قطعاها، فتمشيا على الشاطئ.

كان الرمل الكثيف يقاوم تحت وطأة جسديهما، سارا بخطى بطيئة على تلك الطرق العريضة، مُؤْثِرَيْن الكلام القليل للاستمتاع بإيقاع الأمواج

وتكسرها، أما الكلب، فكان يجري على طول الشاطئ في خطوط متعرجة، كان يعوي وراء النوارس التي تبتعد عنه طائرة متكاسلة، ويقف عند كل كومة رمل، ويحدث أن يحفر برأسه حفرًا صغيرة ثم يأتي ليدس أنفه المليء بالرمال في ثياب صاحبيه.

عادا إلى الفندق لتناول العشاء في مطعم متخصص بتقديم فاكهة البحر، وقد خلد المحيط - في الخارج - إلى النوم أملسَ وصامتًا.

لسبب ما في منتصف الليل، استيقظ "لوبروتون" فجأة؛ "ليست لدي أدنى فكرة عما كان يحتويه الملف الذي أحضره معه"، تلك الجملة التي ألقاها "جالاتو" برزت فجأة على سطح أفكاره جلية في هدوء الليل، فإن لم يكن "جينان" و"جالاتو" قد تناولا الملف في لقائهما، فعن أي شيء تحدثا إذًا؟ ربما كان المسافر الغامض، الذي اعتبرت الشرطة أن "جالاتو" قد اخترعه للتملص من التحقيق، موجودًا فعلًا.

أزاح الرائد غطاء السرير، وعبر الغرفة ليتناول حقيبة سَفَرِه الجلدية، كانت طرازًا قديمًا، وقد بليت أحزمتها من طول الاستعمال، وإن لا زالت تحتفظ بجمالها. أخرج منها الملف الذي أعطتهم إياه الأرملة "مائيل"، وراح يراجع صفحاته للمرة الثالثة باحثًا في قائمة الموقعين على الالتماس التي نظمها "جينان".

كان خط البحّار المتراص غير مقروء البتة، لكنه لمح اسمًا واحدًا من بين عشرات الأسماء وشد انتباهه. كان ما شاهده الرائد مستبعدًا جدًا، لدرجة أنه قرب الورقة من عينيه ليتأكد من أن ما يراه صحيحًا، نعم، ليس فيما يراه شك، وضع "لوبروتون" القائمة، وهو يفكر فيما يمكن أن يعنيه هذا الاكتشاف.

كان مأخوذًا بالأمر، لا بد أن "روزيير" ستبتهج له، فكر لوهلة أن يدق على بابها، لكن الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا، بوسعه انتظار وقت الإفطار لإخبارها.

خرج إلى البلكون وجلس على الكرسي البلاستيك الأبيض المبلل برطوبة البحر، أشعل سيجارة في الهواء العليل، وراح يتأمل البحر الذي يضيئه القمر، سيحاول أن ينام قليلًا قبل الفجر.

⦿⦿

كانت "روزيير" تستمتع بشايها وسندويشاتها في مقهى "سونييه"، وهو بناء أزرق قام أحدهم برسم سرب من النوارس على كامل واجهته. كان الكلب ينظف صحنه بضربات كبيرة من لسانه، دافعًا إياه بين أرجل الكراسي حول الطاولة؛ "روزيير" دائمًا ما تحتاط وتحتفظ في كيس ببعض الكروكيت وصحن الكلب في صندوق سيارتها.

لوحت لـ"لوبروتون" لدى خروجه من الفندق بينما سارع الكلب للقائه. داعب الرائد الحيوان بين أذنيه وهو يتجه نحو "روزيير" بمشيته الرصينة، كان قد حاول تجفيف شعره الكثيف بعد الدوش، لكنه لم ينجح في هذا الأمر بالكامل فسرحه للوراء، أمسك بظهر الكرسي بيد بينما كان يداعب لحيته النابتة بالأخرى.

قالت له "روزيير":

- يبدو أنك لم تنظر إلى نفسك في المرآة صباح اليوم؛ انظر إلى لحيتك!

طلب "لوبروتون" قهوة وكرواسون قبل أن يجلس، ثم قال:

- أحضرت آلة الحلاقة لكنني نسيت الشفرات، إنه خطئي.

منذ أشهر لم ينس "لوبروتون" شيئًا، هو من يملك كل الوقت لتنظيم أموره، ربما كانت فرحة السفر هي ما أنسته ذلك.

فقالت له النقيب وهي ترفع كوعها بنرفزة لإزالة بعض الفتات، لكنها كانت ملتصقة بها بسبب المربى:

- أسامحك.

ثم أردفت:

- حسنًا، سنعود أدراجنا على ما أعتقد؛ ليس هناك أي شيء ضد "جالاتو" تمامًا كالمرة الماضية، عجيب كيف أن أحدًا لم يعثر على أدنى دليل ضده.

فأجابها الرائد وهو يضع ملفًا على الطاولة:

- لأن الأمر ليس بتلك السهولة ربما.

أشار بسبابته لافتًا انتباه "روزيير" إلى سطر معين، فرفعت فنجانها وانحنت فوق الورقة، ثم قطبت حاجبيها وشغلت ذاكرتها:

- هذا الاسم يعني لي شيئًا.

فجأة أدركت الأمر، وحدجت "لوبروتون" بنظرة من لا يصدق ما يرى، قطع الرائد قطعة الكرواسان إلى قطعتين موافقًا على كلامها وعلى وجهه ابتسامة المنتصر.

⊙⊙

كانت "سوست" السرير تئز تحت قفزات "جابرييل" المبتهج، وقد عاد لتوه من مكتب السجل المدني في البلدية، حيث كان عليه أن يكافح لساعات للحصول على نسخ مصدقة، كان من النوع الذي لا يعرف أبدًا الخانة المناسبة للملء في المعاملات الإدارية، وقد استغرق الزواج بالفتاة التي يحبها وقتًا أطول من اللازم في هذا البلد.

انسلت القطة العجوز داخل الغرفة، وقامت بجولة وهي تتشمم أقدام الموبيليا، ثم قفزت بصمت فوق مخدة صاحبها، واستقرت مكانها لتغط في نومها وهي تهرهر. داعبها "جابرييل" للحظة قبل أن يخرج من جيب بنطلونه البرمودا قائمة، كانت الورقة مجعدة، فملَّسها آليًا فوق فخذه، كل الأسماء كانت مشطوبة عدا واحدًا، فتح قفل موبايله. كان قد تحدث مع الناجين لكنه لم يحصل على شيء، لا أحد يذكر أمه ولا أباه، لم يتبق إلا "يان جينان"، البحَّار الذي كان في الخدمة على متن القارب، سيكون آخر اتصال بعدها سيتخلى عن القصة.

27

استدعت "كابستان" في صباح ذلك اليوم الفريق بأكمله، أو بمعنى أدق، استغلت وجـود عـدد استثنائي من العناصر في فرقتها لعقد اجتماع تشاوري.

"لوبروتون" و"روزيير" كانا لا يزالان في الطريق، لكنهما لن يتـأخرا في الوصـول، وقـد وعدا الفرقة بخبر مفاجئ بكل المقاييس. كانت "كابستان" قد حجزت لهما مكانًا مميـزًا عـلى الكنبـة الأسـكتلندية القديمـة بالكاروهـات الأصـفر والأخضر، والتـي أحضرهـا "أورسيني" مشاركة منه في فرش المكتب. النقيب كان دقيقًا حين قال إنه سيجلب كنبـة - سرير، ما دعا "كابستان" مباشرة إلى منعهم من النوم عليها.

بدأ القسم يزدحم بالمفروشات لكن الصالون كان كبيرًا، كانوا قد أبعـدوا المكاتـب قلـيلًا وباتت الكنبة - وهي كنبة مريحة بثلاث أمكنة - مقابل الدفاية.

كانت أعـمال وضـع ورق الحـائط قـد بـدأت أيضًـا. أول أمـس، جهـزت "إيفرار" و"أورسيني" الجـدران، بيـنما كـان "ميرلـو" لا يكـف عـن إعطـائهم

النصائح وكأس الشراب في يده، ثم قامت "كابستان" و"توريز" بوضع ورق الحائط على نصف الصالون، وكان غطاءً من المشمع ملطخًا بالدهان مطويًا في زاوية عند مدخل الغرفة، إلى جانب دلو من الغراء ومجرفة مطاطية وثلاث لفات مما تبقى من ورق الحائط، وكان "لوبروتون" قد وعد - على التليفون - بأن ينهي المتبقي من العمل على الحائط هذا المساء، بعد الاجتماع.

جلس الجميع في أماكنهم، مستعدون للتفكير: "ميرلو" كان مستندًا بظهره إلى النافذة، إلى جانبه وقفت "إيفرار" وهي تدندن وتلعب بقطعة النقود فئة اليورو في يدها؛ هذه الصبية لا تتوقف عن دندنة بعض الأغاني، وربما قطعت ترنمها لتأخذ قلمًا ثم تعود إليه في أقرب فرصة، وهي تهز رأسها أو تضرب بقدمها، الأمر الوحيد الذي يجعلها تتوقف عن فعل كل شيء هو المقامرة، المقامرة بأي شكل كان.

"أورسيني" كان جالسًا، عاقدًا قدميه وشابكًا يديه فوق كرسي بلاستيكي برتقالي اللون، كان ينظر إلى العالم المحيط به نظرة استعلائية إنما مستسلمة. كان الباب المؤدي إلى الممر مفتوحًا ويمكن منه رؤية الكرسي بدون مسند، وقد جلس عليه "توريز" ليتابع المناقشات دون أن يفرض حضوره على أحد.

بين الحضور، وقف ضابطان انضما إليهما لأول مرة، فبعد مرور أسبوعين على الافتتاح الرسمي للمكتب، ومرورهما في زيارات خاطفة لاستكشاف ما يحدث، قررا أخيرًا القدوم صباح اليوم؛ لقد راق لهما الجو، وبقيا لاستلام مهامهما.

الأول اسمه "داكس"، شاب ملاكم فقد في الحلبات من عقله بقدر ما فقد من عرقه، كان بأنفه المفلطح وابتسامته العريضة ينظر إلى الحياة بحماس ككلب البحر وهو وسط الأمواج، وقبل أن تهز ضربات الملاكمة جمجمته أكثر من اللازم، كان "داكس" واحدًا من أذكى رجال مكافحة الجريمة السيبرانية أو جرائم الإنترنت، وهو يدَّعي أنه لا يزال يتمتع ببعض الكفاءات العالية، لكن أحدًا لم يستطع تأكيد ذلك من المقربين منه.

إلى جانبه جلس رفيقه العميد "لوويتز"، وهو مجنون سواقة أرسلته إدارة المركبات إلى هنا، لعدم إمكانية تسريحه. كان "لوويتز" مغرمًا بالسيارات، ونصف فترة عمله في الشرطة قضاها في سيارات الشرطة وهو مشغل سارينانتها دائمًا، كان سائقًا سيئًا لكنه كان يرفض الاعتراف بذلك. لم تكن لديه عشيقات، فعشيقاته هي السيارات ومثله الأعلى في الحياة هو الأسباني "فيرناندو ألونسو" سائق الفورميلا الشهير، وما كانت يداه تعرفان السلام إلا وهما متشبثتان بالمقود.

كانت الحكومة قد تكرمت ومنحت الفرقة سبورة بيضاء كبيرة وثلاثة أقلام لها، واحد منها لا يزال فيه بعض الحبر، وكان "توريز" قد أحضر علاوة على ذلك سبورة أطفال محمولة على ثلاثة أرجل معدنية حمراء وعلبة طباشير وإسفنجة صغيرة؛ بما أن بناته كبرن على هذه الأشياء، فمن الأفضل استعمالها في مكان آخر.

استخدمت "كابستان" السبورة المدرسية لتلخيص قضية "سوزيل"، وعلى اللوح الأبيض، عرضت قضية "جينان"، كل شيء كان جاهزًا للبدء

بجولة من العصف الذهني، وقررت "كابستان" البدء دون انتظار "روزيير" و"لوبروتون" كنوع من تمرينات الإحماء.

فبدأت بصوت جلي:

- حسنًا، أين نحن الآن؟

كان ثمة بعض أصوات لأكواب وفناجين، ثم تركز الاهتمام على السبورتين.

فقال "أورسيني" بصوت خافت:

- هذه نهاية مسدودة.

فقالت "إيفرار" مؤكدة كلامه وهي تشد على اليورو في يدها:

- عالقون في الطين!

قال "ميرلو" بهدوء وهو سعيد باقتراحه:

- في موقف لا نحسد عليه.

وكمن فهم لتوه اللعبة، صاح كل من "داكس" و"لوويتز":

- في الخراء!

فقطعت "كابستان" النقاش:

- مبدأ العصف الذهني أمر جيد، شرط أن نستفيد منه، شكرًا.

سكت الجميع عن الكلام، ولكي لا تترك للصمت فرصة أن يخيم، قامت "كابستان" بتلخيص الأمور؛ كل الطرق كانت تنتهي بطريق مسدود، وبعد مرور كل هذه السنوات على القضايا، أصبحت ملفاتها كالأرض

الخراب؛ لقد قاموا بمراجعة قضايا "نولان" و"أندريه سوزيل" مراجعة دقيقة، لكنهم لم يصلوا إلى أي جديد.

نظرت "كابستان" إلى قواتها - كانوا يتابعون كلامها دون أي اقتناع؛ كانت الانهزامية تنال منهم وحماسهم يذبل، وإن لم تنجح التحقيقات في إخراجهم من هذا، فستصبح الفرقة أشبه بنادي المتقاعدين الذي تخيله "بورون".

مع ذلك، قال "ميرلو" بدافع حبه لسماع صوته والنقاش قال:

- الدافع يا جماعة.. الدافع! نحن ننطلق من مبدأ أن "ماري سوزيل" كانت عجوزًا بريئة، ولكن من يعلم أي حياة فجور كانت تعيش؟ وماذا لو كان لديها عاشق ماجن، واحد من محبي التانجو المتعطش للشهوة؟ ماذا لو أن حبها للمغامرة قد ألقى بها بين مخالب المخدرات، وجعلها تحت رحمة "نولان"، تاجر الممنوعات؟ علينا أن نعرف من هي "ماري سوزيل"، أيها الأصدقاء الأعزاء.

هز "داكس" رأسه؛ كان موافقًا على كل شيء، أصدرت جاكيتته الجلد صوت احتكاكٍ وهو ينحني على أذن "لوويتز" ووشوشه بصوت جهوري:

- هل معك لبان؟

أخرج "لوويتز" علبة لبان من جيب بنطلونه الجينز الخلفي وأعطاه حبة، فانكب هذا الأخير على مضغها بكل تركيز مهملًا كل ما سواها.

سأل "أورسيني":

- وماذا عن الفتى الذي ذكره الجار، هل لدينا شيء عنه؟

فقالت "كابستان" معترفة:

- كلا.

لم تثمر تحرياتهم عن الخوذة الخضراء عن شيء؛ أساسًا، لم تكن قوية كفاية كنقطة انطلاق، وبكل الأحوال، من المؤكد أن "نولان" قد اخترع القصة من لا شيء.

وللمرة المائة، نظرت "كابستان" إلى اللوح: سرقة، قفل، مصراعا الباب، وضعية الجثة، الجار، القطة، الورود، الأخ، البريد.. لم تكن قادرة على الإحاطة بعناصر القضية؛ كان رأسها مثل كرة الثلج البلَّلورية، أفكارها مشوشة، تتطاير في كل الاتجاهات، كان عليها الانتظار حتى تهدأ ندف الثلج، وتستقر حتى تتمكن من رؤية الأمور بوضوح.

استدار الفريق نحو لوح قضية "يان جينان"، ووسط الهدوء المخيم، سُمع صوت "لوويتز" يقول لـ"داكس" منبهًا:

- الرجل قُتل على يد قاتل محترف، لا داعي للبحث والتحري؛ لن نجد شيئًا حتى بعد عشرين سنة.

فأجابه هذا الأخير دون حرج:

- الأمر لا يتعلق بأن نجد شيئًا، بل بأن نشغل أنفسنا.

أومأ "أورسيني" موافقًا وهو ينزع وبرة عن بنطلونه؛ كان واضحًا أنه يرى أن القضية في وضعها الحالي، لن تصل إلى نتيجة، ثم عبَّر عن رأيه قائلًا بصوت جليدي:

- ما نحتاجه هو دم جديد.

سرت رعشة في الحضور تلتها بعض الملاحظات الصبيانية، ثم سُمع صوت "إيفرار" يرتفع بخجل وقد اتسعت عيناها:

- هذا صحيح، لا بد من أدلة جديدة في التحقيق، نحن لا نملك شيئًا؛ ليست لدينا المصادر الكافية لإكمال التحريات، كما أن مركز قاعدة البيانات في الإدارة لا يرد على طلباتنا، هذا دون ذكر عمليات الاعتقال التي أجهضت.

لم تكن الملازم قد استوعبت بعد ما حدث لها عند بيت "ريفريني"، فأردف "ميرلو":

- في هذه الحالة، نحن في خانة "القضية الخاسرة"، أكثر من كوننا في خانة "القضية المحفوظة لعدم كفاية الأدلة". قبل الآن، عندما كنا لا نزال في صفوف الشرطة الحقيقية.

فقاطعته "كابستان":

- كفى، كفى.

على الرغم من أن المفتشة لم ترفع صوتها، ساد الصمت في الصالة؛ كان الاجتماع يتحول إلى جلسة لإحباط العزائم، وكان عليها التدخل لوضع حد لذلك.

ألقت نظرة على الجميع دون أن تبتسم لأحد منهم، وهي نادرًا ما تفعل ذلك:

- في السينما وأفلام الحرب، صراخ "سنموت جميعًا" لا يساعد أحدًا في الواقع، آن لنا أن نتوقف عن تكرار قصة "قبل.. قبل"، قبل أن نهبط هنا

كنا أصلًا منبوذين – جميعنا - ولا داعي لاستجرار ذكريات أيام الزمن الجميـل في مبنـى الإدارة العامة، فعقوباتكم لم تبدأ هنا.

طأطأ الجميع رؤوسهم وأشاحوا بنظرهم خجلين، لكن تلك لم تكن رغبة "كابسـتان"، فهي لا تريد للفريق أن يبقى غارقًا في شعور الخزي هـذا، نهضـت عـن زاويـة المكتـب حيث كانت جالسة، وقالت:

- مع فارق أنكم اليوم – بالذات - لم تعودوا مطالبين بالأعمال المكتبية التـي كانـت تأخذ 70% مـن وقـتكم، وأنـتم في حِـلٍّ مـن الـدوريات الليليـة، والمناوبـات في المقـابر، والحشاشين الذين يوسخون حمامات المركز.. كل ذلـك انتهـى، نحـن أحـرار في ممارسـة مهنتنا كما كنا نحلم عندما التحقنا بالسلك، نحن الآن نقـوم بتحرياتنـا بـدون ضـغوط، بدون إجراءات وأوراق لا بد من ملئها، دون تقـديم تقـارير لأحـد، إذًا، فلنسـتغل هـذا بدلًا من أن نتذمر مثل مراهقين حُرموا من الذهاب إلى حفل موسيقي، نحن جـزء مـن الشرطة الجنائية ولا نزال، غير أننا نشكل فرعًا على حدة، وهذه فرصة لن تتكرر.

رأت "كابستان" أن حججها بدأت تتسلل إلى العقول وترفـع الهمـم، وتـدريجيًا، بـدأ زخم يسري في النفوس، لم يكن كبيراً جدًا، لكنها كانت حركة جماعية يبدو أنهـا نجحـت في لحم العناصر المنتشرين في الغرفة، وبدأ الفريق في تجميع نفسه.

ثم ظهر كائن صغير حيًا تلك الروح التضامنية النضرة، إنه الكلب "بيلو" وقـد وصـل ويبدو أنه راقه الجـو السـائد، ووراءه بمسـافة قصـيرة، دخلـت "روزيـر" و"لوبروتـون"، ووضعا حقـائبهما وجَـاكِيتيْهما في المـدخل، وهـما يلقيـان "صـباح الخـير" عـلى الجميـع ويقتربان من السبورتين.

رمقت "روزيير" "لوبروتون" بنظرة سريعة، في حين ابتسم الأخير ابتسامة خفيفة ودعاها للكلام.

تلمست "إيفا" شعرها لتنفشه قليلًا، ثم داعبت السلاسل المتدلية من عنقها، وبعد أن شعرت أن الترقب بلغ ذروته، بدأت بإعلان ما لديها بصوت احتفالي:

- "يان جينان"، البحَّار الذي قتل بالرصاص، والذي كنت أنا و"لوي بابتيست" نقوم بالتحقيق في قضيته خلال الأسابيع الماضية، كانت لديه علاقات كبيرة، وعلاقات مع أناس يهموننا - كان قد جهز ملفًا سميكًا كتب فيه مئات الأسماء بخط أشبه بنكش الدجاج. الرائد العظيم "لوبروتون" الموجود معنا هنا، المجتهد الذي لا تفوته فائتة، تكبد عناء قراءة القوائم بأكملها، ثم وفي منتصف الليل والمحيط يهدر في الخارج، قفز اسم في وجهه فجأة.

أشار "لوبروتون" بحواجبه داعيًا "روزيير" للاختصار، فوافقت الخطيبة المفوهة بالانتقال إلى الوقائع:

- إنه اسم "ماري سوزيل"، العجوز التي خُنقت في "إيسي لي مولينو"، القضيتان اللتان نعمل عليهما مرتبطتان.

فصاح الفريق في وقت واحد من الذهول:

- ماذا؟!

ثم تجمَّدوا في انتظارها أن تكمل.

تلذذت "روزيير" بالصمت الذي أعقب خطابها، فأردفت:

- إنها على قائمة المسافرين الذين زارهم "يان"، ومن الذين شهدوا معه، لقد سافر الاثنان على متن السفينة نفسها.

"هذا خبر جلل حقيقةً!" فكرت "كابستان"؛ العجوز والبحَّار أبحرا معًا وعانيا مأساة غرق العبَّارة، ثم التقيا بعدها لينتهي بهما الأمر مقتولين.

باتت جميع خيوط التحقيق متداخلة فيما بينها فجأة، ثم قالت وهي غارقة في أفكارها:

- هذا سيغير كل شيء.

فأكد "لوبروتون" كلامها:

- كل شيء.

28

أخذت "كابستان" ورقة، وبعد أن تأكدت أن لا شيء مهم مكتـوب عليهـا، واسـتخدمتها مسودة، عليها أن تسجل بأسرع ما يمكنها كل الأسئلة التي يـوحي بهـا هـذا الاكتشـاف، وبالطبع – كالعادة - القلم الأسود لا يعمل، فتناولت القلم الأخضر دون حتى أن تجرِّب حظها مع الأزرق، لا أحد يواجه مشاكل مع اللون الأخضر والأحمر.

- هل التقت "سوزيل" مع "جينان" على متن السفينة أم كانا على العكس؛ يعرفـان بعضـهما وسافرا معًا؟ هل سبق للأخ "أندريه" أو للجار "نولان" أن رأيا البحَّار؟ هل تـبرئ علاقـة "سـوزيل" بحادثة غرق العبَّارة "جالاتو" أم تجرمه؟

عندما رفعت "كابستان" رأسها لبرهة، شاهدت ضباطها مهتاجين وهم يتبـادلون الأقـلام بحثًـا عـن القلـم المعجـزة، وحـده "أورسـيني" كـان يملـك قلـمًا ماركـة "مـون بـلان"، و"لوبروتون" الذي كان يكتب على تليفونه الذكي، كانا قادريْن عـلى مجاراتهـا وتسـجيل ما تمليه عليهم على عجل، ثم انتصبت "كابستان" وقالت:

- يلزمنا لوح ثالث.

"لوويتز" المتحفز دائمًا لتقديم الخدمات، نهض لتوه وقال: "أنا لها"، ثم ارتدى جاكيته استعدادًا للنزول إلى السوق.

فتحت المفتشة حقيبتها، وأعطت العميد مالًا طالبةً منه أيضًا شراء أقلام تخطيط قابلة للمسح وخمسين قلمًا.

بعدها، أخذت برهة لتراقب فريقها، كان عليها توزيع المهام:

- نقيب "أورسيني"، سأترك لك مهمة البحث في أرشيف الصحافة حول حادثة الغرق، ربما على الإنترنت، لكن..

- كلا، أعتقد أن الحادثة أقدم من أن تكون قد تمت أرشفتها رقميًا، سأقوم بالاتصال ببعض الأصدقاء.

- ممتاز.

ذهبت "كابستان" إلى الممر حيث وقف "توريز":

- هل تستطيع الاتصال بالسيد "أندريه سوزيل" والسيد "نولان"؟ اسألهما إن كان اسم "جينان" يعني لهما شيئًا، لم يحدثنا الأخ عن حادثة الغرق، لكن هذا أمر طبيعي، فهي تعود إلى ما قبل وفاة "ماري" بعشرة أعوام.

هرش "توريز" لحيته آليًا، فأصدرت صوتًا يشبه صوت حكّ الأقدام بمشّاية الباب الجديدة.

- نعم، لم يستطع الربط بين الأمرين مرتبطين، سأسأله إن كانت "ماري" قد أشارت إلى أمر خاص في تلك الفترة.

جلس "لوبروتون" على الكنبة، رافعًا قدميه فوق صندوق قضايا مغلقة. لم يكن - حتى الآن - لم يكن قد اطلع هو و"روزيير" على قضية "سوزيل" إلا عن بعد، فكان عليه تفحص السبورة حتى يلم بعناصر القضية المختلفة.

حل إحدى مشاكل "توريز" و"كابستان" كان سهلًا. كان بوسع "لوبروتون" أن يعرضه على "كابستان"، لكنه خشي من أن تفهم كلامه على أنه يرغب في إحراجها أمام الجميع؛ كانت خلافاتهما تعقِّد عمل الفريق، وجودهم أصلًا في هذا المكان الضيق المعزول كان مرهقًا بما فيه الكفاية، ولم يكن هناك داعٍ أبدًا لافتعال الشجارات.

كان "لوبروتون" يراقب "كابستان" وهي تقود الفريق، كانت تملك لطافة عفوية، شيء من الرقة بدون رخاوة، ومن الصلابة بدون قسوة، ومن السلطة المتفهمة للآخر، لو لم تكن عصبيتها عالية بهذا الشكل، لأصبحت مفاوضة ذات باع طويل، لكنها لم تكن تعرف كيف تقاوم الاستفزاز، ففي التحقيقات والاستجوابات وحتى في اللعب، استراتيجية "كابستان" هي الهجوم دائمًا، إنها لا تقف موقف الدفاع إطلاقًا. نقر "لوبروتون" على ركبته بسبابته؛ كان مترددًا وينتظر الوقت المناسب.

كانت المفتشة في طريقها نحو "داكس"، ولدى مرورها أمام الكنبة، أشارت برأسها مستفهمةً من "روزيير"، التي كانت جالسة مرتاحة بين وسادتين، وكلبها مستلق على رجليها، رفعت تليفونها المحمول الساكن وقالت:

- "مائيل" لا تجيبُ، سأسألها مجددًا إن كانت تعرف العجوز.

هزت "كابستان" رأسها موافقة ولحقت بأخصائي المعلوماتية؛ أرادت أن تحصل منه على نشاطات "جالاتو" عندما قتلت "ماري سوزيل"؛ بما أن حظوظ الفرقة في الحصول على أذون قضائية تشبه حظوظ إبليس في الجنة، كان لا بد من الالتفاف على الأذون الإدارية، ووفق السيرة الذاتية للضابط "داكس"، كان هو رجل الموقف.

لكن سرعان ما راود المفتشة الشك مع اقترابها منه، إذ رأته يرسم "بارت سمبسون" على اللوح الذي ركبه "لوويتز" لتوه، ثم استسلمت نهائيًا عندما رأته يلصق لبانته على أنف الشخصية الكرتونية، لكنها حاولت رغم كل شيء:

- أيها الملازم، أنت القادم من إدارة مكافحة الجريمة على الإنترنت، هل بوسعك تجاوز جدران الحماية وإحباط أنظمة الأمن.. أمور من هذا القبيل؟

وقف "داكس" وهز يديه بفخر، وقال:

- بالطبع أستطيع! عن ماذا علينا البحث؟

- كل ما يتعلق بالمدعو "جالاتو" بين أبريل وأغسطس 2005: حسابات مصرفية، سجلات التليفون، تنقلاته، شركته ورجاله، كل ما تجده.

هز "داكس" رأسه بعزم عدة مرات وطقطق أصابعه؛ كان يتحضر للعودة إلى العمل من أوسع الأبواب.

ابتسمت "كابستان" للملازم وعادت إلى كرسيها؛ على المفتشة الآن أن تعيد التدقيق في ملف "جينان" وفي أدق تفاصيله، لقد أصبحت هذه القضية قضيتها.

كان ثمة بداية خيط تلوح في الأفق.

"لوبروتون" و"روزيير"، بتركيزهما في التحقيق على "جـالاتو"، أهمـلا طبـع الضـحية، فمن المؤكد أن بحارًا على هذه الدرجة من المثابرة، من جمعه لمئات الوثـائق وتسـجيل كل شيء كتابةً بيده، بحَّار مثلـه لا بـد أنـه كـان يملـك دفـتر يوميـاتٍ مـا؛ شيء كسـجل السفينة، ومؤكد أن في ذلك السجل - إن وجد - مفاتيح حاسمة.

"كابستان" لم تكن ترغـب في الإشـارة إلى هـذه الهفـوة في التحقيـق، فعلاقاتهـا مـع "لوبروتون" متوترة بما فيه الكفاية، ومهمتها الآن ألا تجعل السـلبية تظهـر أكـثر، لكنهـا وعدت أن تفتح الموضوع معه عندما تحين الفرصة للحديث على انفراد.

في أجواء العمل المثابِر تلك التي بـدأت تسـود المكتـب، سُـمع صـوت حركـة كـرسي "توريز"؛ اجتاز الصالة مرتديًا جاكيته، استمر الصمت حتى سُمع غلق الباب الخارجي.

إنها الثانية عشرة، قالت "كابستان" لنفسها: "حان وقت تناول الغـداء، والمـرء ينجـز من الأعمال أكثر عندما تكون معدته مليئة".

29

سجَّل "لوبروتون" و"إيفرار" الطلبات، ثم نزلا لشراء الهامبرجر والبطـاطس المقليـة لكـل الفرقة.

بعد عودتهما وتوزيع الأكل، تكدس الجمعُ في البلكونـة وقـد باتـت تضـيق بهـم الآن، دس الضباط أنوفهم في كيسهم الورقي البني للتأكد من أن طلبيته موجودة كاملـة، بيـنما كان "بيلو" يهرول بينهم بحثًا عن الحلقة الأضعف.

أما "ميرلو" فقد أكل ساندويتشه الهامبرجر بالجبنة كمستكشف يدخل مغامرة، كان يكتشف أرض طعام الشارع لأول مرة، ويعض الخبز الطري بنهم، تدفق الكاتشاب مـن الهامبرجر، وانزلقت شرائح الخيار المخلل فوق الصوص حتى وقعت فـوق ربطـة العنـق الملطخة أصلًا، ودون أدنى التفات لما حدث، أخذ النقيـب منـديلًا ورقيًـا ومسـح بحركـة سريعة ما وقع على البلاط، جاء الكلب يتشمم مكان السقوط، لكنه لم يقتنع بمـا وجـد، وكان يفضل انتظار أن تسقط قطعة لحم حقيقية.

أشار "لوويتز" إلى الحيوان وهو يبتلع لقمة قبل أن يخاطب "روزيير":

- اسمه "بيلوت"، على اسم أحد سائقي سباقات السرعة أم على اسم كابتن الطائرة؟

- على اسم المسلسل، إنه الموسم الأول وستتبعه حلقات أخرى.

بدت الدهشة على وجه "داكس"، فتوقف عن المضغ وسأل:

- تريدين اقتناء أكثر من كلب؟

- كلا، مسلسل، مسلسل تليفزيوني.

أغلقت "إيفرار" الغطاء البلاستيكي لطبق السلطة وبالكاد تناولت منه شيئًا، ثم أخرجت علبة بسكويت "بيتي بور" من كيس بلاستيكي موضوع أمامها وأزالت الغلاف، ثم وهي تقضم بسكويتتها من زواياها الأربع، مررت العلبة على الآخرين.

مد "داكس" يدًا متحمسة، فقالت "إيفرار" ممازحة:

- أراهنك بعشرة يورو أنك لا تستطيع تناول ثلاث قطع خلال دقيقة واحدة.

فتدخلت "كابستان":

- بدون نقود.. كم قطعة في الدقيقة؟

كررت "إيفرار" قولها وهي تهز برأسها تأييدًا للنصيحة:

- ثلاث قطع.

فقال "داكس" بفم مليء بالطعام:

- فقط؟!

انتصب على قدميه متشوقًا للمواجهة، ويداه ممدودتان على طول جذعه، هـز يديـه وحرك رأسه في كل الاتجاهات للتسخين، ثم قال باقتضاب:

- هاتِها.

سرعان ما تشكل حشـد حـول البطـل، وقـد ذكَّـر هـذا التحـدي الغبـي "كابسـتان" بفيديوهات قديمة شاهدتها على اليوتيوب أو ربما أحد الأفلام.

ثلاث بسكويتات في دقيقة واحدة، تبدو المهمـة سـخيفة، لكنهـا مسـتحيلة حقيقـة، إنها فرصة طيبة للحصول على بعض المرح بين الزملاء.

التهم "داكس" البسكويتات الثلاث دفعة واحـدة، وبـاشر فكـاه العمـل عـلى هـرس الكتلة وإدارتها بين شدقيه أملًا في ابتلاعها.

كانت "كابستان" مستندة إلى البـاب الزجـاجي تراقبـه مـن بعيـد، وهـي تقضـم في البطاطس المقلية مفكرة، فاستغل "لوبروتـون" الوقـت للاقـتراب منهـا هامسًـا بصـوت منخفض:

- فيما يتعلق بغياب القطة، أنا متفق معك، الأمـر غريـب، وإن كنـا نريـد البـت في هذه الناحية، فعلينا العثور على سلتها.

استقامت "كابستان" لتدل على اهتمامها، بينما أكمل "لوبروتون" بالنبرة ذاتها:

- إن اتصـلنا بالطبيـب البيطـري الأقـرب إلى بيـت "مـاري سـوزيل"، سنحصل على تاريخ آخر زيارة صحية للقطة، وسـيعرف الطبيـب إن كانـت

صاحبة القطة تنقلها في سلة أم لا، وإن لم تكن تلك السلة في البيت، فهذا يعني أن القاتل قد أخذها معه.

- ربما تخلصت "ماري" من السلة بعد موت القطة.

- لا أحد يتخلص من أشياء كهذه بهذه السرعة، وحتى إن كانت القطة قد ماتت منذ فترة طويلة، فسيعرف البيطري بذلك.

- معك حق، الطبيب البيطري، السلة... فكرة جيدة، سأهتم بالموضوع بعد ظهر اليوم، شكرًا أيها الرائد.

ضغط "داكس" على ساعة التوقيت: دقيقة وثلاثون ثانية، لقد فشل، فبدا عليه الاستغراب.

أخذ "لوويتز" مكانه متبعًا طريقة معاكسة تمامًا لما فعله صاحبه، إذ راح يقضم البسكويتات واحدة تلو الأخرى بإيقاع مستمر، مثلما يأكل الأرنب "باجز باني" جزرته.

كان بوسع "كابستان" استغلال الفرصة أيضًا لتنقل لـ"لوبروتون" استنتاجاتها حول "جينان"، لكن الأمر كان سيبدو أن فيه روح الثأر الصبياني، كمن يقول: "تريد أن تعطيني درسًا، خذ أنت أيضًا درسًا"، لكن المفتشة لم تكن تحب تلك الأمور.

شعر "لوبروتون" بترددها، فسألها:

- وماذا عن قضية "جينان"، هل لديك جديد حولها؟

- نعم، رأيي أن "جينان" بعقليته كضابط في البحرية، لا بد أنه كان يسجل كل ما يحدث في سجل الرحلة، ويمكنني أن أجزم بأن مسافرنا الغامض موجود فيها.

فقال "لوبروتون":

- سجل للرحلات! بالطبع، أرملته قالت لنا إنه كان يتكلم كثيراً، فربما كان يكتب أيضًا للترويح عن نفسه.

غضب "لوبروتون" من نفسه لأنه أهمل هذا الاحتمال، ولأنهم لم ينوعون في الأسئلة التي طرحوها خلال لقائهما مع "مائيل" بما فيه الكفاية، وفي هذه الحالة، لا بد من رؤيتها مجددًا في أسرع وقت.

شكر الرائد "كابستان" بإشارة من رأسه ثم انضم إلى "روزيير"، وكانت هي – الآن - من يحاول ابتلاع البسكويتة الثالثة تحت نظر "إيفرار"، وساعتها الكاوتشوكية التي كانت تقوم مقام الحكم، ثم صاحت هذه الأخيرة:

- دقيقة وعشر ثوان! رقم قياسي جديد، لكن حتى الآن لم ينجح أحد في كسر حاجز الدقيقة.

فقالت "روزيير" وهي تسعل:

- سنحطمه، نحتاج بعض التدريب فقط.

⊙⊙

بعد ذلك ببضع ساعات، وبينما كان "ميرلو" يأخذ قيلولة عميقة على الكنبة، كان زملاؤه قد تقدموا في التحريات.

من قوقعته، كان "توريز" قد اتصل بـ"أندريه سوزيل" وتحادثا طويلًا: الأخ يذكر البحَّار "جينان"، وقد حدثته عنه أخته "ماري" بعد حادثة الغرق، لكنه لم يلتقيه إطلاقًا، ويبدو أنهما أمضيا عدة ليالٍ يتذكران المأساة ويبكيان معًا لعلهما يتخلصان من صدمتهما، وذات يوم اختفى البحَّار، غير هذا، لا يعرف "أندريه" شيئًا.

لم تعرفه "ماري" قبل حادثة الغرق، إذًا هذا يعني أن علاقتهما تعود إما إلى السفينة أو خلال إقامتهما في فلوريدا، كما اتصل "توريز" بالجار "نولان" الذي قال إنه لم يسمع بالبحَّار إطلاقًا.

كان "أورسيني" قد تلقى عبر الفاكس سلسلة مقالات حول الحادثة وفيها زوايا مختلفة، وهي مشحونة بالعواطف أكثر من مقالة الويكيبيديا - التي سبق لـ"لوبروتون" أن طبعها - وأكثر اختصارًا من ملف البحَّار، لكنه لم يجد في أيٍّ منها أدنى إشارة أو معلومة يمكن الاعتماد عليها، فقرر تعميق أبحاثه في مكتبة البلدية لاحقًا.

من ناحيتهما، لم تنجح "روزيير" و"لوبروتون" في الاتصال بـ"مائيل جينان"، في المقابل تحدثا إلى "جالاتو": كان اسم "سوزيل" "بالكاد يعني له شيئًا"، و"نعم، ربما رآه في عريضة ما"، لكن الأهم كان قوله إنهم "يزعجونه"، وقد زودت "روزيير" "كابستان" بملخص لكلامه، فقامت المفتشة بتسجيل المعلومات على السبورة، عندما ناداهما "داكس" من خلف كمبيوتره صائحًا:

- وجدتها!

في أقل من ثانية، هرع الجميع نحو الملازم وفي مقدمتهم رفيقه "لوويتز" الذي هنأه مربتًا على كتفه، يداه على لوحة المفاتيح، وبوجه مستبشر أشار "داكس" إلى الشاشة بذقنه:

- السجل الجنائي لـ"جالاتو"! استغرقني اختراق الجدار الأمني للإدارة ساعات، لكنني نلت منه؛ غير محكم.

بدا على وجه "كابستان" الارتياب، ثم حاولت أن تستعيد رباطة جأشها؛ لقد رأت الملازم وهو يحرك – لساعات – "ماوس" جهازه في كل اتجاه، مثل عازف البيانو المحترف في كامل نشاطه، كانت جبهة "داكس" تلمع من العرق ولم يتوقف عن العمل إلا مرة واحدة ووحيدة، حين ذهب وشرب ما مقداره ثلاثة جالونات من الماء، كل تلك الطاقة وذلك الاستبسال لكي يخرج عليهم في النهاية بوثيقة موجودة أصلًا في الملف الجنائي الأساسي! ابتسمت "كابستان" بهدوء حتى تخفي خيبة أملها:

- عمل جيد، أيها الملازم، لكن الوثيقة لدينا بالفعل، وقد اتصلت "روزيير" لتحديث ما فيها من معلومات، لقد حدثتك عن الأمر.

- آه!

بدا الذهول على وجه "داكس" لبضع ثوانٍ قبل أن يردف:

- سمعتكم تقولون "سجل جنائي"، فبحثت عن ذلك.

أومأت "كابستان" مذعنة كما لو أن ذلك الاستنتاج يبرر ما حدث، ثم توجهت نحو المطبخ؛ كانت بحاجة إلى فنجان من القهوة المظبوطة.

أخرجت "فيلتر" ورقيًا ووضعته في آلة صنع القهوة، ثم تنامى إليها صوت قهقهة "روزيير" وهي تدخن بصحبة "لوبروتون" في البلكون.

- يا لها من نكتة! يعتقد أنه "عبقرينو"! وكأن لديه شيء في رأسه! الرجل يعرف كيف يبحث، المشكلة فقط أنه لا يعرف عن ماذا يبحث.

ثم قالت وهي تلتفت نحو "لوبروتون" بحثًا عن موافقته:

- هل رأيت ما حدث؟

لكنها لم تحصل على أي ردة فعل منه، فأكملت حول الموضوع نفسه:

- في كل الفرق، لديهم عبقري كمبيوتر إلا نحن، نحن لدينا "غبي الكمبيوتر".

ثم قهقهت قائلة:

- بهذه الطريقة لن نصل إلى نتيجة، صدقني، لن نصل لنتيجة!

"لوبروتون" الجالس إلى جانبها لم يعلق على شيء، لم يجب على أي شيء، وقد تساءلت "كابستان" إن كان ذلك لامبالاة منه أم التزامًا مطلقًا بعدم اغتياب زميل له؛ التمييز صعب جدًا، وإن كان حدسها يميل إلى الخيار الثاني.

انضمت إليهما بعد قليل، تبعها "لوويتز" و"إيفرار"، ثم وهي تحرك السكر في قهوتها، أعلمت زملاءها بأمر آخر يثير استغرابها:

- لم أجد لائحة المسافرين في الملف الجنائي، هناك قائمة الموقعين على العريضة في ملف "جينان" السميك، إنما لا شيء عن أسماء من ركب المركب ذلك اليوم.

هز كل من "روزيير" و"لوبروتون" رأسيهما سلبًا؛ هما أيضًا لم تمر تلك القائمة بين أيديهما.

فقالت "إيفرار" وهي تنظر في ساعتها لتحسب فارق الزمن:

- هذه ليست مشكلة، سأحل الأمر مع شركة النقل البحري الأمريكية، سأتصل بهم هذا المساء.

فسألها "لوويتز" مشدوهًا:

- تتكلمين الإنجليزية؟

- قضاء الإجازات في لاس فيجاس ليس مفيدًا دائمًا، لكنه جيد لتعلم الإنجليزية.

لم يبق سوى الاتصال بـ"مائيل جينان"، التي لم تردَّ حتى الآن على اتصالاتهم.

⊙⊙

جلس "لوي بابتيست لوبروتون" في الصالة الخلفية في مطعم فيتنامي بشارع "فولتا". إلى جانب انعكاس أضواء النيون، كان ثمة تليفزيون معلق يبث كليبات بدون صوت، وكان الرائد ينظر إليها دون أن يراها، وهو يحرك طبق "البوبون بصلصلة النيم"، كان يأكل الشعرية بواسطة

العيدان الصينية عندما اهتز تليفونه الآيفون على الطاولة الفورميكا، إنها "مائيل جينان".

وضع طبقه والعيدان، وجفف أصابعه بالمنديل الورقي لكي يرد على المكالمة:

- ألو؟

- مساء الخير، آسفة للاتصال في وقت متأخر؛ أمضيت نهاري برفقة ابني، اليوم عيد ميلاده، أمضينا وقتًا رائعًا، إنما لم يكن هناك شبكة.

- بسيطة.

- يمكننا أن نلتقي غدًا صباحًا، إن أردت، لا أدري ما الذي يحدث هذه الأيام، فالجميع يريد أن يتحدث إليَّ!

30

أغلق "لوبروتون" صندوق بريده بنصف دورة من مفتاحه، ثم دلف إلى شارع "فوبور سان أنطوان". كانت سماءً رمادية شاحبة تخيم على المدينة، والحياة في باريس - المختنقة بسبب نقص الأكسجين - تنبض نبضًا ضعيفًا تحت مظلتها الملوثة. أخذ "لوبروتون" يمينه باتجاه شارع "الإيشيكييه".

أولًا الصحيفة والعلاقة مع "سوزيل" والركاب وما قد تكون الأرملة قد نسيته أو أخفته، لقد أمضى الرائد الليلة بطولها محاولًا جمع القصص التي روتها "مائيل جينان": الملاحة، النظارات، الأقدام التي تدوس على الوجوه، زوجات تُغرق أزواجها.. لقد بلغ الفزع في النفوس أقصاه، دافعًا الناس إلى القيام بأمور لا يمكن تخيلها، ولا بد أن تلك الاحتقانات كانت تتفجر داخل رؤوس من شهد الحادثة لأشهر بعدها، وربما أدت بأحدهم إلى ارتكاب جريمة، ولم لا!

بعد أن انعطف "لوبروتون" إلى شارع "مازاجران"، لاحظ وجود ثلاث سيارات شرطة، كانت أضواء السارينة تدور بصمت، وضباط باللباس

الرسمي يروحون ويغدون وهم يضربون شريطًا أمنيًا حول عمارة "جينان"، وأجهزة اللاسلكي تصدر أصواتًا آلية حاملة أوامر شتى.

توقفت سيارة لشرطة الأدلة الجنائية على بعد أمتار من البوابة، نزل منها جماعة التقنيين، ثم اختفوا داخل البناية بعد أن صكوا أبواب السيارة.

فقال "لوبروتون" لنفسه دون أن يصدق ما يراه: إنها العمارة نفسها، لكن ليس من الضروري أن تكون هذه الضجة متعلقة بـ"مائيل جينان".

أخرج شارة شرطة من جاكيته ووضعها على ذراعه، ثم أبرز شارته سريعًا لأحد العناصر المكلفين بحفظ الأمن، ثم صعد بساقيه الطويلتين السُلَّم أربعًا أربعًا. كانت صورة الأرملة الوديعة تملأ رأسه، ربما ما كان عليهم إعادة فتح ذلك التحقيق.

على سُلَّم الطابق الأول، التقى بعنصري شرطة يطرقان أبواب الجيران لاستجوابهم، أحد الجيران ممن فتح لهم الباب، كانت لا تزال تبدو عليه آثار النوم، فالوقت لا زال مبكرًا.

تجاوزهما "لوبروتون" سريعًا - غطاء الطاولة المشمع المهترئ، الأظافر المقلمة، ياقة القميص البالية، قضاء يوم في الريف للاحتفال بعيد ميلاد ابنها، كانت تفاصيل حياة كاملة تعبر ذهنه مختلطة بمشاعر ندم.

في الطابق الرابع، كان باب شقة الأرملة مفتوحًا، ونمى إلى سمع "لوبروتون" أصوات حركة مميزة، خطا داخل الشقة ورأى حذاء رياضيًا في قدم جثة، وكانت نجمة فضية تلمع على الرباطات.

تقدم الرائد في المدخل، وتعرف على "مائيل جينان" حتى دون أن يشاهد وجهها، لقد وقع جسدها دفعة واحدة على موكيت الصالون، وبقع الدماء قد حولت الفراشات المطرزة على بنطلونها الجينز إلى بقع حمراء، وعلى مستوى البطن، رأى سكين مطبخ مغروزة فيه؛ كان الجو عابقًا برائحة الدم.

كان تقنيو المخبر والطب الشرعي، بملابسهم الورقية البيضاء، ينثرون البودرة ويضعون العلامات الصفراء، بينما وقف المصور يلتقط بفظاظة صور الضحية الخجولة.

لم يكن بوسع "لوبروتون" أن يرى الصورة كاملة بعدُ، وكان يهم بدخول الصالون عندما اعترضه جاكيت أسود مزرر بحرص شديد، يعلوه وجه حاد الملامح وبشرة سمراء وعين متنبهة، عرف "لوبروتون" فيه مأمور الضبط القضائي "فالنكور"، مدير الفرق المركزية، وسأله هذا الأخير باقتضاب:

- من أنت؟

كان مسرح الجريمة يجذب "لوبروتون" بشدة لا تقاوم، ولم يستطيع منع نفسه من إلقاء بعض النظرات المتسللة من وراء ظهر المأمور، إنما كان عليه أن يجيب على السؤال طبعًا وبسرعة، لأن المعلومات التي لديه ستغير – حرفيًا - كل شيء حول مقتل "مائيل"، وستكون شعبة الجنائية بحاجة إليها لمباشرة التحقيق، فقدم نفسه: الاسم والرتبة والعمل.

- نعم، فهمت، وماذا تفعل هنا أيها الرائد؟

فعرض "لوبروتون" الخطوط العريضة لتحرياتهم حول "يان جينان"، وهو يراقب سلوك "فالنكور"، وكان هذا الأخير يترنح متململًا، متعجرفًا، شاردًا، متشوقًا لإنهاء الحديث، كان يستمع إنما دون إعطاء ما

يسمعه أهمية حقيقية، كان مستمرًا في إعطاء تعليماته والإجابة على سؤال من هنا واستفسار من هناك من ضباطه، فتعمد الرائد أن يسكت حتى يجبر الرجل على إبداء شيء من التهذيب.

بسيادة الصمت المفاجئ، قرر "فالنكور" الالتفات إلى محدثه بقدر أكبر من الانتباه:

- جيد، جيد جدًا، وكم عمر هذه القضية التي تعملون عليها؟

- منذ يوليو 93.

- فهمت.

ارتسمت على وجه المأمور نصف ابتسامة كانت لتجعل "كابستان" تقفز من مكانها لو رأتها، ثم أكمل بصوت متصنع:

- أيها الرائد، ما تقوله لي مهم، سنقوم بدراسة ذلك.

ثم أخذ ذراع "لوبروتون"، وقاده نحو باب الخروج؛ طريقة مهذبة إنما حازمة لطرده من مسرح الجريمة.

تعمد "لوبروتون" أن يتثاقل ويتغابى، لإطالة العملية والحصول على الوقت اللازم لتفحص الصالون؛ كان يريد أن يعرف إن كان قد تم نبش الأثاث.

لفت انتباهه دفتر أحمر كبير إلى جانب جهاز التليفون، من بعيد كان يبدو كدليل التليفون. مع ذلك، هو متأكد أنه لم يكن موجودًا هنا عندما جاؤوا لزيارة "مائيل" المرة الماضية، فذاكرته لا يشق لها غبار، لأنه تعلم خلال عمله لسنوات في سرية التدخل السريع أنه لا يملك غالبًا سوى بضع ثوانٍ لطباعة صورة ذهنية لغرفة ما، لا بد أن المرأة قد وضعته جانبًا بعد اتصالها به أمسِ مساءً.

- أرسل لي تقريرًا بما توصلتم إليه إلى مكتبي في الإدارة العامة مباشرة، بانتظار ذلك، أنت تعرف الإجراءات، نحن سنستلم الأمور هنا، شكرًا جزيلًا لك أيها الرائد، بإمكانك الانصراف الآن.

أشار المأمور إلى أحد العناصر لمرافقة المتسلل إلى الأسفل.

كان على الرائد مغادرة المكان مرغمًا دون مزيد من المعلومات، مزجورًا مثل شاهد مشكوك في أقواله.

ظل عقل "لوبروتون" مشغولًا بالتفكير وهو يهبط السلالم، وانتظر حتى وصل ناصية شارع "بون نوفيل" للاتصال بـ"روزيير"، ردت على الفور:

- مرحبًا.. "بيلوت"، نَم! اجلس! قلت لك ألا تتحرك.

قال "لوبروتون" ورأسه لا تزال مخدرة من وقع الخبر.

- لقد قُتلت.

بالكاد مضى أسبوع على لقائهما معها، قالا لها إنهما سيجدان قاتل زوجها، ثم ها هي تُقتل تاركة وراءها ابنها، وعلاوة عليه، فلا يحق لهما الاطلاع على مجريات التحقيق. لكنهم لا يزالون مكلفين بقضية "يان جينان"، وربما أمدتهم الجريمة الجديدة بخيط جديد، لا بد أن الإدارة الجنائية ستطلعهم على حيثيات القضية، بانتظار ذلك، عليهم ألا يتركوا شيئًا يمر دون العلم به.

- القضية في عهدة إدارة الشرطة الجنائية وهم – بالطبع - لا يريدوننا بينهم حتى لا نعيقهم، إنما لا بد لنا من الحصول على المعلومات. أعلمي "كابستان" بالأمر، سأنتظركما في المقهى على ناصية الشارع، أمام مكتب البريد لأراقب ما يجري، أراكما لاحقًا.

31

في المقهى، كان صوت ماكينة القهوة الضخمة يغطي على همهمة الأحاديث بين اللحظة والأخرى، والراديو مفتوح على قناة ترهق الزبائن بالإعلانات الهستيرية، ولم يكن بوسع "لوبروتون" التفكير.

في القسم المخصص للمدخنين في آخر المقهى، كان عدد من الناس ينفثون دخان سجائرهم باستسلام، وإلى جانب الصندوق تمامًا، كان صاحب المحل يصنع فنجان إسبرسو بجدية صانع الساعات، وعلى كتفه قطعة قماش مبللة.

جلس الرائد على طاولة منزوية بعض الشيء، قريبًا من النافذة المطلة على شارع "مازاجران" ومكتب بريد "ستالينست".

على الطرف الآخر من النافذة، رأى السيارة "اللكزس" السوداء تنزلق على طول الرصيف وتتوقف بكل سلاسة.

نزلت "كابستان" برشاقة من باب المقعد المجاور للسائق، وتوجهت نحو المقهى، يتبعها "أورسيني" و"روزيير" و"بيلوت"، فنهض "لوبروتون" للقائهم.

قالت "كابستان" معلنة:

- "توريز" قادم، لقد خطرت بباله فكرة، لكن عليه المرور على البيت أولًا.

كالعادة، لدى ذكر الملازم المنحوس يصمَّ الجميع آذانهم، وكأن المفتشة لم تفتح فمها. مع ذلك، كانت تثابر على ذكره مهما كلف الأمر؛ رغبة منها في التخفيف من حدة الأمر.

نزعت معطفها ثم طوته بحركة أنيقة ووضعته فوق الكرسي.

نظرت إلى "لوبروتون"، وسألت:

- ماذا حدث؟

- قدمت نفسي، لكنهم شكروني وطردوني؛ "فالنكور" هو من يشرف على الأمور، تفهمين قصدي.

- فهمت، قال لك أن تقدم له تقريرًا شاملًا؟

- بالضبط.

هزت "كابستان" رأسها ساخطة أكثر منها مغتاظة، فذلك الاستقبال ما كان ليفاجئها.

ظل "لوبروتون" واقفًا بينما جلست "كابستان"، ثم ظهر "ميرلو" في المقهى وتوجه مباشرة نحو البار مصافحًا البارمان، وعلى أعقابه دخلت "إيفرار" و"داكس"، وانضما إلى المجموعة.

أكملت المفتشة كلامها:

- سيحصلون على تقرير مبدئي عن المكان، بل سننهي التحقيق لهم قبل حتى أن يبدؤوا به، وبذلك تُحل القضية.

- لكننا نحتاج للمعاينات الأولية، ساعة ارتكاب الجريمة، تقرير الطب الشرعي... هل بوسعك طلب ذلك عبر "بورون"؟

فكرت "كابستان" لوهلة، لقد تعلمت درسًا من اتصالاتها الماضية مع رؤساء الإدارة في الـ36، وإن كانت الفرقة ستدخل المنافسة لحل قضية مقتل "مائيل"، فالأفضل عدم إعلان ذلك لأنهم قد يواجهون بسببه منعًا قضائيًا بالتدخل.

في المقابل، مقتل الأرملة يشكل عنصرًا جديدًا في قضية زوجها "يان جينان" وامتدادها قضية "سوزيل"، وهم - في هذا - لا يحتاجون لإذن أحد لإتمام تحقيقاتهم التي سبق أن بدؤوها، وهم - بكل صراحة - لا يتعدون على منطقة عمل الإدارة الجنائية، بل يعملون في خط موازٍ لها.

القضية كانت واضحة وضوح الشمس، مع ذلك فمن المؤكد أن "بورون" لن يتوانى عن توبيخها، لكنه سيتجنب الحديث عن عصيان صريح للأوامر، ما يستبعد احتمال أي عقوبات للفرقة.

مع ذلك، يبقى هناك عائق واحد، إذ ليس بوسعهم المطالبة بأي شيء، فجاء جواب المفتشة بالنفي:

- كلا، بدايةً سنعمل مستقلين محاولين عدم لفت الإنتباه.

فضَّل "لوبروتون" إعلام رؤسائهم بالمستجدات دائمًا، فحتى إن كانت الأسابيع الماضية قد بدأت تبعده عن الإجراءات المتبعة عادة، لكنه لا يتقبل كثيراً تلك الأساليب الملتوية والسير على الهوامش القصوى للقانون.

قطب حاجبيه واستند إلى الباب الزجاجي العريض، يداه في جيبَيْ بنطلونه، ثم قرر أن يومئ برأسه موافقًا:

- "مائيل" كانت قد حضَّرت لي سجل الرحلة، رأيته موضوعًا إلى جانب التليفون.

فقالت "كابستان" مبتسمة بلطف:

- ولم ترشد الزملاء إليه؟!

فرد "لوبروتون" معترفًا:

- كلا، لنقل إن شبهة استعلاء في لهجة "فالنكور" دفعتني إلى التردد في ذلك.

- لا بد من الحصول على ذلك السجل.

- مؤكد أننا لن نقوم بسرقته.

قطبت "كابستان" حاجبيها في تردد، ثم تهربت من الموضوع:

- أي شيء آخر؟

- عندما زرناها أول مرة، رأينا خزانة ملفاتٍ زرقاءَ في الصالون، كان فيها الملف وكامل الأوراق. الخزانة يمكن قفلها بالمفتاح، لم أستطع الاقتراب لمعرفة إن كان الجاني قد كسره أم لا، ولكن إن كان كذلك، فمعناها أنه كان يبحث عن الوثائق، مثلنا.

قالت "كابستان":

- لا بد لنا من العودة إلى الشقة، هناك شعبة التحقيق الجنائية، إنما هناك أيضًا قسم شرطة الدائرة العاشرة، وشعبة الطب الشرعي... سيكون من الصعب عليهم التمييز بين عناصر الشرطة المكلفين بالتحقيق من عناصرنا، بوسعنا أن نحاول الدخول بعد مغادرة "فالنكور" المكان.

اعترضت "روزيير":

- حتى إن استطعنا إلقاء نظرة، لن يكون بوسعنا أبدًا البقاء وتدوين الملاحظات دون لفت الانتباه، أما بالنسبة للمعاينات، فنحن مجبرون على طلبها.

فاستمرت "كابستان" بكلامها والابتسامة على وجهها:

- لا، لا أرغب في ذلك.

- لن نقوم بسرقة الملف من إدارة الجنائية، أليس كذلك؟

- كلا، لن نفعل ذلك، وأنا أفضل فكرة أخرى إن كان لدى أحدكم أية أفكار!

تبادل الجميع النظرات بصمت؛ كانت لديهم مشكلة وليس الحل، حتى إنهم لا يعرفون ساعة وقوع الجريمة؛ أي أنهم بعيدون حتى عن حدود التحقيق الموازي.

رأت "كابستان" - عبر الزجاج - "توريز" قادمًا وهو يلهث حاملًا كيسًا ورقيًا تحت ذراعه، أشار إليها من الشارع، فهرعت المفتشة لملاقاته وهي تقول بلهجة معلنة:

- سيكون بوسعنا سماع ما يقولونه.

- "نسمع"! أيتها الملازم، طمئنيني، قولي إنك لا تنوين إخفاء ميكروفونات في مسرح جريمة!

هذه المرة، سيتم التعامل مع "كابستان" بسرعة.. إنه السجن!

كان بودها حقًا حل القضية قبل أن يتمكن رجال الإدارة من ذلك، إنما لم يكن في نيتها التضحية بحريتها لأجل ذلك.

فقال "توريز" مختالًا:

- استخدام أجهزة التنصت غير قانوني، إنما بوسعنا استخدام هذا.

وأخرج من كيسه الورقي علبة عرضها على "كابستان" عن قرب:

- جهاز رقمي لمراقبة الأطفال الرضع؟! انظروا إلى هذه التحفة: مداه ألف متر، خاصية التنبيه عن اختفاء الإشارة، منبه بثلاث نغمات مختلفة، ضوء ليلي خفيف وموجات إلكترونية ضعيفة وغير ضاره، إنه "البيبي فون"، جهاز لا غنًى عنه لمراقبة الأطفال الصغار.

ثم أنهى كلامه برضًى قائلًا:

- هكذا ربيت طفلَيَّ الأخيرين.

تأملت "كابستان" الملازم الذي لا تنضب الأفكار لديه أبدًا، كان متألقًا بفخر أبوي كبير. "بيبي فون" في شقة مربية، أحد أكثر أجهزة التجسس تخفيًا في العالم، ولن يلاحظ أي شرطي وجوده في المكان.

32

صعدت "إيفرار" الدرجات الخشبية المتهالكة بصمت، وهـي تـداعب سـطح الـ"بيبـي فون" الأملس والمستدير كحجر تعويذة.

كانـت مهمتهـا هـي وضعه في المكـان المناسـب، وإن تصرفـت بالشـكل الصـحيح، فستكون لديهم فرصة لأن يحلوا جرائم قتل آل "جينان"، وأن يتم الاعتراف بهم كضباط شرطة شرعيين، وليس علبة مسامير قديمة. في المقابل، إن فشـلت، فسـيتم الإمسـاك بهـا بالجرم المشهود وهي تحاول التنصت بشكل غير قانوني، ضعف الربح أو لا شيء.

فيما يتعلق بالتسلل وعدم لفت الانتباه والمرور مثل الظل، "إيفرار" كانت ماهرة في فعـل ذلك؛ لم تكن بالشقراء ولا الحمراء ولا السمراء، فلم يكن حضورها يثير أية شكوك. مع الـزمن، تحول ما كان تكتيكًا إلى قدر، لم يعد أحد يراها، وبقدر ما مثلت دور المسكين غـير ذي البـال، بقدر ما فقدت رغبتها في تلك الحياة المملة، فذهبت تبحث عن المغـامرة والتشـويق في أكـثر المناطق وباءً.

بدأت أولًا بلعب القمار لما فيه من إثارة وربح، ثم - مثلها مثل كل المدمنين - صارت تلعب لكي تخسر، تلك اللحظة التي يتم فيها تقرير حياة كاملة، دورة الروليت تلك التي تلتهم المدخرات وتضاعف الديون وتفرق العائلات؛ إنه نداء الفراغ، إذ نادرًا ما تسنح للمرء فرصة أن ينظر إلى الحظ وجهًا لوجه، ثم يراه يتردد في الوقوع بين يديه.

لم تملك أبدًا شيئًا ثمينًا تخشى خسارته، لكن هذه المرة، الفرقة تعجبها وهي سعيدة مع زملائها في العمل؛ أصبح لديها شعور أنها تصعد من جديد إلى السطح، هي الآن تمشي على الحافة بين هاويتين، بعدم توازن خفيف، لكنها تتقدم، ولا بد لها من وضع الـ"بيبي فون" في مكانه المناسب.

فجأة انطفأ ضوء السُلَّم، فتجمدت "إيفرار" في مكانها غريزيًا، إذ لم تعد تر شيئًا، وراحت تبحث عن زر الكهرباء بنظرها. سمعت "ميرلو" يشتم وقد ثارت ثائرته لتعثره وهو يدخل البناء، عاد النور بعد سماع "طقة"، ولمحت "إيفرار" عميلًا شابًا ينزل السلالم بكل سرعته، ويده على طول الدرابزين، أطرقت بعينيها لاشعوريًا واقتربت من الجدار، تجاوزها الرجل دون أن ينتبه لوجودها.

بعد عدة أمتار إلى الأسفل، دوى صوت "ميرلو": "هووو! على مهلك يا بني!"، اعتذر العميل وأبطأ من سرعته قبل أن يتلاشى، لقد دمر "ميرلو" بجعجعته كل محاولاتهم في تحري السرية، لحق بها وهو بالكاد يلتقط أنفاسه، ثم أشار بيده إلى السلالم المتبقية، وقال:

- اسمحي لي أن أسبقك يا صديقتي العزيزة.

وافقت "إيفرار" - على مضض - رغم شعورها أنه سيفسد كل شيء.

وصلا إلى الطابق الرابع، وكان بوسعهما سماع فرق الشرطة تقوم بعملها من خلال الباب نصف المفتوح.

خرج من شقة "جينان" ضابط من الشرطة الجنائية بذقن مربعة يرتدي جاكيت بغطاء للرأس، تعرفت عليه "إيفرار"، إذ كان يعمل في المكتب المركزي لمكافحة الجريمة المنظمة، التقته في إحدى قضايا القمار.

شعرت بالعرق باردًا يسيل على ظهرها؛ إن عرفها، سيكشف أمرها، كانت يد "إيفرار" ترتجف في جيبها وهي تشد بقوة على جهاز البث. لوهلة، مر نظر الضابط عليها دون أن يراها، لكنها شعرت أنه سيعاود النظر، شاءت الصدفة أن تكون المرة الوحيدة التي سيتذكرها فيها أحد، هي الآن.

وفي اللحظة التي رفع فيها الضابط حواجبه استعدادًا للنظر إليها مجددًا، صاح به "ميرلو" كمن يعرفه حق المعرفة:

- كم أنا سعيد لرؤيتك يا صاحبي! مر زمن طويل منذ لقائنا في قناة "أورك"!

توقف صاحب الذقن المربعة ليسلم على ذلك الزميل المتحمس، وهو يبحث في ذاكرته عن قصة قناة "أورك" هذه، فاستغلت "إيفرار" الفرصة وانسلت داخل الشقة.

داخل الصالون المقلوب رأسًا على عقب، كان النائب العام يجهز جهاز تسجيل ليملي عليه الوقائع؛ وحوله كان جماعة الأدلة الجنائية ينتهون من رفع البصمات، ألقت "إيفرار" عليهم واحدة من تحيات الصباح، تلك التي

تمـر دون أن يلحظهـا أحـد لخلوهـا مـن أي روح، رد العـاملون التحيـة دون أن يعـيروا صاحبتها أي اهتمام.

"إيفرار" كانت خارج نطاق الكشف، هي هنا إنما لم يكن أحد ليسمع لها حسًا، ومـا كانت تثير انتباه أحد سوى الأشباح.

تلمست الـ"بيبي فون" في جيبها ووضعت إبهامها على زر التشغيل، ضغطت عليـه، فأصدر صفيرًا خفيفًا، ارتفعت الرؤوس متسائلة، فتوقفت "إيفرار" عن الحركة.

قام أحد التقنيين كان يفحص الموكيت، وأطفأ جهازه اللاسلكي الذي كان ملقـىً عـلى كرسي قريب، ثم عاد إلى عمله.

اقتربـت "إيفـرار" مـن سـلة الألعـاب في الصـالون، ووضـعت جهـاز الإرسـال وسـط مجموعة من المكعبات الكاوتشوكية، كانوا قد أخفوا ضوء التشغيل بقطعة من الشريط اللاصق.

بقي عليها أن تأخذ الدفتر بجانب التليفون، تذكرت نصيحة "روزيير" وهي تقول لها مازحة: "دسيه في أكمامك"، وهذا بالضـبط مـا تنـوي "إيفـرار" فعلـه - حـددت مكانـه، اقتربت من منضدة السرير، ثم نشلت الأجندة بحركة سلسة.. تمت المهمة بنجاح.

وقبل أن تخرج، ألقت نظرة على خزانة حفظ الملفات، القفل كان مكسورًا.

33

طلب الزملاء القهوء لحين عودة الكشافة، ومع اقتراب ساعة الغداء، بدأ المقهى يـزدحم بالزبائن مع ارتفاع أصوات الملاعق والسكاكين.

كانت "كابستان" تراقب "لوبروتون"، المستند دائمًا إلى الزجاج، ظهـرت تقطيبـة تـنم عن قلق فوق حاجبه الأيمن، على خط الندبة البارزة على وجهه؛ كان يبدو أنه يقلِّب ما آلت إليه الأحداث، فلأول مرة خلال حياته المهنية، ها هو يشارك وبرضاه في عمـل غـير قانوني؛ القضية عادلة، لكن الوسائل المتبعة كانت تفسد نقاء سـيرته المهنيـة، لا بـد أنـه ضاق ذرعًا من التدحرج إلى أسفل السلم، تفاجأت "كابستان" مـن تعاطفهـا معـه، هـي من سبق لها أن تدحرجت أيضًا حتى لامست الحضيض نفسه.

تحقق الرائد من علبة السجائر، بقي فيها أربعة، ثـم خـرج يـدخن واحـدة بصحبة "روزيير".

كانت "كابستان" قد اتبعت نصائح "لوبروتون"، واتصلت بالطبيب البيطري، وقد أكد لها هذا الأخير وجود قطة صغيرة تدعى "بتيبونوم"، كانت بصحة جيدة وقت الأحداث، وكانت تملك صندوقًا للنقل، لونه رمادي ونبيذي، مزين ببطانية صوف كاروهات مليئة بالشعر، وقد عادت المفتشة باكرًا صباح اليوم، للتأكد من الأمر في بيت الضحية، لم يكن ثمة أي أثر للصندوق؛ مؤكد أن القاتل قد غادر وأخذ معه القطة، فهل فعل ذلك حتى لا تموت، أم حتى لا تموء؟

كانت الفكرة لا تزال تعتمل في رأس "كابستان"، وهي تخرج جهاز الاستقبال الخاص بالـ"بيبي فون" من علبته عندما وصل "لوويتز".

ركن سيارته فوق ممر المشاة، وهي "رينو لاجونا" صفراء بجناح خلفي، ركبت عليه أربعة مصابيح خلفية، أشار له "لوبروتون" بسيجارته من خلف الزجاج آمرًا إياه بالابتعاد عن الممر، ليتسنى لعربات الأطفال والمعاقين المرور، فقام "لوويتز" بمناورة جريئة، وكأنه يقود سيارة "سمارت" وليس "رينو"، وركن سيارته عموديًا على الرصيف رافعًا العجلتين الخلفيتين فوق الرصيف، وهكذا أصبح العادم مواجهًا للزبائن الجالسين على شرفة المقهى، فأذعن "لوبروتون" للواقع مكرهًا وهو يتنهد.

كان "توريز" منتحيًا جانبًا، يراقب ما يجري وهو جالس على أريكة مسنودة على جهاز قديم مطفأ للعبة الـ"بينبول". إضافةً إلى لعبة الـ"بيبي فون" التي أحضرها من منزله، حمل الملازم بعض الأخبار مما تقصاه حول جدول أعمال "ماري سوزيل"، فبعد العديد من الاتصالات بالنوادي لمعرفة السهرة الشهيرة التي كانت تخطط للذهاب إليها، تمكن من تعيين عدة تواريخ: في 30 مارس حضرت بل شاركت بحماسة كبيرة في عرض بمناسبة انتهاء الفصل في دروس

التانجو كما يذكر المدرس، في المقابل، يوم 4 يونيو فوتت حفلة اليانصيب الصيفي لنادي "التارو"، مع أن عينها كانت على إحدى الجوائز، وهي فخذ خروف كاملة، كما قال رئيس اليانصيب تحديدًا، إذًا "ماري" قد ماتت بين هذين التاريخين، من شأن هذا أن يقلص مساحة البحث، لكنهم لا يزالون يجهلون تاريخ تلك الليلة التي هي مفتاح التحقيق، واتصل "توريز" أيضًا بالأخ يسأله عن الحفل الراقص، وقد أكد "آندريه" أنه سبق لأخته أن تكلمت عنه مطولًا قبل أن تتحدث عن "الاجتماع"، إذًا فليس هذا هو.

ضغطت "كابستان" على زر تشغيل جهاز الاستقبال، ومثل شلة مراهقين متجمعين حول جهاز ألعاب فيديو وحيد، تكوم أعضاء الفرقة في زاوية المقهى.

على الطاولة، كان جهاز مراقبة الأطفال يتربع وسط الفناجين والصحون الصغيرة وأغلفة السكر المجعدة، وهو يصدر خشيشًا، فجأةً أصدر صوتًا أكثر وضوحًا، ثم صوتًا جليًا ومميزًا.. لقد نجحوا! لقد نجحت "إيفرار" في وضع الجهاز في الصالون، وقد بدأ رجال التحقيق الجنائي يقتربون من جهاز الإرسال المزروع:

"... جنائية تمهيدية.. حدث صباح اليوم بين الساعة الثامنة والعاشرة...".

هز الجميع رؤوسهم؛ لقد حصلوا على ساعة الجريمة.

كانت فترات صمت تقطع الحوار من وقت لآخر؛ لا بد أنهم يكتبون ملاحظاتهم.

قالت "روزيير" مستنتجة:

- لا بد أن النائب العام هو من يتكلم.

"... ليس هناك اعتداء جنسي... ليس هناك آثار مقاومة...".

قالت "كابستان" مستخلصة:

- إما أن القاتل كان سريعًا، أو أن الضحية كانت تعرفه.

"... ضربة شفرة، النقود اختفت، المجوهرات اختفت، لا يوجد كمبيوتر".

في خلفية الصوت المشوش، كانت تسمع أصوات كشط موبيليا، وطوي المشمع الواقي، ثم إغلاق سوستة وحوارات أبعد، بالكاد يلتقطها الجهاز: "... خمسة سكاكين مطابقة لسلاح الجريمة موجودة في المطبخ... عملية سطو...".

فعلق "لوبروتون" على آخر جملة بمرارة:

- بالتأكيد!

الرائد كان محقًا في رفضه لهذا الاستنتاج، فالسرقة لم يكن الهدف منها سوى صرف الانتباه، ومع ذلك، فالكمبيوتر قد اختفى أيضًا.

"... ابن، "سيدريك جينان"، أربع وعشرون عامًا، يقيم في حي "مالاكوف"...".

لا بد أن المأمور "فالنكور" قد ذهب للقاء الابن، لإخباره بالخبر الحزين، شعرت "كابستان" بمعدتها تتشنج.

عدا عن هذه العناصر الأولية، لم يحصل أعضاء الفرقة على معلومات أخرى مهمة، اللهم إلا أن الرائد "سيرفييه" كان رئيس الفريق المكلف بالتحقيق، وهو تلميذ نجيب من خريجي الإدارة العامة في المبنى رقم 36،

و"كابستان" و"روزيير" يعرفانه معرفة سطحية لا ترقى إلى أن يطلبا منه معلومات باسم صداقة قديمة.

بعدها ببضع دقائق، عاد "ميرلو" و"إيفرار" كما يعود الأبطال الحقيقيون.

ارتفع صوت "ميرلو"، مشمرًا عن يديه برضى:

- دعوا الأمر للمختصين!

بعد تلقيه تبريكات زملائه عن طيب خاطر، وإن بدت له غير كافية، شق النقيب الجمعَ، وتوجه نحو البار بحثًا عن مكافأة تليق به.

بقيت "إيفرار" قرب الطاولة، ولا تزال بعض خصلات من شعرها مبللة بالعرق وملتصقة على جبهتها، سألت:

- إذًا، أين وصلنا؟ هل ثمة أمل أن نحصل على شيء منهم؟

فردت عليها "روزيير" وهي تفك حبل الكلب "بيلو" الملفوف حول الكرسي:

- حققنا بعض التقدم في قضية الزوج، إنما علينا ألا نأمّل كثيرًا؛ فهم أكثر منّا عددًا وعدّة، دون حسبان سكان الحي الذين ستغريهم فكرة أن يتعاونوا مع الشرطة الجنائية.

فتدخل "لوبروتون" بقوله:

- هذا تحقيق وليس مسابقة.

فأكملت "روزيير" كلامها:

- بلى، بلى! بالتأكيد نحن في سباق يا عزيزي! وكيف تعتقد أننا سنستعيد رتبنا؟ بأن نسلمهم الملف كاملًا ومربوطًا بشريطة هدية؟ هـل تريـد أن نعطـيهم الأرقـام السريـة لبطاقاتنا المصرفية أيضًا؟

قالت "كابستان" حاسمة الأمر وهي تبتسم:

- لنقل إننا لسنا في سباق، لكننا نود الوصول قبلهم.

فسألت "إيفرار":

- ماذا سنفعل إذًا؟

- طالما أنهم لم يغادروا ساحة الجريمة، نبقى نحن أيضًا للتأكد من أنـه لـيس هنـاك جديد.

نهضت "كابستان" لتنضم إلى "ميرلو" قبل أن ينهي مخزون الحانة من المشروبات.

- أيها النقيب!

فأجابها وهو يرفع كأسه عاليًا :

- أيتها الرئيسة! ماذا أطلب لك؟

- سألتك إن كان شيء ما قد حدث بين "بورون" و"ريفرني"، لا بد أنك سمعت شـيئًا ما هنا أو هناك؟

- نعم، بالتأكيد! لقد نسيت.

وضع "ميرلو" كأسه برفق، وطبطب على جاكيته بحثًا عن نظارته، ثم لبسها وقرأ قصاصة ورق مجعدة أخرجها من جيب بنطلونه.

- عام 2009، كان المفترض أن يترأس "بورون" إدارة الشرطة الجنائية، لكن "ريفرني" الذي كان يعمل في وزارة الداخلية حينها عرقل القصة؛ موضوع له علاقة برد الجميل إلى صديق صديقي، مع ذلك، يبدو أن "بورون" وقتها أخذ المسألة بفلسفته الخاصة، هذا كل ما في الأمر.

طوى "ميرلو" الورقة ونزع نظارته:

- هل تشفي هذه المعلومات قلبك أيتها المفتشة؟

- بلا ريبٍ أيها النقيب، شكرًا لك.

لم تكن تدري "كابستان" بعدُ، إن كان ذلك خبرًا جيدًا أم سيئًا، لكن المؤكد أنه خبر جديد، وقررت أن تقلب في ذهنها الفرضيات المطروحة قبل أن تُعلم الآخرين، كانت تملك ورقة رابحة، إنما لا تدري بعد في أي لعبة ستستخدمها.

⊙⊙

مضت ساعتان ولم يغادر ضباط التحقيق الجنائي مسرح الجريمة بعد، وأعضاء الفرقة لا يزالون يمضون الوقت في المقهى بالانتظار.

كانت "إيفرار" و"داكس" و"لوويتز" يلعبون النرد واقفين على البار، بينما كان "ميرلو" يحدثهم عن آخر مغامراته بتفاصيل واضحة دون أن يهز ذلك شعرة لدى المستمعين.

"أورسيني" ظل جالسًا عند النافذة إلى جانب "كابستان"، إنما دون أن يشارك في النقاشات، مكتفيًا بتأمل يديه الطويلتين.

"روزيير" جلست إلى الطاولة التي وراءهم تتناول طبقًا من البط بالتفاح على طريقة منطقة "السارلاد". كان الضوء ينعكس من الزجاج على شعرها الأحمر المشعث فيمنحها هالةً من الجلال.

توجهت "كابستان" بالحديث إلى "لوبروتون"، الجالس بين الطاولتين على كرسي أسنده على النافذة الزجاجية:

- هل تشتبه في قاتل "مائيل جينان"؟

أومأ الرائد ببطء وهو يتأمل قعر فنجانه:

- كنت أفكر في الأمر لتوي. أمسِ، ألمحت "مائيل" إلى أن أشخاصًا آخرين يرغبون في التحدث إليها، ربما كان لديها موعد هذا الصباح.

- "جالاتو"؟

- كلا، لا أظن، إذ لم يكن في نبرتها أي عداوة، لكن حديثها - وهذا هو ما كنت أفكر فيه أيضًا - كان خاليًا من أي إشارة إلى أمر شخصي أو حميمي، لا بد أنها كانت بالأحرى تعني شخصًا تعرفه معرفة عامة.

اعترت "لوبروتون" ملامح تشاؤمية، ثم رفع أنفه من الفنجان ونظر إلى "كابستان":

- لكن هذا أيضًا لا يعني شيئًا لقضيتنا.

كان جليًّا أنه غير مقتنع بكلتا الفرضيتين، فالتفتت "كابستان" نحو "روزيير" وسألتها:

- ماذا تَرَيْن أنت؟

ابتعلت لقمتها، ثم أجابت وهي تشير بالسكين في يدها:

- لا يزال "جالاتو" المتهم الأول بالنسبة لي، فهو يعرف "يان جينان" ويعرف "سوزيل" كذلك، فبعد زيارتنا له بأسبوعين، تتعرض الأرملة للقتل، الأمر أكثر من مجرد صدفة؛ ربما قلنا شيئًا أمامه أقلقه، فأراد تنظيف المكان حوله؛ "جالاتو" من الأشخاص الذين يحبون أن تكون لهم السيطرة على كل شيء، وبكل الأحوال، فوفاة امرأة طعنًا - بعد مقتل زوجها بعشرين عامًا، وفي خضم تحقيقاتنا هذه - ليست مصادفة أبدًا.

ابتسمت "روزيير" بين لقمتين من لحم البط قبل أن تضيف:

- أقترح أن نعود إليه في مكتبه لنهزه قليلًا ونثير غضبه.

لم تتمكن "كابستان" من تكوين فكرة محددة حول صانع السفن، فهي لم تره ولم تسمعه. ربتت على ذقنها بسبابتها وأشاحت بنظرها نحو الشارع حيث الرصيف المقابل، كان شاب ببنطلون برمودا ينزل من دراجته الهوائية، ففكرت "كابستان" بينها وبين نفسها: "يا له من شاب متحمس"، قبل أن تتنبه حواسها للبقعة الخضراء فوق رأسه.

فجأة أدركت ما تراه: الخوذة، البرمودا، الحذاء الرياضي، ليس بوسعها رؤية إن كانت أذنه مشوهة، لكن شكله مطابق للفتى الذي زار "نولان"، ماذا يفعل هنا؟

نزع الشاب – وكان يتصبب عرقًا – سترته الشتوية، ووضعها على مقعد دراجته حتى يربطها بقفل إلى عامود الكهرباء، رفع رأسه وسوَّى خصلات شعره من تحت الخوذة، وفي تلك اللحظة تنبه إلى وجود سيارات الشرطة، فتسمر في مكانه.. لماذا نمت عنه ردة الفعل هذه؟

قفزت "كابستان" من كرسيها ونادت "توريز" عبر الصالة:

- "توريز"! "السنجاب" هنا، في الخارج! سأذهب لأراه.

34

اقترب الشاب بخطى مترددة من الحشد الذي تجمهر حول الشريط الأمني الذي ضربته الشرطة، كان ثمة شخصان يتحدثان، ولا بد أنهما قالا شيئًا صدم "السـنجاب"، إذ شـحب لونه فجأة واستدار راجعًا.

انتظرت "كابستان" حتى يصل ناصية الشـارع، لتـتمكن مـن الاقـتراب منـه دون أن يلاحظها رجال الشرطة المنتشرين في المكان. وصل إلى حيث كانت بانتظاره، وهـو يشـد على حزام خوذته الخضراء وكان لا يزال مربوطًا تحت ذقنه، كان ينوي ارتداء سترته من جديد والانطلاق عندما أوقفته "كابستان" وأبرزت له خفيةً شارتها.

رأت المفتشة عيني الفتى الصغيرتين تتسعان، وتجمد في مكانه للحظة، ثم هرب من أمامها بلمح البصر تاركًا سترته ودراجته.

أعادت "كابستان" بطاقتها إلى جيب معطفها على عجل وهي مصدومة من ردة فعل الفتى، ثم انطلقت في إثره، وبمرورها أمام المقهى، شعرت أن "توريز" قد لحقها من على يسارها.

كان الصبي فتيًّا وخفيفًا وسريعًا؛ دخل الشارع بالاتجاه العكسي، ووصل تقاطع الطريق مع شارع "سان دني" خلال ثوانٍ. عندما وصل ممر المشاة، كانت الإشارة الضوئية تنتقل من الأحمر للأخضر، ومع انطلاق السيارات، قفز "السنجاب" غير مبال بها، فسُمع صرير الإطارات مع ارتفاع موجة من أبواق السيارات.

كان السائقون ينطلقون بعد عبوره أولًا بأول ومحركاتهم تهدر غضبًا، مانعين "كابستان" من العبور بدورها، فبقيت عالقة على الطرف الآخر، محتارة ومترقبة أدنى فسحة في السير، إنما كان من المستحيل عليها التقدم، ومن بعيدٍ من وراء جموع السيارات، رأت الفتى يقطع شارع "سان دني"، وفي اللحظة ذاتها، ظهرت مجموعة من أربعة مراهقين، حجبوا عنها رؤيته لوهلة، وعندما ابتعدوا، كان الفتى قد اختفى.

راحت "كابستان" تقفز في مكانها عسى أن تلمحه بين جموع الناس؛ لا يمكنه أن يتلاشى بهذا الشكل. لقد رآه "نولان" عند "ماري سوزيل" وها هم يلتقون به أمام عمارة "مائيل جينان"؛ هذا الصبي يشكل رابطًا بين القضيتين تمامًا مثل التماس البحّار.

كان لدى الفرقة طرف خيط جديد، قد يتمكنون بفضله من تجميع القضايا، علاوة على أن هذا الطرف كان قادرًا على الكلام، كان يكفي أن

تطرح عليه الأسئلة حتى تحصل علـى تفسـير، وفي اللحظـة التـي كـادوا أن يمسـكوا بـه، أفلت من بين أيديهم.. هذا أمر غير معقول!

بـدا الضـوء الأخضر أبـديًا، وحاولـت "كابسـتان" أن تتقـدم خطـوة، فكـادت سـيارة شيفروليه أن تدهسها، واضطرتها للعودة فورًا إلى الرصيف.

كان "السنجاب" يبتعد، وفي لحظـة انـدفاع، شـقت "كابسـتان" لنفسـها طريقًـا مـع انطلاقة سيارة بكل سرعتها.

نمى إلى سمعها - من خلفهـا - صـوت "تـوريز" يصرخ جزعًـا "لااا!!"، لكنهـا نجحـت في الوصول إلى منتصف الشارع، ثم تمكنت من قطع القسم الأخـير وهـي تمـد يـدها لتوقـف السيارات إلى أن وصلت للرصيف الثاني، وعلى بعد مئة متر، لمحت الخوذة الخضراء تفر بين الجموع، فأسرعت من خطاها.

استدار الفتى للوراء قليلًا برأسه وهو يركض، فلمح "كابستان" تقـترب منـه، فانسـل بين المارة وانعطف يسـارًا في ممـر "لومـوان"، ومـن جديـد غـاب "جابرييـل" عـن نظـر المفتشة، فاستخدمت كل عزمها في الجري للوصول إلى الممر قبل أن يخرج منه، وعنـدما وصلت كان يتجـه لتـوه يمينًـا في شـارع "سيباسـتوبول"، فركضـت المفتشـة للحـاق بـه، فاصطدمت برجلين يدخنان على الرصيف أمام محل لبيع الجينزات.

"من هو هذا الفتى؟ وما الذي يفعله هنا؟"

تجاوز شارع "سيباسـتوبول"، وبوصـوله شـارع "تـراسي" كانـت امـرأة تسـتعد لركـوب دراجتهـا الهوائيـة، فصـدمته برجوعهـا للخلـف دون انتبـاه منهـا، ففقـد الفتـى المنطلـق بـأقصى سرعتـه توازنـه وتـدحرج أرضًـا. خشـيت "كابسـتان"

أن يستغل الفرصة فيستولي على الدراجة ويهرب منها نهائيًا، لكنه لم يفعل، بل قام بالتفافة مفاجئة ليتجنبها، مما منح "كابستان" بضعة أمتار.

بدأت رئتاها تحرقانها، وتساءلت: كم من الوقت بوسعها التحمل بعد؟ أمامها، كان الهدف منطلقًا دون أن تبدو عليه أدنى علامات التعب؛ إنه يصغرها بعشرين عامًا، عدا أنه يتدرب يوميًا على ما يبدو، عليها أن تجد طريقة للإسراع والقبض عليه، فهي لن تغلبه في قوة التحمل أبدًا.

"من أين يعرف "ماري" و"مائيل"؟ ماذا كان يريد منهما؟"

مر بجانب سياج ساحة، "شوتو" ثم دلف إلى شارع "سان مارتان"، وهناك ارتطم برجل كان خارجًا من مكتب البريد، فأطار طردًا كان يحمله في الهواء، أمطر الرجل المستشيط غضبًا الفتى بوابل من الشتائم في حين كانت "كابستان" تتجاوزه.

لمحت صاحب الخوذة الخضراء يقطع بالعرض تقاطع شارع "ريامور"، فانطلقت على إثره لولا أنها سمعت صوت صرير فرامل، فالتفتت لترى باصًا متجهًا مباشرة نحوها، كانت علامات الهلع بادية على وجه السائق عبر الزجاج الأمامي، وبالكاد سنح الوقت لـ"كابستان" أن ترفع يدها في محاولة واهية لتحمي نفسها من الصدمة.

شعرت بضربة، لكنها لم تكن ناتجة عن الباص، بل هما يدان، يدان ضربتاها من الخلف على ظهرها ودفعتاها إلى الأمام، فارتمت على الرصيف المقابل.

بسقوطها أرضًا، ارتطم حوضها بالأسفلت، فصاحت من الألم... في الوقت نفسـه، نما إلى سمعها صوت كتوم لصدمة وراءها، تبعه صياح وعويل بدأ يعلو من حولهـا، التفتـت نحـو الشارع فرأت "توريز" ممددًا أرضًا ورأسه مضرجة بالدماء، زحفت نحـوه ويـدها مشـدودة على حوضها، نادت عليه عسى أن يرد عليها وهـي تـدعو اللــه ألا يكـون قـد مـات، فرفـع "توريز" رأسه نحوها ببطء وعلى شفتيه ابتسامة ضـعيفة، وقـال بصـوت مخنـوق مطمئنًـا إياها:

- أنا بخير، أنا سعيد.

ثم ابتسم مجددًا وغاب عن الوعي.

كان صوت سـيارة إسـعاف يقـترب، فجلسـت "كابسـتان" إلى جانـب الملازم تنتظـر وصولها.

35

كان طبيب مقيم ذو شعر طويل قد استلم المناوبة عن زمليه للتو وكان "تـوريز" يعـاني من كسر في الترقوة، والعديد من التورمات الدموية التـي تغطـي كامـل فخـذه اليمـين، كانت إصابته قاسية، لكن حياته لم تكن في خطر، كان نائمًا.

دفعت "روزيير" درفتا الباب الفاصل بين الإسعاف والاستقبال ووراءهـا "لوبروتـون"، استقبلتهما "كابستان" بقولها:

- زال الخطر عنه.

تنفس الضابطان الصعداء.

- سننقله إلى غرفة مفردة. زوجته في الطريق إلى هنا، لكن علينا نحـن أيضًـا تنظـيم مناوبة، لا بد لأحد من الفرقة أن يبقى هنا.

فقال "لوبروتون" وهو يناولها قطعة ملابس:

- بالتأكيد، لقد أحضرنا "سويت شيرت" الفتى الرياضي القطني الذي كان يرتديها.

لاحظت "كابستان" وجود شعر قطة على الأكمام، لا بد من تحليلها، فكلفت "لوبروتون" بذلك، وطلبت مراقبة دراجته أيضًا.

أية فرصة ضيعوها بأن تركوه يهرب!

سألتها "روزيير":

- أوصاف الفتى تتطابق مع ما ذكره "نولان"، أليس كذلك؟

- نعم، علينا تحديد هويته، فهو له علاقة بالضحايا، علينا معرفة ماهيتها، ولمعرفة ذلك لا بد من استجوابه، ولفعل ذلك لا بد من العثور عليه.

قال "لوبروتون":

- بهذا العمر، لا بد أنه ابن أحدهم، أو ابن أخت أو أخ، أو تلميذ فلان أو حفيد علان.

أضاء وجه "كابستان" فجأة فقطعت كلام الرائد:

- ابن عائلة "جينان"؟

- كلا، فصورة ابنهم موجودة، وليس هو.

هزت المفتشة رأسها بهدوء، وحدقت في نقطة في آخر الممر؛ كانت تلك طريقتها للتفكير لبضع ثوان، وهي تحك ندبتها على سبابتها.

- يجب على "نولان" أن يتذكر ما دار بينه وبين هذا الصبي من حديث بالتفصيل، وأن نتصل مجددا بالجميع: "جالاتو"، "أندريه سوزيل"، أصدقاء الضحية، حتى المقاول.. وإن أمكن لا بد من التحدث إلى ابن "مائيل دينان"، إنهما من فئة العمر نفسها، ولربما كان "السنجاب" يأتي لزيارته.

ثم انتصبت "كابستان" والتفتت نحو "لوبروتون":

- أيها الرائد، سأترك لك مهمة الإشراف على التحريات، أما أنا، فسأذهب لرؤية "بورون"، لقد أصبحت معلوماتنا أثمن من أن نحتفظ بها لأنفسنا، سأطلب منه ربطنا بالتحقيق العام.

فأنذرت "روزيير" المفتشة وعلى وجهها إمارات التشاؤم:

- لن يقبل بذلك أبدًا، سيكون عليكِ التذلل له.

⊙⊙

قبل أن تدخل مقر الشرطة الجنائية ومواجهة الرئيس، قررت "كابستان" التنزه قليلًا على ضفاف "السين" للترويح عن نفسها، فسلكت طريق النهر، وكما حدث مع كاتدرائية "نوتر دام"، لاحظت "كابستان" أن المنطقة بدأت تفقد سحرها السياحي هي الأخرى؛ كانت بعض الأضواء تنير الطرقات المزرية التي اقتلعت بعض حجارتها، وتناثر عليها وسخ الحمام وريشه.

لدى مرورها تحت قنطرة جسر "سان ميشيل" المعتمة، سمعت صوت أمواج المياه المالحة تضرب الضفة، والمكان يفوح بروائح هي خليط بين رائحة الوحل وفضلات المدينة وقاذوراتها.

تردد صدى خطواتها تحت القبة، ثم اتسع رصيف النهر من جديد، وعادت إلى باريس وضوضائها. جلست "كابستان" تلقائيًا على المقعد الذي اعتادت الجلوس عليه، للتفكير أيام عملها في شرطة مكافحة الجريمة، ارتعشت لدى ملامستها للحجر البارد، كانت تحاول جاهدة أن تريح ذهنها قليلًا عندما تنامى إلى سمعها - عبر الضفة المقابلة - ضحكة مميزة لرجل كان يتكلم إلى صديقه، تلك الضحكة والهيئة؛ اعتقدت "كابستان" لوهلة أنه زوجها السابق، فأحست بحزن مفاجىء يثقل كاهلها، استبعدت المفتشة في لحظتها ما جال في خاطرها وغادرت مقعدها؛ حان الوقت للقاء "بورون".

36

أصبح مخبأ "بورون" الآن مغطًى بالكامل بالفيترينات القديمة، التي يعرض فيها مجموعاته الخاصة من ميداليات وغلايين (بايب) وعلب الحبوب القديمة، والنسخة الأصلية من مجلد الأعمال الكاملة للشعر الفرنسي، ودرة مجموعته كانت مجموعة من النظارات الطبية القديمة المختلفة، يستخدمها حسب رغبته، فمنها: ما هو للتأنق، ومنها ما هو للتهديد.

من جهة النهر، كانت الشمس تميل للمغيب، ولم يكن في الغرفة المعتمة سوى مصباح مكتب كلاسيكي بلونه الأخضر ينشر ضوءه الخافت.

- مساء الخير "كابستان"، ليس لدي الكثير من الوقت، ما الذي جاء بك؟

- كنت أود ضم فرقتنا إلى إدارة التحقيقات الجنائية فيما يخص قضية شارع "مازاجران".

رد "بورون" بعنف وهو يسوي كومة الأوراق أمامه:

- هذا غير وارد.

- لدينا معطيات جديدة، نحن نحقق في مقتل زوجها ومقتل...

- كلا، قلت كلا.

لقد قرر "بورون" أن يدخل مرحلة التبلد.

تململت "كابستان" في كرسيها وانحنت للأمام؛ لم تكن تفهم لماذا يُظهر هذا القدر من المقاومة، لم يكن لتصرفه أي معنى.

- ولكن، ما هي مهمتنا بالضبط؟ إن لم يكن بوسعنا حتى أن نساعد، فلماذا شكلتم هذه الفرقة من الأساس؟

فقال لها وهو يلوح بيده في الهواء بحركة مبالغ فيها:

- لتجميعكم كلكم، سبق أن شرحت لك الأمر، فلا تضطريني لأن أكون أكثر دقةً.

- بلى، أود بشدة أن أسمع.

- "كابستان"، لقد وضعناكم في زريبة واحدة، لأنه كان لا بد من عزلكم، فأنتم غير قابلين للسيطرة، بل أنتم **غير مرغوب فيكم**، ولا أريدكم أن تعملوا في تحقيق رسمي.

فاعترضت "كابستان" بقولها:

- أنتم تسوِّدون سمعة أعضاء الفرقة، لسنا على هذا القدر من السوء.

قبل أن يدفعها تاريخها الشخصي إلى أن تعدل الرمية، فأضافت:

- نعم، ربما بالنسبة لحالتي الشخصية، لكن الآخرين ليسوا...

فقطاعها "بورون" وهو يشد بكلامه على كل حرف:

- أنتم هنا فقط لأنه لا يسعنا تسريحكم! هل وصلتك الفكرة؟ نحن ندفع لكم مرتباتكم لكي تلعبوا الدومينو أو تقوموا بالخياطة، اطلبي من "إيفرار" أن تعلمكم لعب الورق واتركيني في حالي.

"بورون" كان يبدو مشحونًا للغاية و"كابستان" كانت مرهقة تمامًا، فقد هدَّتها مطاردة الفتى وهو لا يزال حرًّا طليقًا، و"توريز" في غيبوبة، والألم في حوضها لم يتوقف كليةً - جاءت تعرض على الرئيس بعض المعلومات الثمينة، لكنها في المقابل، لم تواجه سوى شراسة لا تستحقها.

شعرت بنفسها محاصرة، منهكة القوى، ودماغها معطل تمامًا.

- ولكن، ليس كل من في الفرقة مغفلين، أنا لا أفهم!

- ليس كل من فيها مغفلين! حان الوقت كي تفتحي عينيك يا "كابستان"، "داكس" و"لوويتز" الأحمقان المتحمسان، "ميرلو" وسحنته العفنة، "روزيير" ومسلسلاتها الغبية، "توريز".

- بالمناسبة، "توريز" في المستشفى.

- فليستقل بدل أن يضفي علينا نحسه!!! و"أورسني".

سمعت "كابستان" ما فيه الكفاية، وقد بدأ "بورون" يتجاوز الحدود، وهي ليست مضطرة لتبرير أي شيء، فقامت بعملية التفاف تكتيكي مفاجأة.

- أخبرني، أليس في قائمة قاموس مفرداتك المعيبة كلمة "مرواغ"؟

فأجابها المدير وهو يستند بظهره إلى كرسيه ويطوي ذراعي نظارته المعدنيتين:

- "كابستان"، لا تبدئي.

- لا تأخذ كلامي على محمل السوء، لكنني ذهبت ونبشت في بعض المعلومات، أليس "ريفرني" هو الموظف الكبير الذي وقف في طريقك عام 2009؟ هل هذه صدفة؟ ثم بما أننا فيها، ما هذه القضايا التي تلقون بها إلينا؟ هل نحن الوحيدون من يعرف أنها قضايا متصلة ببعضها البعض أم ماذا؟ هل تتخلص الشرطة الجنائية من الملفات هكذا، دون إلقاء نظرة ثانية عليها؟ الشرطة الجنائية؟ جرائم؟ في الزبالة؟ أنا جادة في سؤالي، لماذا؟

راح "بورون" يدور نظارته بين أصابعه مفكرًا، دون أن يجيب.

كانت عيناه التي تشبه عينا كلب صغير تدمع قليلًا كالعادة، فقط تسريحة شعره الرمادي هي ما كان يحافظ على شكله كضابط، حك ذقنه بذراع نظارته المعدني، وصمت الاثنان لبرهة.

تركت "كابستان" نظرها يسرح عبر النافذة. كانت شجرة الدلب تفقد آخر أوراقها، ولم يتبق سوى الكرات المدببة على الأغصان، مجرد أغلفة متحجرة مصرة على البقاء معلقة مهما كان الثمن، فبدت كأنها شجرة عيد ميلاد جنائزية.

تنهدت "كابستان" ثم عادت إلى "بورون".

- في الواقع أنا متأكدة أنكم دفنتمونا هناك لهدف واحد؛ وهو أن نجيب على الأسئلة التي تطرحونها أنتم على أنفسكم، أنتم تعرفون كيف تجعلونني

أتفاعل مع الأحداث، لكنني أنا أيضًا أعرفكم سيدي المدير، لا زلـت أجهـل لمـاذا؟ لكـنكم تفضلون معالجة بعض القضايا في الخفاء، ولهذا السبب قمتم بتشكيل هذه الفرقة، ولهذا السبب فقط. لذلك - فعلى الأقل - أعطوني ما أحتاجـه مـن مصـادر لأتمكـن مـن تحقيـق طموحاتكم، أنا بحاجة إلى ملف الأرملة "جينان"، وأعـدكم أننـا سندرسـه في سريـة بمـا أن هذا هو المطلوب.

ارتسمت على شفاه "بورون" ابتسامة ضعيفة مظهرًا الهزيمة، ولسان حاله يقول لقد لعبتُ بروح رياضية، فانتاب "كابستان" من جديد ذلك الشعور المزعج من أنها وصـلت تمامًا إلى حيث أراد هو أن يجرها.

وقال:

- سأرسل لك نسخة.

فأردفت "كابستان" مباشرة:

- وسارينة شرطة للسيارة لأجل "توريز"، فهو يفتقد ذلك.

37

كانت رائحة البصل المقلي تملأ سُلَّم البيت، فاجتاح "كابستان" شعور بالجوع المفاجئ. كانت تمسك بملف "مائيل جينان" الذي أعطاها إيَّاه "بورون" أخيراً، مسحت قدميها على السجادة أمام الباب، ثم دخلت القسم.

كانت الساعة التاسعة مساءً، وكل الأضواء مطفأة، ثمة شعاع وحيد ينبعث من تحت باب المطبخ، لا بد أنه مصدر تلك الرائحة الزكية الشهية إنما الغريبة على مقر للشرطة. بدأت "كابستان" تشعر بالراحة في حرارة هذه الفرقة، فالحياة تجري فيها بسلاسة ولطف، في جو من التضامن الوليد، كانت مهنة الشرطة الصارمة تأخذ طابعًا أكثر لطافة هنا.

وضعت الملف على مكتبها، ووقف في الغرفة المظلمة تراقب الشارع عبر النافذة، كانت الطرقات المبللة بالمطر تلمع تحت أضواء الشارع الصفراء، وكانت النيونات الحمراء لمحلات الدعارة تضفي مسحة من بذاءة "الزمن الجميل" على شارع "سان دني". على الطرف الآخر من الساحة، كانت بعض النوافذ تعترض أسطح الأبنية المصممة من الزنك، تلك الأسطح التي

تذكِّرها بالرسام "تولوز لوتريك" وباريس السنوات المجنونة، كما تذكر بالفأر "ريمـي" في فيلم "راتاتوي".

في العمارة التي على اليمين، ثمة شباك كبير بدون ستائر يكشف عن غرفـة متوسـطة الحجم؛ مؤكد أنها استوديو، وكـان شـاب مرتـديا تيشـيرت جالسًـا إلى طاولـة يحـدق في شاشة كمبيوتره المحمول وهو يفتح لفة من اللانشون، لـف قطعـة وأكلهـا في قطمتـين، وبعد أن فعل الأمر نفسه مـع القطـع الـثلاث التاليـة، حـك سـطح اللفـة وأزال لصـاقة صغيرة مربعة ذات لون أحمر قاني، لا بد أنها كوبونة تخفيض. وقـف ليخـرج محفظتـه من الجيب الخلفي لبنطلونه الجينز، فتحه ثـم دس القسـيمة بعنايـة في أحـد الجيـوب المخصصة لبطاقات الائتمان.

قسائم التخفيضات. تشنجت معدة "كابستان" حنينًـا إلى ذكـرى جـدتها. كانـت تجلس كـل صـباح عـلى طـرف طاولـة المطـبخ الكبـيرة الشـبيهة بطـاولات الأديـرة، متحزمة في الكيمونو ذي الزركشات البنية أو المذهبة، كانت تسـكب المـاء السـاخن فوق الشيكوريا، ثم تضـيف الحليـب وقطعتـين مـن السـكر، ثـم تشـعل سـيجارتها وتباشر بتقليب النشرات الدعائية التي اسـتلمتها الليلـة الفائتـة، كانـت تقلـب كـل صفحة بدقة بالغة وعندما كانت تجد عرضًا جذابًا، كانـت تغـرز سـيجارتها في شـق المنفضة، وتتناول المقص من جانبها وتقص القسـيمة المميـزة، كانـت تصـنفها - أولًا بأول - في ثـلاث رزم: الأكـل والأدويـة والخـدمات، كـان الأمـر كمـن يكـدس أوراقًـا نقدية، بل إن القسائم امتازت بالألوان والتنوع، فتحـت عالمًـا كـل شيء فيـه ينتظـر

الاكتشاف، ولم يكن لأحد من أحفادها الجالسين إلى الطاولة ليفكر في مقاطعة ذلك العمل شديد الأهمية، اكتفوا بالمراقبة مسحورين.

تراجعت "كابستان" من أمام النافذة، وبينما تهم بالذهاب إلى المطبخ للانضمام لزملائها ضربت أعصابها لسعة كهربائية مفاجئة: علبة القسائم عند "ماري سوزيل"، وورقة "رجاء عدم وضع النشرات الدعائية" الملصقة على صندوق بريدها؛ هناك تعارض فاضح بين الأمرين، فإن كانت "سوزيل" تجمع قسائم التخفيضات، فليس بوسعها أن تحجب مصدرها الأساسي، ألا هو النشرات الدعائية، تلك الورقة قد وضعها شخص آخر، وإن كانت "ماري" لم تُزلها، فلأنها لم ترها، وإن لم تكن قد رأتها، فلأنها كانت ميتة عندما وضعت.

هل أحضرها القاتل معه؟ لماذا؟

مؤكد ليتجنب أن يمتلئ صندوق البريد بالرسائل والمنشورات، مما يدل على غياب صاحب البيت أو وجود مشكلة ما، فمن شأن ذلك أن يلفت انتباه الجيران في وقت مبكر: هل كان القاتل يريد تأخير اكتشاف الجثة؟ ومن جديد: "لماذا؟"، فليس هناك أية فائدة تُرجى من تأخير تشريح الجثة، كما أن سبب الوفاة كان جليًا؛ الخنق - فكرت "كابستان" لبضع ثوان - في المقابل - بسبب ذلك التأخير - لم يتمكن الطب الجنائي من تحديد يوم الوفاة بالضبط، مما يعفي الجاني من اختلاق عذر غياب.

لقد قام بفعلته بمفرده ولم يشرك معه أحد لأن لا أحد أهل كفاية لثقته، فإن كان القاتل قد جاء وملصق المنشورات الدعائية في جيبه، فهذا يعني أن الجريمة لم تكن صدفة بل متعمدة، ولم يعد الأمر يتعلق بقاتل

فقد أعصابه وسيطرت عليه مشاعره، بل نحن نبحث عن إنسان له حساباته الخاصة.

وتذكرت "كابستان" كيف تعامل القاتل مع جثة العجوز باحترام وتجاوز عن قتل القطة، هو إذًا قاتل له حساباته الخاصة ويمتلك شيئًا من الضمير الأخلاقي، مع ذلك، إن كان ثمة رابط مع قضية "جينان"، فهو لم يتردد في أخذ أرواح ثلاثة أشخاص.

دفعت المفتشة باب المطبخ برفق حيث كانت "روزيير" واقفة أمام الموقد القديم تقلب بملعقة خشبية داخل حلة نحاسية كبيرة، وكان بالإمكان سماع صوت قلي البصل في زيت الزيتون، و"بيلو" الذي كان ملصقًا أنفه بقدم صاحبته، كان حريصًا على ألا تتسبب أي سقطات بتلويث البلاط، أما "لوبروتون" فكان يدخن، جالسًا على كرسي بين البلكون والمطبخ؛ كانا قد فتحا زجاجة نبيذ ويتناولان كأسًا، ولاحظت "كابستان" كومة الألواح الخشبية ذات المصدر المشكوك فيه التي وضعها "لوويتز"، وقد ادعى هذا الأخير معرفته الكبيرة بعلم النجارة، وكان يطمح إلى تصنيع مطبخ كامل للقسم، لكن صندوق العدة الجديد فضحه وكان دليلًا على أنه مجرد هاوٍ مبتدئ.

مع ذلك، كان ثمة - إلى جانب الألواح - وعاء بلاستيكي مليء بالمفصَّلات وكيس من القبضات من الموديل نفسه، مما يدل على رغبة صاحبنا الصادقة في تقديم شيء للمجموعة؛ هذا المطبخ سيتم تحديثه بالقلب، وإن غابت المهنية.

قالت "كابستان" بمرح، معلنة عن وصولها:

- ماذا تفعلون هنا حتى هذه الساعة؟ أليست لديكم بيوت؟

أشار "لوبروتون" بحركة خفيفة من حواجبه، ثم أدار رأسه نحو البلكون لينفث دخانه، أما "روزيير" فابتسمت ابتسامة حزينة، مما دفع "كابستان" لأن تردف مسرعة:

- ولا أنا، صدقوني! رائحة زكية.

- سباجيتي بالبصل والزيتون وجبن البارميزان، إنها وصفتي الخاصة، بوسعك مشاركتنا إن أردت، لأنني طبخت للفرقة كلها.

فأجابت "كابستان" وهي تربط شعرها بالأستك الأسود التي تحتفظ بها في يدها:

- بكل سرور، نعم.. كيف حال "توريز"؟

- جيدة، الطبيب متفائل، وإن كنا نواجه مشكلة في التناوب للسهر إلى جانبه، فالزملاء ليسوا متحمسين كثيرًا، إنهم يحبونه ولكن..

- لا بأس، فهمت، سأذهب أنا غدًا. بالنسبة للفتى..

فقاطعتها "روزيير" وهي تبتسم:

- ششش! فلنأكل ونشرب، ولنترك العمل لما بعد.

- هذا صحيح، فالعمل لن يطير.

نزل "لوبروتون" لجلب خبز الباجيت.

كانت "روزيير" تراقب طبختها، بينما "كابستان" تتابع تراقص المكرونة في الماء الساخن بذهن شارد، ارتفع حولهم أزيز الثلاجة.

سألت "روزيير" برباطة جأشها المعتادة:

- وماذا عنك؟ هل أنت عزباء؟

فأجابت "كابستان":

- نعم.

- منذ زمن؟

أخذت "كابستان" نفسًا، كما لو أنها لا تعرف التاريخ:

- منذ آخر رصاصة أطلقتها.

فصاحت "روزيير":

- قتلت زوجك؟!

قهقهت "كابستان"، ثم قالت:

- كلا، ليس إلى هذه الدرجة! فلنقل أن الأمور لم تكن تسير كما يجب منذ بعض الوقت، وإطلاق النار ذاك كان الحجة للانفصال.

فقد ارتأى زوجها أن العودة للماضي باتت مستحيلة، وأن شيئًا ما قد انكسر داخلها وإلى الأبد، وشعرت المفتشة أنه محق، لكنها دفعت كل هذه الأفكار عنها برمشة من عيونها، ثم قالت وهي تحرك السباجيتي في الحلة:

- المهم، هو طلب الطلاق، وأنا وافقت.

وضعت "كابستان" الملعقة الخشبية على طرف الموقد غير المستخدم وقالت:

- المكرونة جاهزة.

لقد غيرت الموضوع، لكن ذهنها كان تائهًا في صورة ظَهْرٍ يبتعد، وحقائب تجتاز باب الشقة، شعرت حينها أنها فقدت مستقبلها وقوتها وفرحها، كما تشفط البالوعة الماء عندما نزيل السدادة، ظلت تسمع صدى إغلاق الباب مرات ومرات. بعدها، جلست "كابستان" على الكنبة، وبقيت محدقة في الفراغ لبضع ساعات، ثم قررت أن تنتقل إلى شيء آخر، فانحنت لتتناول جهاز التحكم من على الطاولة المنخفضة بحثًا عن فيلم تشاهده، اختارت فيلم "أصدقائي المفضلين" وكان سعره 2.99 يورو. في اليوم التالي، جردوها من سلاح الخدمة أيضًا.

كان الفراق صعبًا عليها.

بعد أن تجاوزت الجرح العاطفي، انتابت "كابستان" الدهشة لما لمسته من سرور لعيشها وحيدة واستمتاعها بذلك، كانت تحب أن تعيش حياة مريحة في بيت صُمم لها وحدها، يسهر عليها صمت قطتها الحنون؛ ربما كان ذلك الشعور مجرد مرحلة انتقالية، لكنه كان شعورًا قويًا.

حملت "آن" وعاء السباجيتي إلى الحوض وهي شاردة، وقلبته لتصفيه بحذر حتى لا تحرق نفسها، ثم وقفت ببلاهة أمام الحوض وقد انسكبت المكرونة فيه.

- كلا، غير معقول! لقد نسيت وضع المصفاة.

ذهبت لجلب المصفاة، ثم جمعت السباجيتي قبل أن تغسلها تحت الماء.

- وأنتِ "إيفا"، هل لديك عائلة؟

فردت "روزيير" وهي تهز كتفيها باستسلام:

- نعم، كلب وولد، لكن من بين الاثنين، الكلب هو من يتصل بي في أغلب الأوقات.

⊙⊙

التهموا المكرونة على مائدة العشاء إلى جانب زجاجة نبيذ معتق من منطقة "الرون"، وتخللت الطعام قصص وحكايات عن رجال الشرطة ومغامرات التليفزيون وبعض من مغامرات الكلاب، ثم خرجت "روزيير" و"لوبروتون" للتدخين بينما أشعلت "كابستان" نار الموقد، تحت المراقبة المتيقظة لأنف الكلب الذي لم يكن يخشى أن يتعرض وبره للنار.

انضم إليها المدخنان بعد عشر دقائق، وهما يحملان الكؤوس وبقية الزجاجة، قرّبت "كابستان" سبورات القضايا الثلاثة من بعضها البعض، اتخذ "لوبروتون" مجلسه في كرسي متهالك، بينما استأثرت زميلتاه بالكنبة الواسعة.

لخصت لهما "كابستان" أفكارها حول ملصق المنشورات الدعائية والقتل العمد، ثم أنهت محاضرتها بإخبارهما بما جرى معها في لقاء "بورون"، وقد ترددت لوهلة عن إخبارهما بالدور الغريب الذي يبدو أن الرئيس يطلبه من الفريق، لكن ارتأت أن الخطوط العريضة لذلك الدور لا تزال فضفاضة زيادة عن اللزوم؛ كانت تخشى أن تكون غاية ذلك الدور

إفراغ شحنة الأحقاد الشخصية، وأن ذلك التعيين الذي لا يدعو للافتخار كثيراً، لن يشرف لا الفرقة ولا "بورون".

كان لدى "كابستان" مزيج من الولاء لرئيسها والتفاؤل، ما دعاها لأن تنتظر حتى تفهم أكثر ما الذي يجري، الشيء المهم هو أنه قد تنازل عن ملف "مائيل جينان"، وها هي أوراقه مفرودة أمامها على الطاولة.

في العموم، الملف كان يؤكد المعاينات الأولية التي حصلوا عليها بفضل جهاز مراقبة الأطفال، فليس فيه أي شيء مميز، كما أن عملية تشريح الجثة لم تنتهِ بعد؛ إدارة الشرطة الجنائية كانت تميل إلى فرضية الاعتداء بدافع السرقة.

قال "لوبروتون" وهو يمد قدميه أمامه، ويدير كأسه الممتلئ بهدوء في كفه:

- ليس لكل هذا أي معنى، فمن ناحية، حصلت الجريمة صباحًا، ولو أن اللص لم يكن يرغب في أن يزعجه أحد، لطرق على الباب ليتأكد أن الشقة خالية، ثم إما أن يدخل من إحدى النوافذ - وهو ليس الحال في قضيتنا - أو أن يقوم بكسر القفل، وهو ما لم يحدث هنا أيضًا.

ثم أضاف وهو يشير بكعب كأسه إلى سطر في معاينة ضبط الشرطة:

- أما بالنسبة إلى سلاح الجريمة، فأنا متأكد أن المجرم قد أحضره معه إلى المكان.

فسألته "كابستان":

- ولم أنت متأكد إن كنا قد وجدنا طقم السكاكين نفسه في المطبخ؟

- لم تكن "مائيل" تملك المال الكافي لشراء طقم من السكاكين الفولاذية المصقولة، وحتى إن كان لديها، فستشتري طرازًا مختلفًا أكثر استدارة وأكثر ألوانًا، أو من الخشب؛ هذه السكاكين لا تتناسب مع روح الشقة.

- ربما كانت هدية؟

- لا أعتقد ذلك؛ برأيي أن القاتل قد جاء بنية القتل، وقد موه الأمر على أنه عملية سطو أو أنها غير مخطط لها، ليجلعنا نعتقد أنه قد أخذ السلاح من البيت، في خضم الأحداث.

- تمامًا كما جرى في حادثة قتل "ماري سوزيل" حين استخدم القاتل حزامًا وحمالات البنطلون لتغطية جريمته، وفي حال حالفنا الحظ ووصلنا إليه، فسينفي عن نفسه على الأقل تهمة القتل العمد والظروف المشددة.

فأشارت "روزيير" بقولها وهي تسند ظهرها بمخدة مطرزة:

- كانت تلك جريمته الأولى، ولم يكن قد جهز استراتيجيته بعد، أو أن الجريمتين متصلتين لكن المنفذ ليس واحدًا.

- ذلك الفتى الذي ظهر في مسرحي الجريمة، هل يعقل أن يكون هو ذلك القاتل الذي يعود إلى مسرح جريمته؟

فقالت "كابستان" مذكرة إياهما بأمر، مازحة:

- في هذه الحالة، عمر الفتى وقت الجريمة الأولى سنتان أو ثلاث.

فانطلقت "روزيير" بلهجة خطابية، وقد نال منها النبيذ بعض الشيء:

- "النفوس العظيمة، لا تنتظر مرور السنين لتظهر معدنها".

وأكملت "كابستان" كلامها مخاطبة "لوبروتون":

- بالمناسبة، هل أخذت شعر القطة للتحليل؟

فقال مبتسمًا وهو يحرك كأسه بهدوء:

- نعم، سنحصل على النتائج خلال ستة أو سبعة أشهر.

فردت عليه "كابستان" وهي تهز حواجبها بلا مبالاة:

- عظيم.

ثم راحت تتأمل السبورات متنقلة من واحد للآخر.

عدلت من جلستها على الكنبة، كما لو أنها تريد تعديل وضعية عقلها في علبته الدماغية:

- حسنًا، لنلخص الأمور: لدينا ثلاث قضايا متصلة، ثلاث جرائم قتل متعمد: الأولى وهي مقتل البحّار، قد ارتكبت بأقل مجهود فيما يتعلق بترتيب مسرح الجريمة، منذ عشرين عامًا، الثانية هي مقتل العجوز، منذ ثمان سنوات، والثالثة اليومَ، فلماذا كل تلك الفترات الفاصلة؟ هل هي ذكرى ما؟ طفرة غريزية؟ استحقاق سداد؟

قال "لوبروتون" منبهًا إلى تفصيل صغير:

- علاوةً على أن جريمة قتل البحّار والعجوز حدثتا في الشهر نفسه تمامًا، أما الأرملة فلا، يمكننا القول إن الجريمتين الأوليين متصلتين فعلًا، أمّا مقتل "مائيل" اليوم، فهو بالأحرى صدى للماضي.

- نعم "مائيل"، مثل "السنجاب"، هي الرابط بين جرائم الماضي والوقت الحاضر، واليومَ القاتل موجود هنا، ولا تزال لديه أسباب تدفعه للحركة، أنا متأكدة أن بوسع الفتى أن يقودنا إليه، أتصور أن ليس لدينا أية معلومات عنه حتى الآن، أليس كذلك؟ الأصدقاء، المشتبه بهم، ابن "مائيل"، علام حصلنا من كل هؤلاء؟

فأجاب "لوبروتون":

- حتى الآن، وصف الفتى لم يعنِ شيئًا لأي منهم، ولا حتى "سيدريك جينان"، في المقابل، "نولان" تذكر تفصيلًا جديدًا، فالفتى جاء لرؤية "ماري سوزيل" "لأمر يتعلق بغرق سفينة".

- ها نحن نعود إلى النقطة نفسها.

فرقعت حطبة في الدفاية، فرفع "بيلو" أذنًا صاحية، ثم استعادت النار حسيسها المكتوم، بينما راحت "كابستان" تراقب قطع الجمر وسط الرماد، كان خداها قد احمرا من حرارة اللهب وهي تحاول تجميع أفكارها:

- السفينة، هي النقطة المشتركة بين القضايا.

قالت "روزيير" مشيرةً، وهي تحدق بهما واحدًا تلو الآخر بعينيها الخضراوين الثاقبتين دائمًا رغم السكر:

- وبيننا!

- نحن؟

استقامت "روزيير" فجأة، بقفزة جعلت السلاسل تنتفض حول عنقها:

- البحَّار والعجوز، أمر غريب حقًا أن نعثر على قضيتين في صندوقين مختلفين، ثم يتبين أنهما متصلتان ببعضهما البعض، يبدو لي الأمر أكبر من أن يكون مصادفة.

فقال "لوبروتون" ملاحظًا:

- معك حق، ولكن هل عثر غيرنا في الفرقة على جريمة قتل في الملفات؟

فأجابت "كابستان":

- كلا، لقد أفرغنا كل الصناديق، وهذه هي جرائم القتل الوحيدة.

- حتمًا، وبما أننا سنقوم بالتحقيق، فتلك هي الملفات التي ستهمنا.

تمتمت "كابستان":

- لقد وُضعت هنا لأجلنا.

فقالت "روزيير" وهي تضرب على الطاولة بقبضتها البدينة:

- الأهم أن من ألقاها هنا هو الضابط نفسه، لقد رماها في تلك الصناديق كمن يرمي شيئًا في الزبالة، القصة فيها رائحة فساد، أنا أشم رائحة فساد، هذا رأيي.

اجتاحت قشعريرة بغيضة ظهر "كابستان"؛ "روزيير" محقة، إنه الشرطي نفسه، شرطي فاسد أو مجرم، وفي ثانية واحدة توالت الاحتمالات في ذهنها، مثل الأحرف المنقلبة على لوحات المطارات، ثم توقفت الأحرف فجأة لتشكل اسمًا واحدًا، كلا، هذا غير ممكن، لا يمكن أن يكون هو، ما كان له أن يتمكن من النيل منها هكذا، ليس بعد كل تلك السنين، ما كان

ليجرؤ على فعل ذلك، التقت نظراتها بنظرات "لوبروتون" المستفهمة، كان يرى - من مقعده - لونها يشحب.

نهضت "كابستان" لتجميع الملفات من مختلف المكاتب جاهدةً أن تستعيد هدوءها، عادت إلى الجلوس وفتحت الملفات فوق الطاولة، وبنظرة سريعة غربلت سطور الأوراق، وبسهولة العثور على كرة حمراء وسط كومة من الحصى، قامت بعزل الاسم ثلاث مرات: "بورون".

"بورون"، المعلم والمرشد، الراعي والرئيس، "بورون" الصديق، هكذا إذًا، ذلك هو الهدف من هذه الفرقة، ولكن لماذا يوكل إلى الفرقة تلك القضايا؟ والسؤال الأهم لماذا إليها هي، "كابستان"؟ ما هي ماهية الاختبار؟ اختبار ذكاء أم ولاء؟ أم أنه يلعب جولة من الروليت الروسي علَّ ما يشعر به من ندم يهدأ قليلًا؟ فجأة، تسارعت الأسئلة من كل اتجاه، ضاربة المفتشة وملقيةً بأفكارها على عتبة الاختناق.. "بورون"! كانت بحاجة إلى حمام بارد لكي تركز.

كان "لوبروتون" و"روزيير" ينتظران، هما أيضًا قرآ الاسم.

أردفت "كابستان" بنبرة مقتضبة:

- حسنًا، اسم "بورون" على كل الملفات؛ عام 93 كان هو مفوض الشرطة في شعبة الجنائية، وهو من كان يدير التحقيق في قضية "جينان". عام 2005، قبل أن يصبح مدير شعبة مكافحة المخدرات، أصبح رئيس إدارة التحقيقات الجنائية، ورجاله هم من كانوا مسؤولين عن قضية "سوزيل"، وفي قضية "مائيل" أمس، هو لم يتحرك لكنه أرسل "فالنكور" نائبه.

فقال "لوبروتون" منبهًا إلى أمر:

- "بورون" ضابط في مبنى الإدارة العامة في الرقم 36 منذ ثلاثين عامًا، وعـادي جـدًا أن نجد اسمه على كل الملفات.

ففكرت "كابستان": "هذا صحيح"، وقد شـعرت بـبعض الارتيـاح بعـد أن اسـتعادت صفاءها الذهني بعد الصدمة العاطفية.

لكن "روزيير" قالت بلهجة أكيدة وهي تنهي كأسها بجرعة كبيرة:

- كلا، هذا ليس طبيعيًا، فبالنظر إلى سمعته كشرطي، ما كـان للتحقيقـات أن تتوقـف فجأة قبل الوصول إلى نتائج ملموسة؛ من عادة إدارة الجنائيـة أن تغلـق جميـع الأبـواب، هنا يبدو لنا أنهم لم يفتحوا بابًا واحدًا.

ثم انتزعت جسدها من الكنبة ومشت بضع خطوات لتحرك مفاصلها، كانـت تجـد صعوبة في المحافظة على توازنها، لكن قدميها لا تزالان ثابتتين رغم تأثير الكحول، وكـان واضحًا أنها لا تريد للسكر أن ينال منها.

دارت حول الطاولة وراحت - بظفرها المطلي بالأحمر القاني - تفرغ الهـواء في ورق الحائط على البقعة الوحيدة التي تفضَّل "ميرلو" وقام بإلصاقها، لقد استعادت الجـدران رونقها من جديد، مما خلق تعارضًا ظاهرًا مع السقف المصفر والمتشـقق، إذ لم يتطـوع أحد لدهنه، رغم وجود سلم صغير؛ ربما لأن النتيجة الحتمية ستكون التواءً في العنق.

قالت "كابستان" مكرهةً:

- أوافقك الرأي؛ ليس في هذه الملفات أية دقة ولا صرامة، ليس فيها أي متابعة للبحث.

فقال "لوبروتون" مصرًا على رأيه:

- نعم، لكن أن نستخلص من هذا أنه هو من قام بتلك الجرائم، يعدُّ حرقًا للمراحل وتسرعًا.

حدقت "كابستان" في الرائد مفكرة؛ كلامه فيه شيء من الصحة، بل كانت ترجو أن يكون على صواب.

مع ذلك، تصرفات "بورون" أصبحت تثير ريبتها منذ إنشاء هذه الفرقة؛ لم يعد يتصرف على أريحيته، ولم تعد ترى فيه تلك السكينة التي اعتادتها فيه، لم يعد بوسع المفتشة أن تخفي ما يجول بخاطرها:

- هناك أمر آخر يتعلق بـ"بورون"، لا أعتقد أنه قد شكَّل فرقتنا مصادفة.

فسألها "لوبروتون"، الذي كان يصغي بانتباه شديد:

- وكيف ذلك؟

شرحت "كابستان" الوضع باختصار: "اكتشاف "ميرلو" للخلافات التي بين "بورون" و"ريفريني"، شكوكها هي وفحوى لقائها مع رئيس إدارة الشرطة الجنائية".

ساد الصمت لثانيتين بعد تصريحاتها، ثم انتصب "بيلو" آخذًا وضعية التأهب، فقالت "روزيير" مخنوقة:

- وأنتِ تخبرينا بذلك الآن فقط؟!

فأجابت المفتشة بصوت حازم:

- نعم، إذ لم أجد في الحديث من قبل أية فائدة، لأنه بوسعنا أن نستخلص - مما سبق - كل شيء ولا شيء حول نوايا "بورون"، ففضلت انتظار أن تأتي اللحظة المناسبة.

بينما كان "لوبروتون" يحاول هضم الخبر وهو ينظر إلى اللهب الذي يقرقع، عادت "روزيير" إلى عملها في تفريغ انتفاخات ورق الجدران متذمرة، ثم قالت مختتمة:

- على كل حال، الأمر واضح هذه المرة، إذ تفوح من القضايا رائحة الشرطي الفاسد، "بورون" هو القاتل، وهو ينتظر منَّا أن نقدم إليه ضحية جيدة حتى يتمكن من التقاعد بهدوء وسكينة.

فرد "لوبروتون" معترضًا:

- إن كان هو الفاعل، فليس من مصلحته أبدًا إخراج هذه الملفات إلى النور مجددًا؛ القضايا كانت نائمة وبانتظار حق التقادم بمرور الزمن، الأمر مثالي له.

- في هذه الحالة، لماذا يدسها لنا بهذا الشكل دون أن يعلمنا بالأمر؟ هو يطبخ أموره في مكتبه بمفرده، ولا يتنازل للمفتشة عن أدنى معلومة عندما تذهب لرؤيته، يرمي لنا بالألغاز ثم يطلب أن ندبر أمورنا بما لدينا، هل هذا تصرف إنسان بريء؟

عادت "روزيير" للجلوس، وأخرجت من كمها منديلًا ملفوفًا لتتمخط.

المفتشة كانت غارقة في أفكارها، فهي لا تستبعد - مرة أخرى - أية فرضية فيما يتعلق بالمدير وميله إلى التلاعب بالآخرين.

باتت رائحة الحطب الآن تطغى على رائحة البصل، موحيةً بجو مريح من نوع آخر، شعرت "كابستان" بقطن المسند الخشن يلين تحت يدها، لا بد من المضي في هذا التحقيق، وليحدث ما يحدث.

أخذت "كابستان" نفسًا عميقًا، ثم تابعت بقولها:

- واضح جدًا أن "بورون" متورط، بطريقة أو بأخرى في هذه القصة، إنه يعرف أمورًا نجهلها وليست لديه النية في مشاركتنا إياها، ليس بوسعنا استجوابه، إنما بوسعنا وضعه تحت المراقبة 7/24 ثم ننتظر لنرى إلى ما سيؤدي ذلك.

مد "بورون" تذكرته للعاملة دون أن ينسى أن يبتسم لها؛ كان يبدو محصورًا بعض الشيء في بدلته السوداء ماركة "لانفين"، قادته المرأة الشابة حتى الصف الثالث من الصالة وأشارت إليه بالكرسي الرابع.

وكعادته، نَمَّت عن "بورون" تكشيرة تشنجت لها ملامحه عندما لاحظ ضيق الممر، وخطر بباله مرة أخرى أن المسارح على الطراز الإيطالي أمر لا يطاق.

بدأت همهمة الحضور ترتفع في قاعة "ريشليو" قبل بدء المسرحية، وكانت سحب من العطور القوية تهيم بين الصفوف. ابتهج المأمور مقدمًا؛ إنها مسرحية "دون خوان" بالفرنسية، لا يُعقل أن يفوت مشاهدتها أحد.

رنت الدقات الافتتاحية الثلاث، بينما كان يجلس في مقعده المخملي الأحمر، كان يستمتع بسهرته بذهن صافٍ وهو يعلم أن "كابستان" - في الخارج - ستقوم باللازم.

38

أصدرت أضواء النيون طنينًا خافتًا في ممر المستشفى الشاحب، كان الجو معبقًا برائحة الكلور المميزة. أصدر حذاء "كابستان" صوتًا يشبه الصرير على أرضية المشمع الزرقاء المطعمة بالأسود، أخذت تقرأ الأرقام على أبواب الغرف.

أحد الأبواب كان شبه مفتوح، لمحت "كابستان" مريضة مرتدية رداء المستشفى متجعد وتتناول طعامها في سريرها.

وصلت "كابستان" عند الرقم 413، فدقت الباب. كان "توريز" نصف جالس، مستندًا إلى مخدة ذات غطاء أبيض، مرتديًا بيجاما من الصوف الناعم، صفراء مزركشة بدببة بنية، وعلى محيط جمجمته ضماد وكتفه وكوعه الأيمن مثبتان داخل جبيرة، خرج أنبوب محلول من يده اليسار وانتهى بكيس بلاستيكي مملوء بسائل كثيف وشفاف.

رقد "توريز" ممسكًا بجهاز التحكم في يده اليمنى وهو يتأمل التليفزيون المطفأ، بدا عليه السرور لرؤية "كابستان"، وكانت هذه الأخيرة

قد أحضرت "سي دي" لأشهر الأغاني الفرنسية، وجهازًا لتشغيل الـ"سي دي"، وضعت كل شيء على الطاولة بجانب سريره.

سألته مقلدة لهجة الممرضة التي جاءت لتأخذ المبولة:

- كيف حال مريضنا هذا المساء؟

- هو بخير، وسعيد، ويريد أن يتبول.

فأردفت فورًا "كابستان":

- حقًا! هل تريدني أن أنادي أحدًا؟

- كلا، أنا أمزح.

ابتسم "توريز" ابتسامة كبيرة صادقة، لكنها تسببت في تجعيد ضماداته، لم يسبق لـ"كابستان" أن رأت ذلك التعبير على وجهه من قبل.

استقام في جلسته أكثر قليلًا ،فبدت على وجهه آثار ألم، وقد أصدرت الشاشة التي إلى جانب السرير صوت مثل العاب الأتاري القديمة.

لم تكن "كابستان" تعرف جيدًا كيف تعبر عما تريد قوله، فاختارت أن تكون بسيطة:

- شكرًا لك؛ أظن أنه لولاك لما نجوت مما حدث.

بدا "توريز" سعيدًا حقًا وهو يقول:

- هل تدركين ما حدث؟ لم تموتي، أنا..

شعرت بالأسف، لكن "توريز" تابع بحماس:

- انتهى قدري النحس، بل إنه انقلب إلى حُسن الطالع، لم يكن لنحسي أي تأثير عليك، وعلاوة عليه أنا من أنقذ على حياتك.

- كنت متأكدة أنه لن يحدث لي أي شيء؛ أنا لا أؤمن بقصص النحس، كما أنني إنسانة محظوظة.

تكدر وجه الملازم المتورم:

- هل تعتقدين أن ما حدث كان خاصًا بك أنت دون سواك؟

فأسرعت "كابستان" لتصحيح مقولتها:

- كلا، كلا! إطلاقًا؛ الأمر أن قصة النحس هذه خرافة، وها أنت قد أثبت ذلك.

جلست "كابستان" على كرسي، ولخصت لشريكها الأحداث، ثم عرضت الخطة القادمة: سيبقى جزء من الفريق مناوبًا أمام الدراجة، وسيقوم جزء آخر بالتحريات حول "السنجاب" وحول السفينة أيضًا، وأخيرًا الجزء المتبقي، يقوم منذ يومين بمراقبة "بورون" بالتناوب، وقد لمَّح هذا الأخير -من ناحية أخرى - بموافقته على منحهم سارينة لأجل الملازم "توريز".

انبسطت أسارير الرجل، وقال:

- أخيرًا حصلت على وسام.

ثم تناقشا لبعض الوقت حول ما يجري من أعمال في القسم، فقد انتهت أعمال وضع ورق الحائط، وعلقوا ستائر على النوافذ لإضفاء بعض الحميمية على المكان، وأحضروا موادًا تموينية للطبخ من وقت لآخر.

"إيفرار" تقول إنه يجب تغطية نبتة "الدفلى" الزهرية لأجل الشتاء، و"داكس" أفسد الأرضية بسبب مسمار في حذائه، و"ميرلو" قضى على آلة تصوير المستندات بعد أن جلس فوقها.

"لوويتز" كان يلمع المطبخ الجديد الذي ارتجلوه، كانت قياساته تتجاوز قليلًا الشباك الألمونيوم العريض، لكن عدا عن ذلك فهو في حالة جيدة.

صباح اليوم، روى "أورسيني" نكتة لأول مرة في حياته، لكن الفريق نسي أن يضحك من دهشته، فتدارك "أورسيني" الموقف، واعترف أن نكاته غالبًا ما يكون لها هذا التأثير على الناس.

لم يتوقف "توريز" عن التعليق على كل خبر، قال إن لديه طبقًا قديمًا لتقديم الفاكهة ووعد بإحضاره، ثم تقلصت المحادثة شيئًا فشيئًا حتى انتهت إلى هدوء وصمت.

وعلى طريقة رجال الشرطة عندما يكونون في مهمة مراقبة متخفية، سرح كل منهما بأفكاره في الغرفة، تاركًا لشريكه حرية التفكير أيضًا.

سعل "توريز" كمن يحاول تنظيف حلقه من البلغم، فعرفت "كابستان" أنه سيطرح السؤال الذي لم يجرؤ على طرحه من قبل:

- وذلك الرجل الذي.. كيف حدث الأمر؟

استندت "كابستان" بظهرها على كرسيها، لم تكن لديها رغبة كبيرة في التطرق إلى تلك الفترة، فقالت:

- ليس في هذه القصة شيء مسلٍ، هل أنت مصر على سماعها؟

حنى "توريز" رأسه؛ لم يكن يرغب في الإصرار، وشعرت "كابستان" أنه بات يعتبرها زميلة حقيقية وأن بوسعه - إن كان ولا بد - أن يبقى في منطقة الشك محتفظًا بشكوكه، لكن "توريز" قد واجه باصًا لأجل إنقاذها، ولم يعد بإمكانهما الهروب من الماضي.

تنهدت وقد اكتست ملامحها مسحة من الحزن ثم عقدت ذراعيها استعدادًا للإجابة على أسئلة الملازم:

- منذ ثلاث سنوات، كنت أعمل في "فرقة مكافحة الجريمة".

فصاح "توريز" مذهولًا:

- "فرقة مكافحة الجريمة"؟

"فرقة مكافحة الجريمة فرقة أسطورية، وهي غاية ما يصبو إليه أي شرطي في حياته المهنية، واليوم ها هي المفتشة مركونة على الرف"، قال الملازم لنفسه متخيلًا حجم السقطة.

أكملت "كابستان" بحنين:

- نعم، فرقة مكافحة الجريمة، كان الوضع جيدًا هناك، كنت مرتاحة، ثم ذات يوم اتصلوا بي لتعييني في شارع "كيه دي جيفر"، في فرقة المبتدئين مع علاوة كبيرة، لم أستطع أن أرفض.

- ما كان يجدر بك أن ترفضي.

فقالت وهي تفك ذراعيها:

- نعم.

القضايا المتعلقة بالأطفال، جرائم الخطف، قلق الأهل، الاستغلال الجنسي، كل يوم مشاكل مؤلمة أكثر من سابقتها، وكل يوم تبدأ من جديد إلى ما لا نهاية.

كل مساء، كانت "كابستان" تتأمل عجزها أمام هول ما يجري حولها، ولكن لم تكد تمر سنة، حتى اعترفت بأنها لا تصلح لهذا العمل، كما أنها لم تنجح إطلاقًا في المحافظة على الهدوء الغريزي، وعلى المسافة اللازمة بين الشخصي والمهني.

في مهماتها السابقة، كان بوسعها استعادة بعضًا من ذلك بين قضيتين مرهقتين، أما هنا فذلك أمر مستحيل، ثم نفذ ما كانت تملكه من لا مبالاة خلال بضعة أشهر، وفرغ مخزونها من الدم البارد، ولم يتبقَ سوى الدم الحار جاهزًا للفوران لأقل سبب، وقد طالبت بحقها في تغيير مكان تعيينها، لكن "بورون" رفض، وكان عليها التحمل سنة أخرى، وقد استمرت في ذلك العمل.

بدأت "كابستان" تروي ما حدث:

- اختفى أخ وأخته اثنيْ عشر عامًا وثمانيَ سنوات، كنا نتمنى لو أنهما هربا من بيت والديهما، لكننا - في الواقع - كنا نخشى وجود إنسان مختل وراء ذلك، لم تفضِ عمليات البحث إلى شيء، كنا نتخبط في التحقيقات، مرت الأسابيع ثم الشهور.

لشهورٍ، التفكير في ذلك كان يرهقها من جديد.

- تم اختطافهما، وأخيرًا وجدنا طرف خيط، وحددنا موقع الشخص في مكـان بـائس بالقرب من منطقة "ملون" جنوب العاصمة، وبينما كان زملائي يفتشون البيت، ذهبـت أنا لتفقد كوخ في الحديقة، كسرت القفل ووجدت الطفلين هناك، كانا نحيلين ومتسخين لدرجة السواد.

بدايةً، بقيت عند العتبة مشدوهة، كانا يقفان ملتصقين ببعضهما بعضًا فوق حصير موضوع مباشرة على الأرض، وإلى جانبهما رقد شيخ تبـدو عليـه علامـات سـوء التغذيـة نفسها، لكنه كان ميتًا منذ يوم أو أقل.

لدى وصـولي، لم يصـدر الأطفـال أي صـوت، سـاد حـولهما صـمت كصـمت القبـور، تقدمت لطمأنتهما، ثم سمعت ورائي صوتًا؛ كان الرجل واقفًا هنـاك في إطـار البـاب، في وجه النور، كنت أميز جيدًا خطوط جسمه الخارجية، لكننـي لم أسـتطع تمييـز ملامحـه ولا معرفة ماذا يحمل في يديه، كان يحمل في إحداهما دفتر ملاحظات هـذا مؤكـد، أمـا في اليد الثانية، فلم أتمكن من التمييز إن كان قلمًا أو سكينًا.

عندما رآني، لم يحاول الهرب، بالعكس سألني ماذا أفعل هنا في بيته. رأيت يد البنت الصغيرة متشبثة بالأرض إلى جانبي، نهضت ووقفت بين الرجـل والأولاد حتـى لا يريـاه، ثم أطلقت عليه النار وقتلته.

- هل كان منحرفًا جنسيًا؟

- ليس جنسيًا كلا، بل مصاب بجنـون العظمـة، كـان يـدرس المجاعـة الكـبرى في عهد "النظام القديم"، أراد ذلك الحثالة أن يعرف الحقيقة؛ كان يدرس في السر تأثير الجـوع عـلى الشريحـة الأضـعف مـن السـكان؛ أي عـلى الأطفـال والشـيوخ، لـيس

على لاعبي الرجبي ممن يبلغون 30 عامًا بـالطبع، والعلـم بالنسـبة لـه يسـتحق بعـض التضحيات، فالأطباء يستخدمون القرود في تجاربهم.

لم تستطع "كابسـتان" منـع نفسـها مـن التفكـير أنهـا كانـت مسـتعدة - في حالتهـا الراهنة - لقتل أولئك الأطباء أيضًا.

سوَّى "توريز" غطاء سريره براحة يده، كان - بصفته أبًا لطفلين - يؤيـدها مـع إطـلاق النار على الجاني، لكنه – كشرطي – فإنه يفضل اعتقاله.

نكش جهاز التحكم بإصبع شاردة، ثم سأل أخيرًا:

- هل أنت نادمة؟

إنه السؤال الشهير.

ثلاث حيوات ضاعت مقابل حياة ذلك الوغد فقط، كان حبها الكبير جدًا للرياضيات يمنعها من أن تندم على فعلتها، لكنها كانت تعلم أن ذلك يجعلها تبدو مريضـة نفسـيًا، فأجابت بنفاق:

- لم أقرر بعد.

ففسر "توريز" كلامها على أنه نعم، وأردف:

- هل كانت سكينة؟

- ماذا؟

- ماذا كان يحمل في يده؟

- قلمًا.

- وزملاؤك، هل غطوا عليك؟

- بل حدث ما هو أفضل، فالرئيس "بورون" هو من غطى علي، كان أول من وصل إلى الكوخ، وكانت شهادته حاسمة: دفاع مشروع عن النفس، وإن كان "بورون" هو من يقول ذلك..

بدونه لما اكتفوا بتسريحها، بل لألقوا بها في السجن، هذا مؤكد، لقد أخرجها من القضية مثل الشعرة من العجينة، وها هو الوقت قد حان الآن لدفع الحساب.

فهل الأمر كذلك حقًا؟ هل هو يقدم لها الفاتورة؟ والفرقة؟ هل تم تشكيلها واختارها هي - المدينة له - لترأسها، للعثور على كبش فداء؟ بل إنها لترى تهديدًا مبطنًا في الموضوع، لأن "بورون" ينتظر منها أن تحميه بدورها، وإلا فهي نهاية الميثاق بينهما، هل يتوقع منها أن تتلاعب بالتحقيقات وأن تخفي الأدلة، وفي النهاية أن تخون الضحايا؟ وما كان لهذا الخيار أن يخطر ببالها ولو للحظة، في المقابل لن يكون سهلًا خيانة "بورون".

تألمت "كابستان" في داخلها بسبب تلاعب المدير بها؛ هل يُعقل أن يكون معلمها الروحي على هذا القدر من الانحطاط الأخلاقي؟ لم تتمكن "كابستان" من تصديق ذلك، بل رفضت الفكرة سريعًا لدرجة أنها أنكرتها بالفعل، لا بد من تحليل الأمور ببرودة أعصاب، عليها استعادة قدرتها على دراسة كل الاحتمالات بموضوعية كاملة.

بدا "توريز" مهمومًا لسلبية المفتشة:

- إن كان "بورون" قد بيَّض صفحتك، فلا أرى سببًا لإرسالك إلى هذه الفرقة، لقد اقترفت خطأً كبيرًا لكنه خطأ وحيد.

الوحيد! ذلك ليس صحيحًا البتة، فقد سبق لـ"كابستان" أن أطلقت النار - في الأشهر التي سبقت الحادثة - على ركب بعض البهائم من البشر بسبب شعورها بالإرهاق، وكانت الحجة دائمًا هي هروب المتهم، وهو ما لم يكن لينطلي إطلاقًا لا على "بورون" في القيادة ولا "لوبروتون" في إدارة التفتيش العامة؛ الواقع أن الرصاصة التي أطلقتها في الكوخ، كانت الأخيرة في سلسلة تستحق عليها "كابستان" التوقيف عن العمل عشرين مرة.

سُمع صوت حذاء في الممر، ثم طُرق على باب الغرفة، دعا "توريز" الطارق إلى الدخول.

مرت بضع ثوانٍ، ثم أطلت "روزيير" برأسها من الباب قبل أن تفتحه كليةً وتدخل ومن ورائها "لوبروتون"، سلما على "توريز" باليد؛ كان سلامًا بين الحذر وروح الفريق.

بعدها، عدل "لوبروتون" من كم قميصه، ثم ذهب ليستند إلى الجدار المقابل للسرير. وقفت "روزيير" إلى جانبه، وأصابعها مشغولة بالسلاسل المعلقة على صدرها.

سألت "كابستان" وهي لا تزال واقفة عند قدمي المصاب الملفوف بالضمادات:

- هل تقدمتم فيما يتعلق بقائمة المسافرين؟

- نعم، مقر الشركة في "ميامي"، سيرسلونها إلى "إيفرار"، ستصل خلال يومين أو ثلاثة.

- ممتاز، والمراقبة؟

أجاب "لوبروتون" معترفًا بعد أن بدل ساقه التي يستند إليها:

- هنا لدينا مشكلة.

- يعني؟

- "بورون" شرطي جيد، ومن الصعب مراقبته دون أن يشعر بذلك، علاوة على أنه يعرف معظمنا، مع ذلك نحن نتدبر أمرنا معه من بعيد، وفي الشارع.

فقاطعته "روزيير" بضحكة ساخرة:

- في هذه معك حق، فـ"بورون" العجوز ليس غزالًا، وليس هناك خطر أن يركض هاربًا.

كانت ضوضاء الممر تصل إليهم في الغرفة: صوت عربة، أصوات تنظيف صواني الطعام، وأصوات الممرضات وهن يتسلمن مناوبات المساء.

أكمل "لوبروتون" كلامه:

- في المقابل، لا نستطيع مراقبته عندما يكون في مكتبه في المبنى رقم 36، فهناك لا نتمتع بأي تغطية؛ هناك العديد من كاميرات المراقبة والنوافذ المطلة على رصيف النهر، وليس بوسع السيارات الاصطفاف، أما السياح فهم يمرون فقط. وأنا أتساءل إن لم يكن علينا التخلي كليةً عن

فكرة المراقبة المباشرة، وأن نضع فريقًا في مفارق الطرق حول البناء، لكننا نفتقد إلى العدد الكافي..

قالت "روزيير" وهي تلمع بمئة لون ولون بمعطفها المطري البلاستيكي الأبيض:

- أو أن نكتفي بالبيت، وننسى أمر مراقبة مكتبه في الإدارة العامة في الـ36، وإن كان ذلك لم يعد يسمى مراقبة.

- كلا، إن كنا سنراقب "بورون"، فلن يكون ذلك – بالتأكيد - دون متابعة نشاطاته المهنية، لكن الـ36 مكان منيع ومراقبته معقدة، لا بد من إيجاد نظام ما.

فاقترحت "كابستان":

- ما رأيكم بأن نفعل ذلك من الضفة المقابلة، باستخدام منظار مراقبة؟

هز "لوبروتون" رأسه ببطءٍ إشارةَ رفضه للفكرة، وقال:

- سيكتشفون وجودنا من المكاتب في الطوابق العليا، وبالتالي، فاقتراحك فيه مخاطرة كبيرة، لكن بوسعنا استئجار شقة.

قاطعته "روزيير":

-... لكنك لن تجد استوديو رخيصًا على ضفة السين، وبالنظر إلى عقلية الأثرياء، لن تتمكنوا من استئجار شباك هناك مقابل ما تملكونه من مال.

فقالت "كابستان" مبتسمة:

- بوسعنا مصادرة المكان.

أكملت "روزيير" ممازحة:

-... لكنهم لن يتوانوا عن تقديم شكوى ضدكم.

كانت تشعر بالحر في المعطف المطري البلاستيكي، وقد وضع "توريز" نظام التدفئة على أعلى درجة، حركت أطراف المعطف لتهوية نفسها قليلًا، ثم خلعته وطوته تحت ذراعها.

أردفت "كابستان":

- هناك أشغال في البناء في الوقت الراهن، أليس كذلك؟

أجاب الرائد بالإيجاب:

- نعم، هناك سقالات على جزء من الطابق الأخير وعلى السقف، لكننا لا نستطيع التسلل، حتى بلباس العمال؛ الأمر يتعلق بمراقبة الشرطة القضائية وليس مجموعة من المارقين، لن تتقبل شركة الإنشاءات بذلك أبدًا. أما على مستوى الشارع، فقد تحققت من الأمر، ليس لدينا المكان الكافي لاتخاذ نقطة مراقبة، أكرر، ليس هناك في البناء نفسه إمكانية لزرع عميل متخفٍ.. صدقيني، لقد بحثنا؛ مستحيل.

فقالت "روزيير" بلهجة مؤكدة:

- إذًا، نتوقف عن المراقبة.

كان "توريز" يقلِّب جهاز التحكم بين أصابعه، وهو يتلمس بإظفره الأزرار الكاوتشوك.

مشت المفتشة – ذهنيًا - في أطراف بناء الإدارة العامة للشرطة الجنائية، وتصورت النوافذ العريضة المحمية بالشبابيك الحديدية، مدخل البناء المسقوف، نقاط الحراسة على ضفاف السين، أشجار الكستناء، وبضع أمكنة مخصصة لتوقف السيارات خلف الحاجز الأوتوماتيكي، ليس هناك مكان واحد يصلح للاختباء - كان لا بد من إيجاد بديل، وبدأت تتبلور فكرة في رأسها، ثم قالت معلنة:

- إن لم يكن بوسعنا العمل متخفين، فسنعمل جهارًا.

جزيرة "كِي ويست"، جنوب "فلوريدا"،

الولايات المتحدة، 2 مايو 1993.

فاحت في الهواء المثقل بالرطوبة رائحة الملح والورد. طار زوج من الببغاوات الخضر إلى شجرة التين البنغالي، التي كانت جذورها تقتلع بلاط الرصيف، تلك الألوان، ذلك الحر، ذلك الصمت، لم يكن "ألكسندر" يرغب في العودة إلى فرنسا.

وعلاوة عليه، كان عليه الاعتناء بـ"أتيلا"، "أتيلا" اسم كالقدر، كان الطفل الصغير يستكشف حاليًا آخر الحديقة تحت نظر "ألكسندر" المتيقظ، رفع المعول المخصص أساسًا لبناء القصور على الرمال، وضرب به رؤوس النباتات التي تمكن من الوصول إليها، لم يكن يبني أي شيء بمعوله، تنهد "ألكسندر" وأخرج منديله ليجفف وجهه المتصبب عرقًا.

مر بالشارع الفتى الذي يدير كوخ تأجير الدراجات الهوائية، وسلم عليه بيده، وقف على كتفه ببغاؤه القرصان الوفي وهو يتأرجح بفخر، كانا ذاهبين إلى "سلوبي جو بار" في شارع "دوفال".

أراد "ألكسندر" أيضًا أن يشرب كأسًا من الويسكي البوربون المعتق، سيعود إلى فرنسا، لن يمارس رياضة الغطس بعد الآن، ولن يرتدي الملابس الخفيفة، سيعود إلى العمل، إلى الصوف والملابس الرسمية، لقد طالت إجازته بما فيه الكفاية.

ظهر ديك في الطريق العكسي. قليل من السيارات تسير في تلك الشوارع العريضة المحاطة بالأشجار قليلة، وحتى وإن فعلت، فهي دائمًا ما تسير على مهل، وبالتالي، عبر الديك الشارع بكل ثقة وتوجه نحو بوابة منزل "ألكسندر" المفتوحة. صفر "ألكسندر" ليخيفه ويدفعه للابتعاد، لكن الطير الغبي لم يفعل؛ اعتادت الديوك في هذه المنطقة أن تعيش بحرية، فقد استقدمها الأهالي في الأصل لكي تطارد العقارب وتأكلها، كانت الديوك تحترم حصتها من العقد، وفي المقابل أصبح من حقها أن تعيش بسلام دون أن يزعجها أحد.

دخل الديك الحديقة رافعًا عرفه ونافشًا صدره. سرعان ما رآه "أتيلا" وهجم نحوه رافعًا معوله وهو يصرخ، أوقف "ألكسندر" الطفل المنطلق بحركة مفاجأة من يده وأخذه تحت ذراعه. كان "أتيلا" - وقد احمر غضبًا - يحرك رجليه محاولًا التخلص، لكنه استسلم في النهاية تحت إصرار "ألكسندر" وهو يلهث.

كانت أمه تقول وفي عينيها لمعة فخر كوبية: "إن فيه دم رجال العصابات"، اعتاد أن يجيبها دومًا بأن "رجل العصابات يُحتفظ به لوقت الثورات، يا روزا".

وصلت زوجته "روزا" بسيارتها الـ"بيك أب" البيضاء الملوثة بآثار من الطين، وركنتها أمام الرصيف، شدت المكبح اليدوي ونزلت من السيارة، ثم التفتت حولها لتفتح الباب الجانبي، حلت حزام كرسي الطفل وحملت "جابرييل" الصغير بين ذراعيها بحذر.

كانت الدموع قد جفت منذ زمن على خدود الطفل، وهو يحمل الآن في يده الصغيرة قطعة حلوى ملونة أهداه إياها طبيب الأطفال، لم يكن حمله سهلًا مع الضماد الصغير حول خنصره.

نظر "ألكسندر" إلى "روزا" متسائلًا وصدره مقبوض، انتظرت هذه الأخيرة حتى وصلت إلى مكانه لتشير إلى الضماد على أذنه.

- لم يتمكنوا من خياطتها من جديد، فالشحمة قد تمزقت.

39

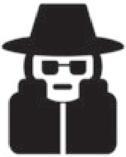

سأل "داكس":

- لو كان عنوان مبنى الإدارة العامة في الرقم 38 من الشارع وليس في الـ36، فهل تعتقدين أنهم سيطلقون عليها بكل الأحوال اسم الـ36؟

تظاهرت "إيفرار" - بلطف - أنها تفكر قبل أن تجيب:

- كلا.

كانت تجلس فوق السور الحجري على رصيف "الأورفيفر"، مقابل مدخل مقر الشرطة الجنائية الباريسية، وهي تراقب النوافذ في الطابق الثالث حيث مكتب الإدارة.

- مع ذلك، فالاسم 38 يبدو وقعه على الأذن أقل جمالًا، وإن كان ثمة تسميات أسوأ؛ عندكِ مثلًا "132، الشقة ج"، هل تتخيلين تسمية كهذه: "أنا أعمل في الـ132، الشقة ج"! صدقيني، لن يروق ذلك للشباب وسيجدون اسمًا آخر.

ابتسمت "إيفرار" وسرحت بعينيها نحو نهر "السين". كان ربان سفينة يقود زورقه الطويل بيد واثقة داخل قمرته الزجاجية، وبيده الأخرى أمسك كوبًا مستمتعًا بقهوته في هذه الساعة الصباحية، تحت شمس خريفية ألقت بظلال حية ومحددة على الأشجار والجسور والعمارات، حقدت "إيفرار" على البحَّار، فعنده حريته. راحت تهز رجليها بالتناوب لتعطي نفسها إيقاعًا وتبقى متيقظة رغم رتابة المراقبة، ضايقها حجر السور الحُبيبي عبر قماش بنطلونها الجينز.

اليوم، كان دورها في مراقبة "بورون" يلازمها في مهمتها "داكس"، وكلها رجاء أن يكون الغباء لا يقتُل كما يقول المثل.

ارتدت الضابطة فوق معطفها الواقي من الرياح بشكل ظاهر، تيشرت كُتب عليه "أورسيني" شعار: "الشرطة تُضرب عن العمل"؛ تلك هي فكرة "كابستان"، فإذ لم يكن بوسعهم الوقوف مطولًا أمام الإدارة العامة دون أن يلحظهم أحد، فليظهروا أنفسهم في وضح النهار، وليس هناك أفضل من ادعاء الإضراب؛ كما قالت لهم رئيستهم إن فرقتهم المنبوذة تنقصها التجهيزات ومحرومة من الكثير من الحقوق، فليطالبوا بحقوقهم ما أمكنهم الاستمرار في ذلك.

"إيفرار" - التي لم تقنعها هذه الاستراتيجية كثيرًا - اعترضت خشية أن يتوقف "بورون" عن القيام بأي نشاط كان، إن هو اكتشف أمرهم، لكن "كابستان" أصرت: "لن يخطر بباله أننا نراقبه، سيعتقد حقًا أننا مضربون؛ هو يعتقد أننا مغفلون، وإلا فالأمر ليس بتلك الأهمية، نحن لا نعرف عما نبحث حقيقةً، لكن للموضوع علاقة بالإدارة العامة في البناء

رقم 36، فالأفضل مراقبة ما يحدث هناك، وسنرى كذلك من ستكون لديه ردة فعل على وجودنا".

أما "داكس"، الذي جلس إلى جانبها على السور، فقد كتب بأحرف كبيرة "ضباط منبوذون" على الـ"تي شيرت" الخاص به. كان قد فكر مع "لوويتز" أن يكتبوا شيئًا من قبيل "شرطي وأريد مسدسي" أو "نحتاج بطاقة تعريف وليس بطاقة تسريح"، وغيرها من الشعارات ذات العلاقة بكرة القدم، بعد كثير من الأخذ والرد، اختارت "كابستان" - مرهقةً - الشعار الأكثر رزانة، وفي عينيها نظرة تفهم. كما ارتأت - من ناحية أخرى - أنه من الأسلم فصل الزميلين الرفيقين عن بعضهما البعض في هذه المهمة.

وصلت "إيفرار" و"داكس" عند الساعة الثامنة صباحًا بعد وصول "بورون" بدقائق معدودة، وسرعان ما لاحظهما الشرطي المكلف بالحراسة، وراح يتفرس فيهما بفضول. كان ضخم الجثة ذا بشرة سمراء وذراعين صغيرتين، بدت على وجهه ابتسامة ماكرة ثم اتصل بأحد رؤسائه يسأله ماذا عليه أن يفعل بـ"زملائه المضربين" هؤلاء، الذين يتظاهرون بصمت وهما اثنان فقط - "تخلص منهم"، لا بد أن ذلك كان الجواب، بما أنه جاء إليهما طالبًا منهما بلطف مغادرة المكان.

رفضت "إيفرار" التحرك رفضًا قاطعًا، فذهب العنصر بحثًا عن تعليمات جديدة، وعندما عا، كان برفقته شرطيان آخران يبدو عليهما الارتباك.

أمسكا بذراع "داكس" لدفعه إلى الرحيل، فراح هذا الأخير يصيح ويصرخ طالبًا المساعدة كما لو أنهم سيقطعونه إربًا، فبدأ المارة يلتفتون

والسياح يأخذون الصور، وأخيرًا خشخش جهاز لاسلكي العنصر، وقد جاءته الأوامر من أحد الرؤساء ممن ينظرون من أعلى النوافذ، بأن يتركهما وشأنهما قبل أن تحدث بلبلة في الشارع.

وهكذا، أصبح بوسع "إيفرار" و"داكس" أن يراقبا ما يحدث من ذهاب وإياب دون إزعاج من أحد، وعيونهما على شباك المدير "بورون".

كانت "إيفرار" - المتفانية في مهمتها وفي تمويه نفسها - تحاول جاهدة المحافظة على مظهر الشرطي الذي حُرم من حقوقه من غير وجه حق، وإن كان "داكس" وتعابير الحماس الدائم على وجهه يصعبان عليها المهمة، كذلك كانت شجرة الكستناء المزروعة على الرصيف تشتت تركيزها، إذ كانت أغصانها تداعب شعرها كلما هبَّت بعض الرياح.

رغم كل ذلك، لم يغب عن الملازم بنظرتها اللامبالية ظاهرًا أصغر تفصيل فيما يحدث حولها، وللتواصل مع "كابستان" - المتمركزة بعيدًا عن الأنظار، على مقعد في ساحة "دوفين" - كانت "إيفرار" تتحدث عبر سماعات الرأس، والتي جعلتها تبدو وكأنها تسمع الموسيقى، كان لدى المفتشة باقة غير محدودة من الدقائق مما يؤمِّن لها اتصالًا مستمرًا.

سند "داكس" خشبة لافتة "مضربون عن الطعام" بين ركبتيه ليحرر يديه، ثم أخرج من حقيبة الظهر ذات اللون الأصفر والرمادي، ساندويتش أكثر سمكًا من قاموس كبير، وعندما نزع عنه ورق الألمونيوم، فاحت منه رائحة قوية للحوم باردة في جو الخريف المنعش.

عرض الملازم الشاب على زميلته قائلًا:

- هل تريدين بعضًا منها؟ فيها لحم ودجاج رومي بالبسطرمة، أمي حضرتها لي، أمي تعرف كيف تصنع وجبة، ليس فيها خس أو طماطم، فقط قليل من المستردة ما يجعل الخبز نديًا، ثم تلفه بمناديل ورقية حتى لا يؤثر الألمنيوم على الطعم، هل تريدين؟

شكرته "إيفرار" بابتسامة، بينما باشر "داكس" التهام تحفته برضى ظاهر، فجاء إليهما الحارس مغتاظًا بعض الشيء، وقال:

- اعتقدت أنكما مضربان عن الطعام؟

هز "داكس" رأسه بشدة وفمه ملآن محاولًا أن يجيب عندما سقطت بعض الفتات من سندويشته الصاروخ، فأحكم إمساكها إذ لم يكن يريد تبذير خبز بتلك الجودة، فالتقطت "إيفرار" اللافتة وأنقذته من إحراجه قائلة:

- إنه دوري في المناوبة الآن لمدة ساعتين، زميلي يأخذ استراحة.

فقال الحارس مستفسرًا بنبرة مستفزة:

- تتناوبان؟ تأخذان استراحة غداء أثناء إضراب عن الطعام؟

فردت "إيفرار" مؤكدة، بينما كان "داكس" يثني على كلامها بشفاه مشدودة.

- صحيح.

- هل تعتقدان أننا حمقى؟

كان من الواضح أن عليهما تحويل الاتهام إليه حتى يحافظا على مصداقيتهما ويتمكنا من الاحتفاظ بموقع المراقبة.

بحثت "إيفرار" في نفسها عما يضايقها، وردت عليه بسلبية فيها عدوانية:

- كلا، بل أنتم من تعتقدون أننا حمقى! نحن منضبطان وما نقوم به قانوني، أليس هذا هو سر الشرطي الناجح؟ وبهذا الشكل، سيعمل الرؤساء على إعادتنا وتعييننا في فرقة عادية كعناصر شرطة عاديين.

لم يكن في نيتها الاستقواء على الشرطي البسيط، لكنها قالت ما قالته في سبيل المحافظة على دورها، وكانت "إيفرار" قد خلعت - وهي تتحاور- إحدى السماعتين من أذنها من ناحية ليبدو أنها مهتمة أكثر، ومن ناحية ثانية للفت انتباه "كابستان"، التي كانت تتابع الحديث الجاري من بعيد بسرور.

لفت انتباهَ "إيفرار" انعكاس على زجاج مكتب المدير، كان "بورون" يمشي جيئة وذهابًا أمام النافذة، ثم توقف لبضع ثوانٍ وحيًّاها بإشارة طويلة من يده، انتظرت الحارس أن يذهب ثم أعلمت "كابستان":

- "بورون" يسلم علينا.

جاءها صوت المفتشة من السماعة اليسار:

- هل كان يسلم عليكِ، أم كان مندهشًا، أم أنه غير مبالٍ؟

بعد تفكير للحظات، قالت "إيفرار" باستسلام:

- بل أنا أميل إلى أنه غير مبالٍ بي.

على بعد مئة متر، جلست "كابستان" على مقعد متسائلة مرة أخرى عما يريد "بورون" الوصول إليه، وإن كان قد اكتشف أمر مراقبتهم إياه.

كانت المفتشة جالسة في منطقة لعبة الكرات الحديدية الواسعة في ساحة "دوفين"، تلك القطعة الجميلة المقتطعة من الريف والمزروعة في مواجهة مظهر قصر العدل القاسي، ومن موقعها ذاك، تمتعت بمشهد بانورامي وقدرة على تنظيم المناوبات بين عناصرها. كانت تبقي أذنًا مع "إيفرار" و"داكس" وتستمتع في الوقت نفسه بأصوات اللعبة الدائرة في تلك الأثناء: صوت ارتطام الكرات الفولاذية الحاد والمكتوم، صوت دحرجتها المميز على الرمل المثبت بالحصى، الشتائم، السخريات والنصائح الملقاة على عجل وعن قناعة ثابتة، كان اللاعبون يتسلون، إنما مع رغبة في الربح، الربح بأي ثمن، لعبة بعد لعبة.

كانت "كابستان" تمسح بنظرها الجوار دون كلل. عَبَرَ الساحة شاب صفف شعره ضفائر طويلة حتى صار كمن يعتمر أخطبوطًا نائمًا، شاب آخر مر بالقرب منها، هذا الأخير كان يرتدي خوذة خضراء وبنطلون برمودة.

انتصبت "كابستان" واقفة؛ إنه "السنجاب"، كان منحنيًا فوق الدراجة، الدراجة التي كان يفترض بـ"ميرلو" مراقبتها، لا يهم، سنعثر عليه، عليهم الآن ألا يتركوه يضيع منهم ثانية. توجه الشاب نحو بناء الشرطة الجنائية.

تناولت "كابستان" الميكروفون الملحق بسماعات التليفون وأعلمت "إيفرار":

- الفتى الذي طاردناه مع "توريز".. إنه يتقدم نحوك، سيصل من جهة اليسار؛ خوذة خضراء، يجب تتبعه هو أيضًا، هو هدفنا الأول.

بالكاد اختفى الفتى عن مجال رؤيتها، حتى اهتز تليفون "كابستان" الثاني، فتحت الخط، كانت "روزيير":

- ألو "آن"؟ لن تحزري أبدًا ماذا اكتشفنا؟

- اسم "بورون" موجود على قائمة المسافرين؟

- كلا، أعني لا أدري، فنحن لم نره بعد، لكن لدينا ما هو أفضل: في الثاني من يونيو 2005، حكمت محكمة ميامي على الشركة البحرية بدفع تعويضات للناجين من حادثة الغرق، وللاحتفال بذلك، نظمت جمعية الغرقى الفرنسية سهرة في منطقة "بولونيا"، ولدينا تسجيل فيديو للاحتفال، قابلنا ذلك مع الأبحاث التي قام بها "توريز" حول جدول مواعيد "ماري سوزيل"، وربما كان تاريخ تلك السهرة يوافق الليلة التي قُتلت فيها.

- علينا مشاهدة التسجيل، ليس لدينا جهاز فيديو في القسم، أم هل يمكن.

فردت "روزيير" بمتعة كبيرة:

- بالطبع لدينا، جهاز فيديو وقارىء "دي في دي" و"بلو راي" وشاشة مسطحة، حتى أنني اتصلت بشركة "قنالسات" لنحصل على قنوات مشفرة، هل ننتظرك؟

- نعم، سأتصل بـ"أورسيني" لأترك له مكاني ثم أحضر.

أغلقت "كابستان" المكالمة، وتصفحت فهرس الأسماء بحثًا عن رقم "أورسيني"، كانت تبتسم بلا مبالاة، مفكرة هل حقًا سيشتركون بـ"قنالسات"؟

استغل "داكس" فترة استراحته من المراقبة ليمر على البيت ويأخذ دُشًّا، بعد أن ارتدى ملابسه، غطس أصابعه في وعاء مثبت الشعر القوي، فرك يديه لتوزيع الجل، ثم راح يضعها بتناغم على شعره المبلل، سرح خصله القصيرة على الجانب، ثم أنهى المشهد بتسوية قصّته باصابع يديه، ابتسم لصورته في مرآة "الخزانة - الصيدلية"، مسرورًا من النتيجة، ثم غسل يديه مطولًا؛ كانت أمه دائمًا تقول له: "لكي تكسب قلب فتاة نظيفة، يجب أن تكون يداك نظيفتين"، ويدا "داكس" دائمًا نظيفة، واليوم الذي ستمر فيه الفتاة النظيفة، لن يكون عليه البحث عن مغسلة.

نشف يديه بعناية ببشكيره ناصع البياض، ثم رش على نفسه بعضًا من الكولونيا، كلمسة أخيرة لتبرجه؛ أحب "داكس" أن تكون رائحته جميلة، ولذلك فهو لا يفهم الرجال مثل بعض من كان يراقبهم، فالدراجة تتسبب بالتعرق، ولا بد أن لهذا الشاب - مع ذلك - علاقات غرامية رفيعة، فقد دخل بناء الإدارة العامة للشرطة في الرقم الـ36، دون أن يبرز أوراقه؛ إنه واحد من أهل البيت.

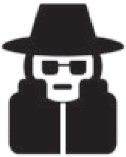

40

الجواب في شريط الفيديو.

ضغطت "كابستان" زر التشغيل، ظهرت على الشاشة البيضاء بعض الخطوط السوداء، ثم بعض الألوان وأخيرًا استقرت الصورة.

كان "لوبروتون" و"روزيير" جالسين على الكنبة صامتين، ارتفع صوت الشريط وهو يدور في مشغل الفيديو واضحًا.

أُقيم حفل إحياء ذكرى الحادثة في الهواء الطلق في ساحة واسعة، وقد تم تجهيز منصة خشبية تعلوها شاشة ضخمة. على الجانبين، امتدت موائد طويلة، تلك التي على اليمين، كانت مخصصة للمقاعد، أما على اليسار فكانت للبوفيه المفتوح، وقد صُفَّت عليها بعناية صحون الكرتون المليئة بالكيك. على طرف إحدى الطاولات، وُضعت الكؤوس البلاستيك وهي تحيط بزجاجات النبيذ وزجاجات الصودا وعلب عصير الفواكه، لم تكن في الترتيبات أناقة موائد قصر "الإيليزيه" في الهواء الطلق،

لكن السماء كانت لا تزال زرقاء رغم تأخر الوقت، وكان المدعوون يسلمون على بعضهم البعض بحرارة.

نقر رجل يرتدي بدلة على الميكروفون فوق المنصة، تلفظ ببضع كلمات وهو ينظر إلى تقنيِّ الصوت بعين متحيرة، اخترق الجو صفير حاد، فالتفت الحضور المتوزعون في مجموعات صغيرة نحو المنصة في الوقت نفسه.

وُضعت الكاميرا مقابل المنصة على وضع التصوير الثابت، وفي مداها كان يمكن رؤية الساحة، ثم المنصة والشاشة العملاقة. احمر وجه الرجل ذو البدلة، بدأ يتكلم وهو منحنٍ على الميكروفون، ولم يسمع صوته إلا في الكلمة الثالثة أو الرابعة: "... أصدقائي الأعزاء، ليكن هذا العام، عام الذكرى...".

هتفت "روزيير":

- هناك! في الزاوية تحت على اليسار، العجوز بالجدائل!

كانت تلك فعلًا "ماري سوزيل"، لكن لا أثر حتى الآن لـ"بورون" مما أراح "كابستان".

لم تكن ترغب كثيراً في رؤية جثة المدير الضخمة والرخوة بعض الشيء، كانت منفعلة وهي تتفرس في الحضور، آملة بالأخص ألا تعثر على شيء، ثم وفجأة، لفتت انتباهها ملامح رجل آخر، ملامح أكثر قسوة، أشارت إليه بإصبعها على الشاشة ونظرت إلى "روزيير" و"لوبروتون"، انتظروا حتى التفت الرجل لتأكيد شخصيته، لم يكن في ذلك شك.

قال "لوبروتون":

- إنه "فالنكور".

فأردفت "روزيير":

- ماذا يفعل هنا؟ انظرا!

"ماري سوزيل" تقترب من "فالنكور" وتسلم عليه وتظل إلى جانبه. تبادلا بضع كلمات مع إبقاء عينيهما على الرجل في المنصة: "... بعد أشهر من البحث، تمكنت اللجنة التي أمثلها من إخراج فيلم يكرِّم ذكرى ضحايا غرق الـ..." وقف "فالنكور"، لم يعد ينصت إلى جارته. "... وفيما يتم عرض الصور، سأكون ممتنًا لكم بالتزام الصمت التام...".

رنت أولى نغمات أغنية "إيتوال دو سينما"، ثم بدأت صور وجوه تظهر على الشاشة بتسلسل متوالٍ، بينما الرجل في البدلة يتلو الأسماء.

قالت "روزيير" مغمغمة:

- يا له من أسلوب مبتذل!

بالكاد التفت "لوبروتون" إلى تعليقها، بينما عادت "كابستان" إلى التحديق في الزاوية اليسارية للتليفزيون، كان جسم "فالنكور" متوترًا كالقوس المشدودة.

أخرجت "سوزيل" منديلًا وبدأت تجفف عينيها، لكنها توقفت فجأة عن فعل ذلك وهي تنظر إلى الشاشة الكبيرة، ثم إلى "فالنكور"، ثم إلى الشاشة من جديد و"فالنكور"، استمر فيلم الذكرى بضع ثوانٍ أخرى ثم انتهى العرض بخلفية سوداء أخيرة.

التفتت "ماري" كليةً نحو المأمور وراحت تكلمه بانفعال، قام بحركة إنكار ووضع يدًا مواسية إنما ذات سلطة على كتف السيدة العجوز، رضخت "ماري" إنما كان ظاهرًا أنها غير مقتنعة، ومع ذلك، تركت "فالنكور" يقودها إلى البوفيه، ثم خرجا من إطار الصورة، بعدها ببرهة انتهى شريط الفيديو.

قالت "كابستان" وهي تضغط على زر التوقف في التليفزيون:

- إنني لأتساءل: ماذا عساها أن تقول له حتى تضايق بهذا القدر؟

أخرجت الشريط من الجهاز ووضعته في علبته البلاستيكية.

بفضل شريط الفيديو الوحيد هذا، حصلوا على عدة وقائع عددتها المفتشة: "فالنكور" كان عضوًا في المجموعة تمامًا مثل "ماري سوزيل"، وهذا يعني أنهما قد سافرا معًا على متن "كي لاين إكسبرس"، القارب الذي كان "يان جينان" يعمل عليه، حتمًا أن الثلاثة التقوا ببعضهم، والأهم من هذا أن "سوزيل" قد التقت بالمأمور قبل وفاتها بوقت قصير.

أشارت "روزيير":

- أعتقد أن بوسعنا إسقاط "بورون" من حساباتنا، فلدينا ضابط آخر.

بضمير مفعم بالأمل وبلهفة بالكاد نجحت في إخفائها، أومأت "كابستان" موافقة، ثم انطلقت كالسهم باتجاه الملفات المكدسة على مكتبها، وعادت إلى مكانها على الكنبة، ثم نشرت محتويات ملف "جينان" على الطاولة أمامها، انحنت الرؤوس الثلاثة في اتساق لتتبع التوقيعات، ليس هناك اسم "فالنكور".

استنتجت "كابستان":

- لكنه كان موجودًا وقت "ماري سوزيل"، وكـذلك وقـت "مائيـل جينـان"، لـيس في ذلك ريب، لقد رأيناه هناك.

قالت "روزيير" بشماتة:

- لقد أمسكنا بالجاني!

فأسرع "لوبروتون" إلى التخفيف من اندفاعتها:

- كلا، كلا، بهدوء، كان يعمل على قضية وكان يعرف على الأقل الضحايا، من هنا إلى أن نستنتج أنه هو من ارتكب الجرائم...

فقاطعته "كابستان":

- انتظر يا "لوي بابتيست"، كان يعرف الضحية، والأهم من هذا أنه لم يُشر إلى هذا الأمر، لا في الملف وقتئذ ولا خلال زيارتي له، بل إنه أكد أنه لم يلتقِ بها إلا ميتـة، لا بـد أن صاحبنا يشرد كثيرًا.

رجع "لوبروتـون" إلى الخلـف مندسًـا في كرسـيه وعقـد رجليـه، لم يكـن الرائـد مـن الرجال الذين يأخذهم التسرع.

- ممكن، لا بد من معرفة سبب هذا الصمت، تمامًا كما يجب...

فقالت "روزيير" مستعجبة:

- ماذا جرى لك.. أنتم جماعـة إدارة التفتـيش! نقـول لـك إنـه شرطـي فاسـد حتـى النخاع!

فأجابها "لوبروتون" مبديًا سروره رغمًا عنه:

- تمام، تمام، لا تغضبي يا "إيفا"، ماذا نعمل الآن إذًا؟

قالت "كابستان" مؤكدة:

- سنحول المراقبة على "فالنكور"، المواصفات نفسها، الأساليب نفسها.

قالت "روزيير" سريعًا:

- بوسعنا أن نقوم بزيارة مجاملة، مع ما لدينا من معلومات حتى الآن، ما رأيكم؟

فكبحتها المفتشة:

- كلا، ليس بهذه السرعة؛ لا نملك عناصر إدانة كفاية ضده حتى نستجوبه.

- هل تمزحين؟

- لا، ليس لدينا أي دليل رسمي: لا حمض نووي، لا بصمات، فقط بعض المصادفات.

- سبق أن استجوبنا أناسًا لأسباب أقل من هذه...

- نعم، لكننا هنا نتكلم عن السيد "فالنكور"، صاحب النياشين البراقة، لا نستطيع مواجهته وجهًا لوجه، وإلا سينتهي بنا الأمر كما حدث مع "ريفرني"، يلزمنا الدافع والحد الأدنى من التحضير، يجب أن نعرف كل شيء عن المأمور قبل مهاجمته.

أمر جيد أن تعرف القاتل، إنما يبقى عليك الإمساك به ودفعه للاعتراف.

41

ساد جو من النشاط الحماسي في قسم شرطة "الأبريـاء"، كـان العمـل في التحقيـق جـار على قدم وساق.

رافعًا قدميه فوق المكتب، وضع "ميرلـو" بطنـه بـين ذراعـي كـرسي متحـرك، أمسـك بسماعة التليفون في يد وبكأس من الويسكي في اليد الأخرى، متجسدًا إحدى شخصـيات مسلسل "مارلو" البوليسي الأرستقراطيين، وهو يتجادل مع كل موظفي المـوارد البشريـة في الإدارة العامة للشرطة الجنائية.

- نعم يا صديقي، هـو نفسـه "فـالنكور" الـذي يـرأس إدارة الفـرق المركزيـة! أنـا لا أتعبك لأجـل سـمكة صـغيرة. امـمـم.. المطلـوب عـادة: صـور الوالـدين، الـزواج، الأولاد، الشهادات الدراسية، مناصبه الماضية، ماذا يفطر صباحًا وماركة ملابسه الداخلية.

ثم أضاف بقهقهة عالية كمن تقابل صدفة مع صديق قديم له:

- لا نريد أن يبقى أي شئ خفي، فهمتني؟ تمام، وسأسدد هذا بزجاجة مـن كونيـاك نابوليون.

ثبت "لوبروتون" على الحائط ورقة كبيرة عليها جدول مناوبات عملية المراقبة.

في هـذه السـاعة، "إيفـرار" تراقـب "السـنجاب"، و"أورسـيني" يتكفـل بالمـأمور "فالنكور"، ثم فك سماعات تليفونـه المتشـابكة اسـتعدادًا للبـدء بجولتـه الخاصـة مـن المكالمات، وطرح السؤال الهام: "هل تعرف هذا الرجـل خـارج منصبه كمحقـق؟"، ثـم خرج بهدوء إلى البلكون، ووقف أمام أسطح باريس وعيونه تنظر إلى البعيد.

أما "لوويتز"، فقد نزل مع "روزيير" إلى الجراج، وكانت قد طلبت سيارة أكثر ملاءمة لمهام التخفي من سيارة فرقة "اللاجونا" الصفراء، ثـم صـعدت النقيـب تاركـة "لـوويتز" حيث هو لترويض لعبته الجديدة.

"داكس"، الذي عاد إلى القسم بعد حمامه المنعش، وضـع أنفـه عـلى بعـد عشريـن سنتيمترًا من شاشته وأصابعه عـلى لوحـة المفـاتيح، كـان يحـدق في "كابسـتان" بتركيـز منتظرًا الإملاء.

كانت المفتشة تعي أن من مصلحتها اختيار كلماتها بعناية:

- "ميرلو" تكفل بسجله المدني وسيرته الذاتية، مـا أريـده منـك إذًا هـو أن تنـبش لي سجلات مكالماته التليفونية، الثابت والمحمول.

ثم أضافت وهي تعطيه قصاصة ورق عليها أرقام تليفونات "مائيل جينان":

- نحن نبحث عن سجل مكالمات بهذه الأرقام، أريد منك أيضًا سجلًا بالعمليات على بطاقته الائتمانية، خاصة فيما يتعلق بشراء سكين.

أبدت "روزيير" ملاحظة وهي تقترب وبيدها سجل الرحلة:

- سلاح الجريمة! غالبًا ما يتم شرائه نقدًا.

- هذا صحيح، إنما علينا المحاولة لعل وعسى.

فقال "داكس" مقترحًا:

- هل تريدينني أن أبحث عن نشاطه على الإنترنت أيضًا؟

تفتحت أسارير "روزيير" لكلام "داكس":

- هل تعتقد أن هذا السيد - بسحنة الهندي الأحمر تلك - لديه صفحة فيسبوك؟ وحساب على تويتر يسجل عليها مزاجه اليومي؟

تجاهلت "كابستان" سخرية "روزيير" المعتادة:

- نعم، يهمني أن أعرف بصماته على الإنترنت. اذهب حيثما يبدو الأمر مهمًا لك يا "داكس"، لكن ليس لدينا الكثير من الوقت.

رفع الملازم إصبعين إلى جبينه تحيةً للمفتشة، ثم توجه نحو جهازه بابتسامة كشفت عن أسنانه.

بعدها بساعتين، نادى الجميع للحضور إليه وهو يتصبب عرقًا:

- حصلت على كل شيء!

تجمع كلٌ من "كابستان"، و"لوبروتون"، و"روزيير"، و"إيفرار" حول مكتبه.

كانت كومة من الأوراق المطبوعة المرصوصة بعناية موضوعة إلى جانب ذلك "الهَاكر"، أخذ الورقة الأولى وناولها لـ"كابستان" قبل أن يواصل مناولتها البقية:

- كشف بسجل بطاقته لدى متجر "فناك"، بطاقة "إيكيا"، بطاقة متاجر "سيفورا".

كانت المفتشة تتناول الأوراق بارتباك، وراحت تلقي نظرة سريعة على البيانات التي لا تمثل أية فائدة تذكر.

توجهت "روزيير" بالكلام إلى الملازم بلهجة آسفة أكثر منها ساخرة:

- ولكن يا "داكس"، هل تعتقد أن المأمور يملك بطاقة لمتجر "سيفورا"؟

- ولم لا؟ أنا عندي بطاقة "سيفورا".

- لكن "كابستان" طلبت منك سجل بطاقته الائتمانية، وليس بطاقات الولاء للمتاجر.

- آه، لم أسمعها تقول "ائتمانية"، مع ذلك فقد وجدت معلومات كثيرة عن "فالنكور"، انظروا.

- نعم غير أنك – بالطبع - لم تعثر على الرجل المناسب، أنت عثرت على الاسم، ولكن لامرأة وليس الرجل الذي نريده.

استمر "داكس" - عابسًا - بمناولة "كابستان" الأوراق، واستمرت هي بالنظر إليها.

وضعت يدها على ذراع "روزيير" مقاطعةً:

- انتظري، انتظري.. على سجل المكالمات هنا، هناك فعلًا رقم "مائيل".. اللقب "فالنكور"، والاسم "جابرييل"؛ الاسم نفسه على بطاقات "ديكاتلون".. الأمر لا يتعلق بالأب، بل بالابن! "داكس"، هل بحثت على فيسبوك عن حساب باسم "فالنكور"؟

حرك الملازم فأرته ونقر نقرةً، فظهرت الصفحة على كامل الشاشة، فصاحت "كابستان" وهي تشد بقبضتها:

- نجحنا! انظروا إلى صورة البروفايل.

فقال "داكس":

- نعم، معك حق، لم أتعرف عليه بدون خوذته، لكنه فتى الـ36!

أخيرًا، تمكنوا من تحديد هوية "السنجاب"؛ اسمه "جابرييل فالنكور"، وهو ابن المأمور "ألكسندر فالنكور" رئيس إدارة الفرق المركزية للشرطة الجنائية، المشتبه به في ثلاث قضايا قتل، وهذا الابن قد اتصل بـ"مائيل جينان" ليلة مقتلها.

هنأت "كابستان" "داكس" وهي لا تخفي سعادتها:

- عمل رائع "داكس"!

بقوا لبضع دقائق مسمرين بجانب الكمبيوتر، مندهشين وفرحين، بينما كان "بيلـو" يصفق بذيله بهدوء؛ لقد أدت طرق "داكس" الفريدة في البحث إلى اكتشاف عظيم.

كان النهار يقترب من نهايتـه، والـدور عـلى "أورسـيني" بمراقبـة المـأمور، وقـد عـاد "لـوويتز" إلى بيتـه، فـيما ظـل بـاقي أعضـاء الفريـق في القسـم يسـتمتعون باسـتراحة مستحقة بجدارة.

"ميرلو" قبل أن يتولى المناوبة في مراقبة الابن، كان قد تلقى جوابًا مـن إدارة المـوارد البشرية، وفيه أن "فالنكور" كان وقتها أرملًا وأبًا لولد، قد حضر دورة تدريبية لسنتين في ميامي في بداية عمله، ثم طلب إجازة بدون راتب لكي يبقى في فلوريـدا مـع عائلتـه، لا بد أن السفينة التي غرقت كانت على طريق عودته إلى فرنسا.

في هــذه الأثنــاء، اتصــل "تــوريز" لــيعلمهم بخروجــه مــن المستشــفى، ولم تــنجح "كابستان" في ردعه عن المشاركة في مناوبات المراقبة، رسميًا هو في إجازة مرضـية، لكـن الحديث عن خرق النظام الداخلي في هذه الفرقة أمر يدعو للسخرية، أما الحديث مـع "توريز" بموضوع التأمينات، فالأمر يمس حدود العبثية.

وعليه، سيكون مع المفتشة في مناوبة الغد بشارع "بو مارشيه"، أمام عمارة المـأمور، وتعهد "توريز" بإحضار الأومليت المكسيكي للتغذية.

وقفت "آن كابسـتان" مسـتندة إلى واحـدة مـن موبيليـا المطـبخ الجديـدة، تراقـب زملاءها الذين أغرتهم شمس الغروب بالخروج إلى البلكون.

"إيفرار" و"داكس" كانا يتقاسمان كيسًا من حلوى "الهاريبو" وهما يدردشان بهدوء، و"روزيير" قد جلست إلى الطاولة الصغيرة المستديرة المصنوعة من الحديد المشغول، كانت تكتب على ورق، ثم تكدسه في حقيبتها اليدوية دون اهتمام، وعند قدميها، كان "بيلو" يتحقق من كل ورقة بشمشمة من أنفه دون أن يراه أحد.

"لوبروتون" على كرسيه الطويل، بدا مغتاظًا من ذبابة صغيرة حطت على ياقت جاكيتته، كان على وشك ضربها بإصبعه، لكنه امتنع عن ذلك. بدايةً، ظنت "كابستان" أنه لا يرغب بسحقها حتى لا يلوث ياقته، لكن الرائد لم يشأ حتى أن ينفخ عليها لتطير؛ الواقع أنه لم يكن يرغب بإيذاء الحشرة، ثم رأته "كابستان" يمرر يدًا حذرة تحت جاكيته، ثم يطبطب على القماش من الداخل لدفع الذبابة الصغيرة إلى الحركة.

طارت الذبابة، فتمدد "لوبروتون" راضيًا على كرسيه، مادًا ساقيه الطويلتين أمامه؛ منهج هذا الرجل في الحلول السلمية كان يطال كل شيء بلا استثناء، حتى الحشرات.

مع مرور الأيام، زاد شعور "كابستان" بقيمة فريقها أكثر وأكثر، الأشخاص المتواجدون على كل حال، إذ يبدو أنهم العناصر التي التحقت بالعمل في فرقتها خفيفة الظل.

⊙⊙

ألقى "لوبروتون" نظرة على ساعته، إنها الثامنة مساء، تمدد ونجح في النهوض عن الكرسي الطويل برشاقة، ثم اقترح أن يطلب بيتزا، وافق الجميع

وطلبوا اثنتين بالموتزاريلا والمشروم وواحدة نابوليتانا وواحدة أربعة أنواع من الجبنة زيـادة، وثلاث عبوات آيس كريم بطعم الفانيليا والمكسرات.

بعد الطعام، كانت علب البيتزا الفارغة مبعثرة على الطاولة، وقد مـدوا عـلى الأرض لفافة من ورق التنشيف، استخدموها صحونًا.

لمَّ "داكس" اللفافة، قبل أن ينهض ويذهب لجلب الآيس كريم من الثلاجـة، وفجـأةً تذكرت "كابستان" أن اليوم الخمـيس، وأن لـديهم جهـاز تليفزيـون، فصـاحت بـانشراح وهي تربت على جهاز التحكم:

- ما رأيكم بمشاهدة "المحققة لورا فلام"، الموسم الثالث؟

حدجتها "روزيير" بنظرة من زاوية عينها من كنبتها وهي تمنح - بحركات رقيقة - كلبهـا حواف البيتزا المقرمشة؛ لم تستطع إدراك ما إن كانت "كابستان" تسخر باقتراحها ذلك أم لا، لكن هذه الأخيرة، ثنت ساقيها تحتها فوق الكنبة وهـي مركـزة عـلى الشاشـة، ثـم التفتـت لوهلة نحو "روزيير":

- لست أقول هذا للإطراء عليك، لكنني أعشق مسلسلك، أعتقد أنني فوتُّ ثلاث أو أربع حلقات فقط على أعلى تقدير.

للمرة الأولى، بقيت "روزيير" سـاكنة، فالمؤلفـة كانـت تحـتفظ بمجموعـة مـن الأجوبـة اللاذعة الجاهزة لكثرة ما تتعرض له من انتقادات حول مسلسلها، إنمـا لم يكـن بجعبتهـا أي عبارة شكر، لعدم حاجتها إليها، ولم يسبق لزميل لها على الإطلاق أن اعترف بهذه البسـاطة أنه يتابع "لورا فلام".

مع ذلك، وشيئًا فشيئًا، سحب الجميع كرسيه أو كنبته أو مقعده حتى تجمعوا أمام الشاشة، شدت "روزيير" بقوة أكثر على كلبها الجالس على ركبها وهي ملتزمة الصمت دائمًا.

عندما بدأت موسيقى البداية، عوى "بيلو" بفرح كمعجب رَوَّضَتْه صاحبته جيدًا، وبينما كان اسم "روزيير" يظهر على الشاشة، توجه "داكس" إليها ووشوشها بصوت غطى على الموسيقى:

- في الموسم التالي ستتحدثين عنا، أليس كذلك؟

شعرت "كابستان" بتليفونها يهتز، فابتعدت عنهم لتجيب على المكالمة، ثم عادت للجلوس في ظرف ثانيتين.

لم يكن المسلسل قد بدأ بعد، فاستغل "لوبروتون" الوقت لينحني نحوها ويسأل:

- هل من جديد؟

- "ميرلو" أضاع "السنجاب".

- هذا ليس بالأمر الخطير، فنحن نعرف أين نجده الآن، من ناحية أخرى بوسعنا ربما التحدث إليه، أليس كذلك؟

هزت المفتشة رأسها بهدوء؛ كانت قد خطرت لها فكرة.

- نعم، وإني أتساءل إن لم نكن سنقوم باعتقاله أيضًا.

⊙⊙

وقـف "لـوويتز" في جراجـه النظيـف مرتـديًا طقـم الميكـانيكي فـوق ملابسـه، أغلـق السوستة، ثم تناول مفتاح العزم مـن العـدة المصـفوفة عـلى الطاولـة، اقـترب مـن رافعـة السيارات وتفحص بشـغف التحفـة المرفوعـة فوقـه: عجلتـان توجيهيتـان هيـدروليكيتان، محوران موَجِّهان، ومكبح بطول ثلاثة أمتار ونصف، إنها جوهرة في القـدرة عـلى المنـاورة، أحس "لوويتز" بقشعريرة فرح مسبق تداعب ظهره، فقط المحـرك - وهـو طـراز "(VM HR 494 HT3) توربو ديزل"، سعة 2800 سنتيمتر مكعب - بـدا لـه متواضـعًا، إنمـا كـان يكفي ضخ المزيد من البنزين للتغلب على المشكلة.

42

كان الراديو يخشخش داخل السيارة، قاذفًا أحاديث مختلفة بوتيرة متقطعة.

"توريز" الخارج حديثًا من المستشفى كان قد أزال الضماد عن رأسه لكنه أبقى ذراعه اليمنى ملفوفة.

كان الملازم يحاول البحث عن قناة في الراديو بيده اليسار، جالسًا على طرف المقعد بجانب السائق، بينما وضعت "كابستان" أصابعها على أسفل المقود، وهي تحاول جاهدة إغفال حشرجات الراديو للتركيز على مراقبة مدخل عمارة "فالنكور" على الرصيف المقابل لجادة "بو مارشيه".

كان الحادث الذي كسر حلقة النحس التي لطالما أحاطت بالملازم "توريز"، قد وَلَّدَ لديه عودة متينة في التفاني في العمل، وهذا الراديو الذي طالب به مع سارينات الشرطة الجديدة، كان الدليل الأكثر ضجيجًا على ذلك، كان مستبسلًا في سبيل التقاط موجة بث الشرطة.

أمام زجاج السيارة، كانت أفواج لا تنتهي من المارة تروح وتجيء، أناس سرعان ما يتلوهم أناس آخرون، وكانت حركة المشاة تحجب مدخل العمارة، مُجبِرةً "كابستان" على النظر من جديد، إن مهمة مراقبة هذه الشارع المكتظ لأمر مرهق.

غطت رائحة الأومليت المكسيكي بالفلفل الأسود على روائح العفونة والتبغ البارد المعششة في البيجو 306، لكن مراقبتهم لليوم لم تأت بشيء جديد حول المأمور، و"السنجاب" لم يحضر بعد لرؤية أبيه.

كان عليهم التحلي بالصبر في انتظار أن يرتكب "فالنكور" خطأً حقيقيًا، إذ عدا عن الفيديو، لم يكن لديهم أي دليل قاطع بما فيه الكفاية ليدفعوه خارج تحصيناته، إنهم بحاجة لشيء أكثر إحكامًا لإجباره على الاعتراف.

في عصر تحاليل الحمض النووي حيث يقوم الدليل العلمي بكل شيء، كانت "كابستان" تراهن على الحصول على دليل الإثبات على الطريقة القديمة؛ أي بالاعتراف التفصيلي، مقاطعة مختلف التفاصيل، فالشعور بالندم، فتسارع الكلمات على الشفتين بعد الإحساس بالراحة النفسية، ثم المشهد الأخير في الرواية حين تتراخى عضلات المشتبه به ويوقِّع المتهم على سلامه الداخلي الجديد، عندها بوسع الضابط الاستمتاع بموسيقى خربشة القلم فوق الورق، وفي حالة "فالنكور"، القضية لن تكون بتلك السهولة؛ إنهم بحاجة إلى مزيد من التعبئة.

كان سجل الرحلة الذي تركه البحّار موضوعًا على ساقي "كابستان" وهو مفتوحٌ على الصفحات البيضاء في آخره، كانت قد قرأته أولًا بتمعن، ثم تصفحته وقرأته من جديد، كان يروي حكاية توهان رجل مصدوم

يبحث عمَّا يخفف به من آلامه، أحيانًا كان يصف بعض المشاهد من حادثة الغرق، ويتبع وصفه موجة مطولة من التأثر العاطفي، إنما ليس في تلك القصص أي شيء قد يدين "فالنكور"، ليس هناك أي تفصيل قد يؤثر عليه، لا بد من البحث عن مجريات الأمور في مكان آخر.

قال "توريز" وهو لا يزال يعالج موجات الراديو:

- استقبالنا سيىء، لكنني أظن أنني وجدتها.. هنا.

- نعم، هذا طلب للمطار، أنت على تردد سيارات الأجرة.

تمتم "توريز" متذمرًا وانكب من جديد على بحثه، وبانحناءته تلك، برز منبت شعره الأسود الكثيف، وانتبهت "كابستان" إلى أن قَصته لم تكن مستوية؛ كان شعره على الجانب الأيمن أقصر بسنتيمترين، وكان يصعد متدرجًا من رقبته للأعلى بدرجات خفيفة، فخطر ببال المفتشة العمامة التي كان يلبسها في المستشفى.

- هل حلقوا لك شعرك بالموسى في المستشفى؟

مرر "توريز" يدًا مربعة على قفا رأسه، دون أن يرفعها عن الراديو:

- كلا، هذا ابني؛ يريد أن يصبح حلاقًا، فأنا أتركه يجرب فيَّ، أعطيه اثنين يورو، هذا يسرُّه وهو يتعلم في الوقت نفسه.

رقَّت "كابستان" لتلك التضحية الأبوية، وسألت:

- كم عمر ابنك؟

- تسع سنوات، أعلم أن القَصة ليست رائعة، إنما ماشي الحال، المسكين لديـه مقـص ذو أطراف مدورة.

تأملت "كابستان" للحظـات رأس المـلازم الأشـعث، ثـم عـادت إلى مراقبتهـا؛ كانـت تتمنى أن يقرر "فالنكور" الخروج من بيته.

ليلة أمس، بعد أن تسوق بعض الأشياء من البقال، ومرَّ عـلى المصـبغة لأخـذ بدلتـه الرسمية، عاد إلى بيته، ثم لا شيء، وفق تقرير "أورسيني"، في هذه الساعة المتـأخرة مـن العصر، لا تزال نافذة شقته مضاءة.

اهتز جوال "كابستان"؛ "لوويتز" كان على الخط:

- نعم أيها العميد؟

- لقد رأيت الفتى لتوي، إنه يدخل الشارع من ناحية "الباستيل"، هل نمسك به؟

ترددت "كابستان" مرة أخيرة، إذ لم تكن تملك ضد هذا الشاب سوى جنحة الهـروب من مسرح الجريمة أسفل بيـت "مائيـل جينـان"، وسـجلٍ بالمكالمـات التليفونيـة، الـذي حصلوا عليه بطريقة غير قانونية، لم يكن في ذلك ما يرجح كَفَّتَهَم حقيقةً.

- نعم، أوقفوه لكن بهدوء، استغلوا الفرصة وهـو يـربط دراجتـه، سـيكون منهمكًـا وقتها.

أغلقت الخط، والتفتت نحو "توريز" الذي راح يتفرس في وجهها محملقًا وهو يكـاد لا يصدق:

- هل طلبت لتوك من "لوويتز" أن يتكفل بتوقيف الفتى؟

- نعم.

كانت لهجة "كابستان" الحازمة تخفي وراءها توجسًا وقلقًا، فهي تعلم أنها قد تسرعت في إعطاء الأمر بعض الشيء، أشاحت بنظرها نحو الشارع.

المفتشة كانت دائمًا مع انتهاج سياسة الثقة مع الآخرين، وعدم الأخذ بالآراء المسبقة أو القيل والقال؛ إنما عندما تدق ساعة الحقيقة، فإن بعض المخاطر تبدو أكثر وضوحًا، فشخص مثل "لوويتز" قد يتسبب بأضرار كبيرة عندما يجلس وراء مقود سيارة ما.

أطل رأس "السنجاب" بخوذته الخضراء في رأس الشارع، ولن يطول الأمر حتى ترى "كابستان" بعينيها ما ستؤول إليه الأمور.

كانت الدراجة تسير بين صفوف السيارات، وعند الضوء الأحمر أخذ الفتى يمينه، ثم قفز بخفة فوق الرصيف متعديًا على الطريق المخصصة للمشاة، كان يتقدم بسرعة وخشيت المفتشة أن يصل باب العمارة قبل أن يتمكنوا من اعتراضه.

لم يكن "لوويتز" قد ظهر في مجال رؤيتها بعد، وبدا أن الفتى سيفلت من بين أيديهم من جديد، فاستعدت "كابستان" لأن تفتح بابها وتركض للحاق به عندما ظهر العميد في زاوية شارع "باستور فاجنر".

عند الإشارة المرورية، ظهرت إحدى سيارات كنس الشوارع خضراء اللون، وصفاراتها تعوي بأعلى صوتها، ثم انخرطت مباشرة بين السيارات.

داخل قمرة القيادة الزجاجية، كان "لوويتز" واقفًا بكل معنى الكلمة خلف المقـود، شاهد الدراجة، فانطلق مسرعًا ومحركه يهدر، وتباعدت السيارات في كل اتجاه مفسحةً له الطريق بينما، ارتفعت الأبواق وتشكلت أزمة سير مع مرور مركبة النظافة التي جُـن جنونها.

قفز "توريز" من مقعده وهو يصيح:

- هل هذا "لوويتز" في سيارة تنظيف مخلفات الكلاب؟

- هذه ليست سيارة تنظيف مخلفات الكلاب، هذه لتنظيف الشوراع بالماء و...

- ولكن كيف حصل عليها بحق السماء؟

- اشترتها له "روزيير" من الإنترنت، فالبلديات تبيع معداتها بعد انتهاء فترة خدمتها.

ازدادت "كابستان" توترًا، ففكرة استخدام سيارة ذات محـرك لـيس بـالقوي جـدًا ولا تلفت النظر كثيرًا، كانت تبدو – نظريًا - مناسـبة لمهـام المراقبـة وكـذلك لطبيعـة السـائق الأرعن، أمـا أن تسـير السـيارة بـأقصى سرعتهـا وسـط البلـد، فـإن عامـل الكـتمان يـتلاشى ومستوى الخطر يتضاعف.

سار "لوويتز" بخط متعرج بين السيارات، عندما انتبه إلى وجـود ممـر للمشـاة مـن العرض بحيث يسمح له الانتقـال إلى الرصـيف، فـالتف بعربتـه بزاويـة تسـعين درجـة، فسُمع صوت إطارات السيارة - المكنسة تزأر عـلى الأسـفلت، وبعـد انحرافـة المجنـون، تمكَّن من استعادة طريقه وانطلق مباشرة نحو هدفه.

كان المشاة المذهولون يلتصقون بالجدران للهروب من الفرشات الدائرية التي تكاد تلامس الأرض، وبدا أنها خدمة جديدة للشرطة مساهمةً في تنظيف الأرصفة.

كان "لوويتز" يتقدم والبهجة بادية على وجهه إنما بعين متيقظة وتركيز عال. زاد من سرعته مجددًا، ثم اضطر للقيام بمناورة مباغتة ليتجنب موقف باص، وبفعل السرعة، انخلعت شفرة التنظيف الخلفية من المركبة، وأصبحت مثل ثعبان ممسوك من ذيله، راحت تطير في الهواء بطرف خرطومها وهي تضرب عشوائيًا الأعمدة وواجهات المحلات، انبطح رجل أرضًا لينقذ رأسه من المقصلة.

فوق المركبة، وإلى جانب سارينات الشرطة البرتقالية، أضاف صاحبنا سارينات الشرطة الجنائية الزرقاء بنغمتين، لتنبيه الغافلين من المارة الذين كانوا يبتعدون مفسحين لها الطريق، أصبحت الدراجة على مسافة بضعة أمتار منه فقط.

صاح "توريز" بسخط:

- ولكن، هذه سارينات الشرطة خاصتي!

فأجابت "كابستان" لتهدأته، دون أن تزيح بصرها عن "لوويتز":

- صحيح، إنما لا بأس من المشاركة من وقت لآخر.

إلى الأمام من سيارة البلدية بمئة متر تقريبًا، كانت إحدى المقاهي تحتل نصف الرصيف، ولن يجد "لوويتز" أبدًا المكان الكافي للمرور.

خشيت "كابستان" أن يحاول الملازم المرور عبره بكل بساطة، لكنه مال عنه في اللحظة الأخيرة، وانطلق فوق الممر المخصص للباصات، فكانت عجلاته اليسارية تجري على الشارع، بينما اليمنى لا تزال على الرصيف.

كانت سيارة كنس الشوارع تسير بميلان، مثل قارب سباق في وضع المناورة، وفرشاتها تدور في الهواء وهي ترش ما حولها بالماء.

داخل قمرته الأشبه بالهليكوبتر، كان "لوويتز" ممسكًا بمقوده بقوة وهو مائل بجسده بدوره كسائق دراجة نارية محترف في مضمار السباق، تجاوز عدَّاد وقوف للسيارات كان يمكن أن يعيق تقدمه، قبل أن يتمكن من إعادة الكناسة فوق الرصيف بدورة حازمة.

لم يغب الفتى على دراجته عن عيني "لوويتز" لحظة واحدة، كان يتقدم نحوه ملتهمًا الأمتار الأخيرة التي تفصله عنه.

تنبه الفتى إلى الضوضاء حوله، فاصطف جانبًا بانزلاقة سريعة، خفف "لوويتز" من سرعته باقترابه منه، فسقطت شفرة التنظيف أرضًا مجددًا منهكَةً، وراحت العربة تجرها خلفها وهي تقرقع مثل طقم حلل.

توقف العميد إلى جانب الدراجة تمامًا، وقفز من قمرته وقد عاد إليه رشده بمجرد أن وطأت قدماه الرصيف، تقدم نحو الفتى وأمسكه من ذراعه بلطف لم تكن لتتوقعه "كابستان".

تمت المهمة بنجاح؛ لا إصابات، لا أضرار، واستطاعت المفتشة أخيرًا أن تلتقط أنفاسها.

43

جالسًا في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة البيجو 306، كان "جابرييـل" يتسـاءل مـاذا فعـل حتى ينتهي به المطاف هنا، بالكاد تخلص من التوتر الذي شعر به في معدتـه، لقـد تخلـص من قلقه، لكنه الآن موقوف عند الشرطة ويشعر بالخوف؛ هذا بسبب هروبـه مـنهم المـرة الماضية، وقد شعر بالخجل.

بعد أن اختبأ ثلاثة أيام عند خطيبته "مانو"، تجرأ أخيرًا على الخروج، وجاء ليعـترف لأبيه بما حدث ويطلب نصيحته، ثم يتم القبض عليه، كان بوسـع أبيـه أن يسـاعده، أن يشرح له كيف عليه أن يتصرف، ما هي حقوقه، أحس "جابرييل" بالضياع وهـو وحـده في المقعد الخلفي.

نظـر عـبر الزجـاج إلى النـاس وهـم في أشـغالهم الحياتيـة، كـانوا يسـيرون بسرعـة، يتفحصون الواجهات أو يتوقفون في منتصف الرصيف لقراءة رسالة اهتز لها تليفـونهم للتو، أما هو فكان في سيارة شرطة.

حاول أن يهدأ، لكنه فكر بأبيه؛ كانت الشكوك تضرب رأسه مثلما تضرب الغربان على الزجاج، بدأت خَجُولةً ثم ازدادت إلحاحًا.

عاد يشعر بالتوتر في معدته مرة أخرى - أبوه.

⊙⊙

"جابرييل فالنكور" كان حقًا يشبه السنجاب كما وصفه "نولان": جميل، رشيق، لون شعره وبشرته وعيونه بني على أحمر، كانت نظرته ناعمة، لكنها اليوم تتقلب بين الذعر والانكسار، إنه جروٌ صغير، ولم يكن في نية "كابستان" الضغط عليه أو ترهيبه، في الوقت نفسه عليها الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، إن كانت تريد الحصول على كافة أجزاء الحكاية.

أشارت إليه بالجلوس إلى المقعد بجانب المدفئة، ورغم وزن الصبي الخفيف، صدر عن المقعد صوت طقطقة.

قدمت له "إيفرار" كوبًا من الشاي وعلى شفتيها ابتسامة مؤدبة، لعب "لوبروتون" بالنار بضع دقائق، ثم جاء وأخذ مكانه في المقعد الثاني.

"جابرييل" الذي سبق له أن زار الإدارة العامة للشرطة الجنائية في البناء رقم 36 حيث يعمل أبوه، كان يتفرس في الجدران المدهونة حديثًا والمرآة وشبشب "روزير" المذهب، ولسان حاله يقول أين وقعت بحق السماء!

بدأت "كابستان" - وهي جالسة على الكنبة - الاستجواب بهدوء ودون عدوانية، فسألته عن سبب وجوده في بيت "ماري سوزيل"، وعن هروبه بشكل خاص، فراح "جابرييل" يتلعثم بالأعذار:

- أعرف، ما كان عليَّ أبدًا أن أهرب هكذا، أنا آسف حقًا؛ لقد أخطأت. ذلك بسبب.. كنت أقوم ببعض التحريات الشخصية؛ أمي توفيت في حادثة غرق عام 1993، في خليج المكسيك، لم يكن عمري يتجاوز العامين وقتها، ولا أذكر أي شيء عن القصة، لم يبق شيء من ذكراها عدا هذه الصورة.

وأخرج من جاكيته الجينز صورة امرأة مغلفة بالبلاستيك.

- كل شيء ضاع في غرق السفينة.

بعد أن أراها لـ"كابستان"، أعاد الصورة بعناية إلى جيبه الداخلي، ثم ربت عليها براحة يده عبر قماش الجاكيت، ليتأكد أنها لن تتجعد.

إذًا، فزوجة "فالنكور" قد توفيت في حادثة الغرق، وتساءلت "كابستان" كيف حدث ذلك.

أكمل "جابرييل" روايته، دون أن ينظر إلى الضباط حواليه:

- أبي لم يعد يستطيع أن يحدثني عنها، فذلك يحزنه وأنا لا أريد إرغامه على ذلك، فطلبت قائمة الناجين الفرنسيين من الجمعية، وقررت أن أذهب للقائهم ومعي الصورة.

قدمت "إيفرار" السكرية على الطاولة، فأخذ الفتى منها أربع حبات دون وعي، ثم أكمل:

- لكي أسأل.. لا أدري عن ماذا، إن كان أحدهم يعرف أمي أو يذكر تفصيلًا ما أو شيئًا ما عنها، إن كانوا قد تعارفوا على متن السفينة، لهذا السبب ذهبت إلى "إيسي ليه مولينو"، فالسيدة "سوزيل" كانت على رأس القائمة، كنت أريد أيضًا لقاء البحَّار السيد "جينان"، كان الفرنسي الوحيد في الطاقم.

تفحص "جابرييل" قعر فنجانه، وشعره منسدل على عينيه.

كان الضباط الأربعة يحاولون بصعوبة ألا يقومون بضجة كبيرة حتى لا يفزعونه، فلم يكن يُسمع سوى صوت تنفسهم وهسيس النار في الموقد.

- رأيت في القائمة أن السيد "جينان" قد تُوفي بعد وقت قصير من عودتي، فاتصلت بزوجته ليلة.. يعني، أنتم تعرفون ماذا حدث.

الابن كان يحاول استجواب الضحايا، والأب لم يدعه يفعل ذلك.

بدأ خط أساسي يرتسم شيئًا فشيئًا في عقل "كابستان".

سألته "روزيير" محاولة ألا يكون سؤالها استفزازيًا:

- أنت وأبوك استطعتما النجاة، فماذا حدث مع أمك؟ هل ضاعا عن بعضهما أثناء غرق المركب؟

- نعم، نوعًا ما؛ ما حدث هو أن أبي طلب من أمي ألا تتحرك من مكانها، بينما ذهب لإحضاري من القمرة، وعندما عاد لم تكن أمي هناك، فظن أنها تمكنت من الصعود في أحد قوارب النجاة.

فسألت "إيفرار" غير مصدقة:

- أبواك كانا يتركانك وحيدًا في القمرة وعمرك سنتين؟

وكان في سؤالها ذاك ما أثار شيئًا دفينًا:

- نعم، لا أدري، هذا ما قاله لي أبي، لكن ربما أنا من فهم غلطًا.

فكرت "كابستان" بينها وبين نفسها، أن رجلًا بحرص "فالنكور" ما كان ليترك ابنه الصغير وحيدًا في القارب دون مراقبة، لقد كذب الأب على الشاب.

استند "جابرييل" إلى ظهر الكنبة ممسكًا بفنجان الشاي بكلتا يديه، لقد بلغ به الإرهاق مبلغه، وشعرت "كابستان" أن يومه لا يزال طويلًا، فقالت له:

- أنت تعرف أن علينا الاتصال بأبيك؟

- نعم.

- هل تفضل أن تقوم أنت بذلك؟

- نعم، بودي.

أحضرت "روزيير" من مكتبها جهاز التليفون البيج، الذي كانت شركة الاتصالات الفرنسية توزعه خلال التسعينيات، وسحبت السلك حتى يصل إلى الفتى.

أحبت "كابستان" التأكد من أمر ما، فسألته:

- هل يحدث أحيانًا أن تترك موبايلك؟ هل تتركه على سريرك عندما تدخل الحمام، أو على طاولة الصالون قبل أن تذهب إلى المطبخ؟

شد "جابرييل" حبل غطاء رأس سترته، وضرب الأرض بقدميه ضربًا ضعيفًا.

- نعم، أحيانًا.

كان الفتى يبذل كل جهده كي يتجاهل ما كانت ترمي إليه المفتشة بسؤالها.

أخذ التليفون من "روزيير"، وضعه على ركبته، ونظر إليه برهةً قبل أن يضغط على الأزرار.

44

رن الجرس معلنًا وصول "ألكسندر فالنكور"، كان عائدًا من احتفاليةٍ كرّمه فيها الحاكم وقلده وسام جوقة الشرف.

كان عناصر الفرقة ينتظرونه منذ ساعة، في صفوف مرصوصة، وكان جو من العصبية والرهبة يسود الصالة الرئيسية؛ كان الجميع منهمك في مراجعة دوره، و"كابستان" قد وضعت خطة تقوم على مبدأ سباق التتابع على مرحلتين، ثم عَدْوٌ سريع حتى خط النهاية.

كان عليهم النجاح في مهمتم ولا شيء سوى النجاح، لأنهم إن فشلوا أمام "فالنكور"، فسيطردون شر طردة من السلك، وسيخسرون حقهم في معاش التقاعد، كانوا مدركين أنهم يهاجمون شخصًا أقوى منهم.

بعد إلقاء نظرة أخيرة على الفريق، نهضت "كابستان" وذهبت تفتح الباب، وقف المأمور على عتبة الباب مرتديًا زيه الرسمي، تمعن فيها

بصمت - له أنف مقوس، وعيونه البنية الكبيرة تجعل وجهه شبيهًا بوجه نسر على جسد رياضي طويل وجاف.

توجهت "كابستان" إلى الأب بلهجة أبرد من التي تحدث بها مع الابن:

- صباح الخير سيدي المأمور.

بالكاد أشار "فالنكور" بحركة من ذقنه، ثم خطى داخل الشقة وقبعته تحت إبطه، ألقى نظرة متعجرفة على الصالون:

- لديكم مكاتب ظريفة، ماذا تفعلون هنا بالضبط؟ عمل إداري، أم تصنيف الأرشيفات، أم متابعة المخالفات المرورية؟

كان المأمور يلعب ورقة المسؤول الكبير الذي تنازل بزيارة موظفين من الدرجة العاشرة، فقررت "كابستان" أن تبدأ الهجوم فورًا ببرودة على طريقتها:

- تصنيف الأرشيفات نوعًا ما، مثلًا الأرشيف الخاص بكم، ففيه أمور تهمكم.

تجاهل "فالنكور" ما أرادت الإشارة إليه، ثم راح بلا مبالاة يتفحص المكان، لكنه رفض الدخول في مواجهة تافهة بالنسبة له.

كانت "كابستان" تتوقع أن تصدر عنه مثل ردة الفعل هذه، فسباق التتابع الذي انخرطا فيه كان حرب استنزاف، ولكسر رجل بمقام "فالنكور"، كانوا ينوون اتباع "خدعة السجادة" التقليدية معه: استجواب المشتبه به في غرفة، ثم نقله إلى غرفة أخرى بديكور مختلف

قليلًا ،حيث يقوم ضابط آخر بتلقي اعترافاته باستخدام اللـهجة المناسبة، وهي طريقة نفسية متدرجة لطالما أثبتت فعاليتها لدى الشرطة الجنائية.

واليوم، بين أيديهم منافس صعب ومتمرس على هذا النوع من التكتيك، فلا بد لهم من إضافة بعض البهارات، ولأجـل هـذا فلـدى الفرقـة السـلاح الخفـي الـذي سـيزعزع المتهم، إنه النحس وسوء الطالع؛ لديهم "توريز".

- الملازم "توريز" هو من سيستقبلك، بينما أنهي أنا الإجراءات مع ابنكم.

رمش "فالنكور" قليلًا، إنما دون أن يظهر ذلك على وجهه، وظل محافظًا على هيبته.

الرجل كان يسيطر على الصالون دون أن يأتي بحركة واحدة، وحولـه عنـاصر الفرقـة أشبه بالعمارات الصغيرة المتداعيـة المتنـاثرة حـول كاتدرائيـة "نـوتردام"، ولـكي تخـتصر "كابستان" تأثير السيطرة ذاك، أعطت "توريز" الإشارة بأن يدخل.

سرت قشعريرة مبالغ فيها في الغرفة، ثم تفرق أعضـاء الفرقـة في صـمت مهيـب مفسحين الطريق للمنحوس، وكأنهم الحراس المكلفين بحماية بوابة الرعب.

كان "توريز" يرتدي جاكيت من القطيفة البني الغامق، تغطي ذراعـه المربوطـة إلى عنقه، ولحيته قد طالت قليلًا مما جعل خديه يبدوان أكثر سمرة، وأتمت عيونه السوداء الصورة المرجوة للنحس المشؤوم، وبجدية لم يظهرها من قبل، تقدم الملازم مـن رئيسـه، ثم وقف على مسافة قريبة منه متعمدًا التعدي على حدود "فالنكور" الشخصية:

- من هنا سيدي المأمور، لو سمحتم.

ظل "فالنكور" متيبسًا مكانه صارمًا مترددًا؛ كان جليًا أنه يعاني من تضارب في الأفكار، فإن تبع الملازم، فهذا يعني أنه يرضخ لأوامر هذه الفرقة المثيرة للشفقة، في المقابل إن رفض أن يتبعه، فسيبدو أنه تراجع بتأثير من الخوف والخرافات، وفي الحالتين فمن شأن ذلك التأثير على مصداقيته... لقد وقع في الفخ، ثم بدا له أن الجُبن ستكون له آثار سيئة أكثر على المدى البعيد، فقرر أن يرافق "توريز" إلى مكتبه، مشيرًا إلى "كابستان" برأسه.

⦿⦿

فتح "توريز" الباب ودعا المأمور للدخول قبله، ثم قال دون أن يشير إلى كرسي بعينه:

- اجلس من فضلك.

وقف "فالنكور" ويداه وراء ظهره ممسكًا بقبعته الرسمية من حافتها، يتفحص الغرفة محاولًا ألا يلمس شيئًا، ففكر "توريز" بينه وبين نفسه: "إنه يصدق ما يقال عني من حكايات، والقرب مني يرعبه، مثله مثل أي رجل شرطة آخر".

من بين الكرسيين الموجودين في المكتب، اختار "فالنكور" الكرسي الأصعب وصولًا، وجلس فيه بأكبر قدر من الهدوء، فقال "توريز" مدعيًا الارتباك:

- هذا الكرسي كرسيَّ أنا، في الواقع.. كلا، لا تقم من فضلك؛ لا مشكلة البتة.

لكن المأمور لم يستطع أن يمنع نفسه من النهوض عن الكرسي بضعة سنتيمترات، ثم قاطعه "توريز" بقوله وهو يمر خلف مكتبه:

- لا أظن أن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا مع المفتشة "كابستان".

ثم انتظر بكل بساطة ماطًّا اللحظة، وكله ثقة أن جنون الارتياب لدى المأمور سيزداد رويدًا رويدًا، وكان "توريز" يعرف تأثيره على الناس، إذ كان ضباط الشرطة يفرون منه فرار من يعاني من رهاب الكلاب لدى سماعه نباحها، أكثرهم تهورًا كان يجرؤ على المشي أمامه بدل الركض.

أحيانًا، كان يحلو لبعض المغامرين أن يلعبوا دور مصارع الثيران فيقتربون منه وأجسادهم مشدودة شدًا ومتيقظين، لكن نظرة واحدة منه كانت كفيلة لتشتتهم أمامه، قد يلعب المجانين مع الموت، لكنهم لن يتحامقوا إلى درجة اللعب مع إنسان منحوس، فالنحس يحمل معه أسوأ التوقعات بالمرض والإفلاس والتعرض لحادث، أنت أو أقاربك. إنه ينسل انسلالًا على نار هادئة، ويتقدم مثل الغرغرينا على غير انتظار.

"فالنكور" كان متسمرًا في مكانه، في سكون تام، لقد لمس بالفعل العديد من الأشياء حوله وقد وقعت الفأس بالرأس، لكنه لم يشأ زيادة الطين بلّة، حتى تساءل "توريز" إن كان يؤثر عليه أم لا، فقد خفت حدة طالعه النحس منذ ما حدث له مع "كابستان"، وانكسرت قوقعته الاجتماعية وبات يتنفس بشكل أفضل، ولديه الآن زميلة يمكنه تناول القهوة معها، والتحدث عمّا فعله في عطلة نهاية الأسبوع - حلم عشرين عامًا من العمل في سلك الشرطة يتحقق.

"كابستان" كانت فخورة للغاية بنفسها، لكنها كانت دائمة الابتسام مع الآخرين ولطيفة مع فريقها، لم تكن تعامله كما يعامل مصارع

الثيران الثور، ليس معه على الأقل؛ "كابستان" كانت تعمل معه وقد وثقت به منذ أول جولة في سباق التتابع.

كح "فالنكور" وتنحنح كمن يريد استعادة السيطرة:

- حسنًا، أين ابني؟

- في مكتب مجاور، مع المفتشة "كابستان" والملازم "إيفرار"، إنهما يهتمان به جيـدًا، لا داعي للقلق.

فقال المأمور بإشارة من يده لنفي أي شبهة بأنه يبالغ في رعايته:

- ليس هذا ما أعنيه، ما الذي يفعله هنا؟ ما هي تهمته؟

فأجاب "توريز" وهو يفتح درجًا ويخرج منه مصنفًا:

- لا أدري، لست أنا المكلف بالنظر في تلك القضية.

ثم وضع المصنف على المكتب وتركه مغلقًا، ويده فوقه.

بدت من "فالنكور" حركة تململ وعدم ارتياح؛ كانت الأفكار السـوداء تفعـل فعلهـا في جدرانه الدفاعية، وأردف "توريز":

- كلا، أنا أعمل على قضية أخرى.

- اسمع، لست مهتمًا البتة بقضاياكم الصغيرة، أنا لم آتِ هنا للجلـوس! يكفـي الآن، إن كنتم تعتقدون أن لدي الوقت لأضيعه معكـم... خـذني إلى "جابرييـل" حـالًا، ولننـهِ الموضوع.

"فالنكور" كان يعتقد نفسه أعلى بكثير من أن يفرضوا عليه الانتظار، ووجوده مع "توريز" كان يزيد من شعوره بضرورة الرحيل وبسرعة.

كرر "توريز" كلامه بهدوء ثقيل:

- ما يهمني أنا هو جريمة قتل يعود تاريخها للعام 2005، وقد حصلنا على معلومات جديدة حولها.

علت وجه المأمور مسحة من التفاجؤ، اجتاحه الفضول، هو من أمضى سنوات طويلة جالسًا على قضايا ظل مرتكبوها دون عقاب، كان يريد أن يعرف ما الجديد الذي اكتشفوه.

ببطء كبير، فكَّ "توريز" الملف وسحب صورة ملونة دفعها للمأمور، كانت صورة "ماري سوزيل":

- هل تعرفها سيادتك؟

نظر إليه "فالنكور" نظرة خاطفة، وقال:

- طبعًا، فالتحقيق في القضية كان تحت إمرتي.

أومأ "توريز" برأسه بشدة مبديًا حزنًا كبيرًا وتأثرًا، ثم أخرج صورة ثانية، هذه المرة صورة صندوق بريد، أدار "توريز" الصورة نحو الرئيس، وأشار بسبابته المربعة إلى ملصق: "رجاء عدم وضع النشرات الدعائية" على الصورة.

- هذا النوع من الملصقات نجده عادة على أبواب المدافعين عن البيئة، أو المسافرين سفرًا طويلًا خارج البلد.

ثم هز رأسه مثنيًا على من يفعل ذلك قبل أن يضيف:

- ولكن، هل تعرف سيادتك أين يستحيل أن نجد هذا الأمر؟

تجنب "فالنكور" النظر في عينيه، فأجاب "توريز" على سؤاله بنفسه:

- عند السيدات اللواتي يجمعن قسائم التخفيضات.

تأمل "توريز" قليلًا فيما قاله قبل أن يصل إلى النتيجة الطبيعية:

- ومثل هذه الملصقات لا تأتي من فراغ، إذ لا بد أن أحدًا قد أحضرها معه، وفي حال كان ذلك الشخص قاتلًا، فهذا يعني أنه قتل مع سبق الإصرار والترصد.

شد الملازم على الحروف في نطقه آخر كلمتين.

زم "فالنكور" شفاهه بحركة خفيفة، إنما يبدو له من الحكمة ألا يعلق بأية كلمة، ففي النهاية لم يوجه إليه أحد اتهامًا مباشرًا، لكنه قطب حاجبيه وحدج الملازم بنظرة احتقار.

هذا الرجل كان قادرًا على التحكم بتعابير وجهه، إنما لم يستطع تجنب أن يشحب لونه، لقد نالوا منه، وقد حان الوقت للانتقال إلى المرحلة التالية.

ومثلما يغرز مصارع الثيران سهمه في جسد الثور المنهك، مد "توريز" يده وربَّت على ذراع المأمور قائلًا:

- اتبعني من فضلك!

اقتاد "توريز" المأمور - الذي لا يزال صامدًا إنما مهزوزًا - عبر الممر إلى الصالون، حيث كان "لوبروتون" بانتظاره أمام مكتب غاية في الترتيب، وخلفه وقف "أورسيني" و"روزيير"، وفي يد كل منهما دفتر ملاحظات سميك.

منذ لحظات، كان المأمور على موعد مع القدر وجهًا لوجه، وها هو "توريز" يسلمه الآن إلى ممثلي القانون والرأي العام: "لوبروتون" القادم من جهاز الرقابة والتفتيش، و"أورسيني" المعروف بعلاقته بالصحافة، ثم "روزيير" وعلاقاتها مع الناس.

كان "فالنكور" لا يزال متماسكًا، إنما بدأت قطرات العرق تلمع على جبهته تحت ضغط الامتحان الذي يمر به، ومع ذلك استطاع استجماع كرامته الظاهرية، ولمَّا لم ير ابنه بعدُ، اعترض بلهجة حازمة:

- حسنًا، أين هو؟ أنا آمركم أن تطلقوا سراحه حالًا.

قرَّب "لوبروتون" سلة المهملات التي بجانب مكتبه نحوه، ثم أعادها حيث كانت، وقال:

- لن نفعل.

- عفوًا! هل لديك فكرة عمن تخاطب؟ بدايةً أريد أن أعرف على أي أساس أنتم تحتفظون بابني؟

تناول "لوبروتون" قلم رصاص ووضعه في علبة الأقلام، ثم أسند ظهره إلى كرسيه، وقال بلا مبالاة تامة:

- لقد هرب من مسرح جريمة، كما قال لسيادتك على التليفون منذ قليل.

- أيها النقيب، لنتكلم بجدية!

- رائد.

- كان يعبر أحد الشوارع، أليس كذلك؟ ثم ركض عندما تقدمت "كابستان" نحوه، أنت تعرف خجل الشباب عندما يواجهون امرأة جميلة مثلها، ما كان عليها أن تأخذ الأمر على محمل شخصي.

ابتسم "لوبروتون" ابتسامة عريضة.

كان "فالنكور" يحاول أن يبدو مبتهجًا، لكن تأثير الدقائق التي أمضاها مع "توريز" كان واضحًا، فصوته - رغم السخرية التي فيه - كان يرتجف، وقد انتبه هو نفسه إلى نبرته المتلعثمة قليلًا، فبدا على وجهه الضيق.

قال "لوبروتون" مذكرًا وهو يشير بيده إلى المقعد مقابله:

- كان يعبر في الشارع الذي حدثت فيه جريمة قتل.

وضع "فالنكور" يده على مسند المقعد، وانتظر برهة قبل أن يقرر الجلوس.

- كان قادمًا لزيارتي. اسمع، هذا حجز تعسفي وأنتم تعلمون ذلك، لا تستطيعون اتهام ابني بأي شيء، ليس لديكم أي شيء ضده.

- مع سيادتك كل الحق.

- وليست لديكم حتى الأهلية لاحتجازه قيد التحقيق.

فتابع "لوبروتون" بالنبرة ذاتها:

- الواقع، نعم؛ لا أظن أننا نملك أية أهلية لذلك.

كان يتفحص لغة المأمور الجسدية، كان لا يزال صلبًا، واقفًا وقفة ضابط في الجيش، لقد تعمد ألا يغير ثيابه قبل أن يأتي وقرر أن يدخل عليهم بزيه الرسمي، لا أهمية لذلك إطلاقًا، فما هي إلا محاولة لفرض موقفه ولتذكيرهم برتبته.

قال "فالنكور":

- حسنًا إذًا، أطلقوا سراحه.

فرد "لوبروتون" مستسلمًا:

- بالتأكيد.

همَّ "فالنكور" بالنهوض كمن ينوي إنهاء الحديث دون أي تعليق إضافي، عندما استوقفه الرائد كاشفًا عن نيته بوضوح أكثر:

- سأطلق سراحه لأنه لم يقتل أحدًا، أما سيادتك.

بدا المأمور منزعجًا، لكنه سرعان ما استعاد جأشه وسيطر على مشاعره من جديد.

- كيف تجرؤ على ذلك أيها الضابط الحقير؟ بأي حق تصدر اتهامات من هذا القبيل؟

- حقي أنا، قولوا لي، هل من جديد في قضية "مائيل جينان"؟ لأننا.. نحن قد حصلنا على المذنب.

- توقف عن التمثيل! إن بقيت هنا، فمن باب المجاملة، لكن الآن.

نهض "فالنكور" وارتدى قبعته الرسمية؛ كان يستعد للذهاب إلى الممر للبحث عن "جابرييل"، عندما بادره "لوبروتون" بسؤاله:

- أين كنت سيادتك يوم الخميس 20 سبتمبر، بين الساعة الثامنة والعاشرة؟

- لن أجيب على أسئلتكم.

- إذًا، أنا سأجيب بدلًا عن سيادتك. يوم الخميس 20 سبتمبر، ذهبت إلى شارع "مازاجران"، وبحوزتك علبة سكاكين مطبخ، ضربت الجرس على "مائيل جينان"، ثم طعنتها وقمت بتفتيش الشقة بحثًا عن الوثائق التي تركها زوجها.

أنهى "لوبروتون" جملته الأخيرة وهو يرقب تعابير الضابط أمامه عن كثب، بحثًا عن أي علامة تأكيد، وبدرت عن المأمور حركة تراجع للوراء، فعرف أنه أصاب ضالته.

- لقد قتلتها كما قتلت "يان جينان" و"ماري سوزيل"، كنت تعرف الضحايا وقد أخفيت ذلك عنا عن قصد. لا تزعج نفسك باعتراضات لا طائل منها، فلدينا تسجيل الفيديو، يوم إحياء ذكرى حادثة الغرق، هل تذكر ذلك؟

ضغط "لوبروتون" على زر تشغيل التليفزيون، فأضاءت الصورة على لقطة "فالنكور" مع "سوزيل"، هذه المرة أصابت ضربته مقتلًا، ولم يترك للمأمور أي منفذ للهروب.

لمعت على وجه "فالنكور" نظرة رعب، لكنه سرعان ما أخفاها بدافع من غريزة البقاء، ثم قال:

- عمل رائع، يبدو أن علي الاتصال بالمحامي.

التفت "لوبروتون" نحو "أورسيني" و"روزيير"، اللذين كانا يسجلان كل ما يجري بدقة، فأومآ برأسيهما علامة الرضى عما جاء في التحقيق.

- سجلوا أن المفتش المأمور قد طلب - أثناء زيارة اعتيادية - حضور محاميه.

واستدار من جديد نحو المأمور، وسأله بلباقة:

- هل ترغب في الاتصال بمحاميك؟

نظر "فالنكور" باشمئزاز مبديًا انزعاجه من السؤال، فحدق فيه "لوبروتون" بوجه عابس، لكنه ترك للمأمور الوقت الكافي ليهضم نتائج مجريات نصف الساعة الأخيرة، بما فيها من نحس وربط بين القضايا والاتهام بالقتل عن سابق إصرار وترصد.

أتت عبر النوافذ المشرعة على الشارع، روائح ساندويتشات دسم وخبز ساخن، وأصوات صياح صبيان وزقزقة لعب البنات حول نافورة الساحة، بينما أفواج المراهقين تتجول في حي "لي هال" وقد شارفت أيام الصيف على الانتهاء.

نظر "لوبروتون" إلى "فالنكور" بتمعن، كان مثال الإنسان المتقشف والسلطوي يمشي على قدمين، والدليل الوحيد على أن جدرانه الداخلية قد تصدعت، كان بعض الهيجان في حركاته، فانتظر قليلًا حتى يزداد التصدع عمقًا قبل أن يطلق خطابه الختامي:

- كان عملك في قضية "يان جينان" نظيفًا ومهنيًا، أما في حالة "ماري سوزيل"، فقد تحركت بتسرع؛ أحضرت الورود بينما هي تكره الورود

الطبيعية، ووضعت التليفزيون على "الصامت"، ثم القفل، كل شيء كان يشير إلى وجود زائر وليس سارقًا، لكنك لم تعرفها بما يكفي لكي تتلاشى آثار مرورك في ديكور منزلها.

لقد أخذت معك البريد حتى لا تعثر الشرطة على رسالة الدعوة لأمسية الجمعية، في المقابل لم تترك في البيت مظروفًا واحدًا، وربما أعمت الشفقة عينيك أيضًا، كموضوع القطة مثلًا، لماذا أخذت القطة معك؟ لكي لا تموء فتلفت انتباه الجيران؟ "كابستان" تعتقد أنك تحب الحيوانات، وأنك لم تكن ترغب في ترك القطة لتموت جوعًا، فأنت تقتل فقط للحاجة، لكنني لست واثقًا من هذا.

وبكلامه الأخير، أراد "لوبروتون" الإيحاء أن مسألة سلوك المأمور لا تزال قيد البحث، أما عن ارتكابه الجريمة فالأمر مؤكد وثابت، ثم شدَّد قبضته حول المتهم بأن أضاف:

- لقد عثرنا على شعر قطة على ملابس ابنك، وتقنيو البصمات يقومون بالتحليل اللازم للعثور على مطابقة فيما نحن نتحدث الآن.

انفرجت شفتا المأمور عن تكشيرة مخفية، ثم أشار الرائد إلى "أورسيني" بإشارة متفق عليها مسبقًا، فذهب هذا الأخير ليجلب "كابستان"؛ لقد أصبح "فالنكور" جاهزًا للمثول بين يديها.

⊙⊙

فكرت "كابستان" كثيرًا ومطولًا بالدافع وراء تلك الجرائم، فرضية واحدة فقط كانت منطقية: لقد قتل المأمور "ماري سوزيل" و"يان جينان" ثم زوجته "مائيل"، لأن ثلاثتهن كن يعرفن أمرًا لا يريده أن ينكشف، بقي أن تعرف ما هو ذلك السر.

ولكن، أيًا كان ذلك الخطأ الذي قد يدفع لارتكاب كل تلك الجرائم، فإن "فالنكور" يريد إخفاءه عن شخص مهم جدًا له؛ عن ابنه بكل تأكيد، فالفتى "جابرييل" هو مفتاح الحقيقة في هذه القضايا.

دخلت "كابستان" الصالون، قادمة من حيث تركت "جابرييل" في الغرفة الأخرى، أشارت إلى أعضاء الفرقة بالانصراف وهي تقترب من "فالنكور" بوجه صارم.

توجهت إلى الكرسي الذي كان يجلس عليه "لوبروتون"، وقبل أن تجلس، قالت بلهجة حازمة وهي ترمي يوميات البحَّار على المكتب:

- ابنكم ليس في حال جيدة أيها المأمور، ولحسن حظه أنه لم يقرأ هذا بعد.

"فالنكور" كان قد ذهب عند "مائيل جينان" لإسكاتها قبل وصول ابنه "جابرييل"، وكذلك للبحث عن وثائق متعلقة بحادثة الغرق، بما أن القاتل قد كسر قفل الخزانة الزرقاء، والواقع أنه لم يكن في يوميات البحَّار أي دليل إثبات ضده، لكن "فالنكور" كان يجهل ذلك؛ كانت لديه قصة بشعة يريد خنقها وكتمها، ولذلك فهو يراها مكتوبة في كل الكتب وعلى كل الجدران؛ مؤكد أن المأمور قد شعر بالندم بعد ارتكاب جريمته.

لقد أخذ القطة معه وسرَّح شعر "ماري" بعد أن قتلها؛ هذا الرجل صاحب ضمير، وعلى هذه النقطة كان على "كابستان" أن تضرب ضربتها.

- هل تعرف هذا الدفتر؟ لقد قتلت امرأة في الثالثة والأربعين من عمرها للحصول عليه، وحولت ابنها إلى يتيم للمرة الثانية، في البداية أبوه ثم الآن أمه.

أشعلت "كابستان" الكمبيوتر، فهدر موقظًا برامجه النائمة، أدارت الشاشة نحو المأمور، وقربت منه لوحة المفاتيح فتراجع متفاجئًا، ثم لمس اللوحة بأصابعه قبل أن يبعدها متجاهلًا إياها، لكن الرغبة في كتابة اعترافاته كانت هناك، فزادت "كابستان" من الضغط عليه وأكملت بقسوة:

- لقد أخفقت يا "فالنكور"، مع أنني أتفهم أنك قمت بكل ما في وسعك لإخفاء ذلك ودفنه.

ثم قالت وهي تضع يدها على اليوميات:

- والآن... أنت تعلم أن زملائي أناس متحضرون، لكنك تعلم أيضًا أنني قادرة على فعل كل شيء، وسأعطي هذا الدفتر لـ"جابرييل"، وسوف يتلقى الصدمة دون أية مقدمات، وإن أصررت على عدم التسليم بارتكابك الجريمة، فستضع على عاتق ابنك المسؤولية الأخلاقية في التبليغ عنك.

بالطبع، ما كانت "كابستان" لتتدنى إلى ذلك المستوى المشين، لكنها كانت تعرف كيف تستغل سمعتها، التي لطالما أيدتها قامات كبيرة في الشرطة مثل الواقف أمامها نفسه.

ابتلع "فالنكور" ريقه بصعوبة، وسواء أكان يخادع أم لا، فقد كان واضحًا أنه بدأ يفقد توازنه، كان يستمع إلى لائحة الاتهامات دون أن يملك الوقت لإدراك ما يحدث أو تحليله، وكانت "كابستان" تنتقل من نقطة إلى أخرى سريعًا، بعد أن دفعت بصورة الابن أولًا، وطالما أن الأولوية كانت لعواطف الرجل، فلا بد أن الخطوة التالية ستكون محاولته تبرير ما اقترفت يداه.

أخذت "كابستان" دفتر اليوميات وهي تقول:

- يبدو حقًا أنك لا ترغب في تجنيبه أي شيء.

ثم نهضت.

رمق "فالنكور" الدفتر ثم تنهد، استرخى كتفاه قليلًا، وارتسمت على ملامحه تعابير تعب عميق، كان يجهز نفسه للاعتراف، ثم قال بهدوء:

- هذا ليس صحيحًا؛ الواقع أنني حاولت تجنيبه كل شيء.

- أثبت ذلك إذًا، ووَقِّع على الاعتراف، ثم حدثه شخصيًا دون الحاجة للاختباء خلف شخص ثالث، أو ربما ما هو أسوأ.. الصحافة مثلًا.

كانت "كابستان" حريصة على أن تكون واضحة في كلامها، في انتظار اللحظة الحاسمة التي ستدق فيها المسمار إلى النهاية.

أشارت إلى لوحة المفاتيح بحركة من رأسها، وقالت:

- تحمل مسؤولية ما فعلت، في المقابل سأتركك ساعتين مع ابنك على انفراد، بعدها سأتصل بالمدير "بورون"، وعليه هو إعلام النيابة العامة.. ساعتان.

سكتت "كابستان" لبرهة حتى تتأكد أن "فالنكور" يدرك الرهانات المطروحة، ثم ختمت قولها بنبرة أقل خشونة:

- الأمر انتهى بالنسبة لك، أما بالنسبة له، فما هي إلا البداية.

قرب "فالنكور" إليه لوحة المفاتيح بصمت، وقبل أن يبدأ بالكتابة اكتفى بالقول:

- لديه خطيبة اسمها "مانو"، سأعطيكم رقمها، سأكون ممتنًا إن اتصلتم بها لتحضر هنا؛ "جابرييل" سيكون بحاجة إليها.

45

تم الأمر إذًا، الآن.

لقد أمضى "ألكسندر فالنكور" العشرين سنة الأخيرة من حياته هاربًا من هذه اللحظة، عشرون سنة كانت كل القرارات التي اتخذها خلالها، إنما تهدف لتأخير هذه اللحظة وتجنبها، وكل تلك الجرائم، إنما ارتكبها ليجتزئ هذه السنوات العشرين الهزيلة من الحقيقة، وها هو الآن هنا، جالس على كرسي مكتب في قسم الشرطة المنبوذ هذا، يكتب اعترافاته على لوحة مفاتيح قد تحول لونها من كثرة الاستعمال، وعليه - بعد دقيقتين - أن يلتقي ابنه وأن يحكي له.. أن يحكي له.. ولكن كيف سيعلن الأمر لابنه؟ كان الوضع غاية في الكآبة بالنسبة له.

دفع "ألكسندر" لوحة المفاتيح نحو "كابستان" التي أعطت الأمر بالطباعة، ظلت واقفة أمام الطابعة بانتظار خروج الأوراق، ثم ناولتها إياه دون حتى أن تقرأها، فأخرج قلم حبر من بدلته الرسمية ووقع، ثم

نهض وهو يعيد القلم إلى مكانه، ويتبع "كابستان" التي رافقته إلى المكتب حيث يجلس "جابرييل". دقت على الباب، وأشارت إلى الملازمَيْن بالخروج، ثـم تنحـت جانبًـا موسـعةً الطريق للمأمور.

إنه يشعر الآن براحة وهدوء لم يعرفهما من قبل، شيء من السلام اللانهائي، كـالموت أو ما يشبه الموت، ثم أغلقت "كابستان" الباب وراءه.

دون أن يقترب "ألكسندر" من ابنه كثيرًا، بادره بالقول:

- صباح الخير "جابرييل"، سيطلقون سراحك.

كان يبحث عما يمكن أن يقوله من كلمات، لكنه لم يجد شيئًا مقنعًا، فقرر الاستمرار في سرد الوقائع كما هي، على قساوتها:

- أما أنا.. فسأبقى، سأسلم نفسي؛ لقد ارتكبـت بعـض جـرائم القتـل، لم يكـن لـدي خيار آخر، كان.. كان الحل الوحيد لكي تكبر أنت بسلام.

لم يكن الأب يحتاج لأن يطلب من ابنه أن يدعه يكمل حديثه أو ألا يقاطعـه، فقـد تكور "جابرييل" متخشبًا فوق كرسيه أبعد ما يكون عن أبيه، ولم يكن يجرؤ حتـى عـلى الارتجاف.

انزلق شريط من مسند الكرسي، فأعاده الفتى آليًا بيـده اليمنـى وقـدماه ثابتتـان عـلى الأرض، كان في كامل نشاطه كالعادة، مستعدًا للقفز في أي وقت.

أخذ "فالنكور" نفسًا، ثم تناول أحد الكراسي المصفوفة على الجدار وجلس، ثم أكمل كلامه:

- سأشرح لك.

فقاطعه "جابرييل" وكله أمل أن يكون مخطئًا:

- الأمر يتعلق بالسفينة، أليس كذلك؟ لقد حدث شيء ما؟

- نعم.

كان "فالنكور" يجد صعوبة في التركيز، فرك عينيه؛ كان مشهد غرق السفينة يقفز في ذاكرته مرارًا وتكرارًا، كانت أصوات الصياح في رأسه تعلو وتعلو، ثم دوى بوق التحذير من الضباب دون جدوى، وراح الركاب يصطدمون به وهم يركضون، هز رأسه فجأة حتى يستيقظ، ويواجه ابنه الذي كان يحدق فيه، طأطأ برأسه.

- لقد غادرت السفينة دون أن تنتظر أمي، صح؟

فهمهم "فالنكور":

- كلا.

⊙⊙

لساعاتها الأخيرة في فلوريدا، اختارت "روزا" أن تلبس ثوبًا قطنيا سماويًا. اجتازت مع طفليها جسر الصعود إلى السفينة، وهي تشير بذقنها إلى زوجها لمراقب البطاقات، كان "ألكسندر" يتأملها وهو يمد الحجوزات إلى مسؤول المرور، وهو أمريكي ضخم في قميص ينضح عرقًا، كان بوسع "ألكسندر" أن يرى الحزن على وجه زوجته الشابة، فهي غاضبة منه لفرضه عليها الرحيل مجددًا؛ العودة إلى فرنسا كانت - بالطبع - الخيار الوحيد المنطقي، لكن ذلك لم يمنعها من الحنق عليه.

وبينما تنظر ناحية المحيط، استغل ابنها "أنطونيو" الفرصة مـرة أخـرى ليهـرب مـن مراقبتها، وتوجه خلسة نحو ببغاء وضعه أصحابه في قفـص لأجـل الرحلـة، ضرب عـلى قضـبان القفـص بقبضـة يـده، فأصيب الحيـوان بالرعـب، وراح يضرب بجناحيـه وهـو يصرخ.

الولد كـان صـعب المـراس ومشاكسًـا، وفـوق ذلـك، كانـت أمـه مغاليـة في حمايتـه ومحبته؛ اعتادت أن تغفر له كل شيء بحجة أنه ترعرع بدون أبيـه، أب لم يكـن أفضـل حالًا من الابن بالتأكيد، لكن "روزا" تصر على تقديسه لأسـباب سياسـية غامضـة، عضـو آخر من رجال العصابات، من الذين يتشدقون بشجاعتهم في المعارك، بينما يهربون من أدنى مسؤولياتهم العائليـة؛ لقـد هجـر طفلـه "أنطونيـو"، هـذا الطاغيـة الصـغير الـذي يدلعوه باسم "أتيلا"، وعلى "ألكسندر" الآن مهمة تنشئته، وعليـه بخاصـةٍ مراقبتـه كـما يراقب المرء الحليب فوق النار كلـما اقـترب مـن "جابرييـل" ابنـه المـدلل وكنـزه، الـذي يجسد أروع صورة لحبه لـ"روزا".

"جابرييل" كان لطيفاً جميلًا ومبتسمًا، ومع أنـه لم يتجـاوز العـامين بعـد، إلا أنـه لـيس هناك وجه للشبه إطلاقًا بينه وبين أخيه غير الشقيق هذا، فـ"أنطونيو" ولد غبي وفظ، وقد مزق لأخيه شحمة أذنه بعضة من أسنانه.

رأى "ألكسندر" الولد "أتيلا" من بعيد، يمسك يـد "جابرييـل" ويلصـقها بـالقفص، ثـم، وهو يحاول إدخال يد أخيه داخل قفص الببغاء حتى يعضـها، تـرك "ألكسـندر" الحقائـب أرضًا، وهرع بكل سرعته نحو الولدين.

رفع "أتيلا" بيد وصـفعه بـالأخرى بكـل قوتـه، صـاحت "روزا" صـارخةً، ثـم انقضت على "ألكسندر" في لمـح البصر وراحـت تهـزه بعنـف شـديد، وانخـرط

الزوجان - مجددًا - في شجار عنيف - رغم الحب الكبير الذي يجمعهما - بسبب هذا الولد، وهذا الولد سيبقى دائمًا بينهما مثل شوكة في جنب سعادتهما، مخلوق طفيلي خلق خصيصًا لإفساد حب "روزا" لزوجها.

تجاوزتهما سيدة عجوز كانا قد تبادلا معها أطراف الحديث أمام المدخل، رمقتهما بنظرة توبيخ ولسان حالها يقول: من المؤسف أن تتمزق عائلة بهذا الجمال بهذا الشكل.

في هذه الأثناء، كانت السفينة ترفع المراسي، ورجال الطاقم يأخذون مواقعهم طالبين من الركاب العودة إلى البار، أو إلى القمرات الواسعة المفروشة بالموكيت الأزرق، ثم أقلعت العبَّارة دون أدنى خوف من الرياح السوداء والشديدة، التي كانت تهب في البعيد.

سأله "جابرييل" متوسلًا:

- لقد تركتهما، أليس كذلك؟ ماذا فعلت يا أبي؟ قل لي.

حاول "فالنكور" استعادة جأشه، وأن يعود إلى حيث يريده ابنه أن يعود. لم يسبق له أن حدثه عن "أنطونيو" إطلاقًا، "أنطونيو" لا يحمل اسمه وليس له وجود في أي وثيقة أو مكان، لكن الوقت قد حان لذلك.

- كان لديك أخ.

اجتاحت نظرةَ "جابرييل" بارقةُ فَرَحٍ قصيرةٌ، سرعان ما شتتتها حركة حزينة من رأس "ألكسندر":

- أخ غير شقيق!

ثم أضاف كمن يواسيه:

- وأنت لم تكن تحبه.

فسأل "جابرييل" مستفسرًا:

- أين هو الآن؟

⊙⊙

أخذ "فالنكور" نفسًا عميقًا من جديد، بدأت مياه خليج المكسيك تضرب جسده، ورذاذ خفيف يلتصق بوجهه، في حين ضعفت الرؤية أمامه وتشوشت.

بعد شجارهما، صعدت "روزا" مباشرة إلى البار في الطابق العلوي من المركب بمفردها، فرغم غضبها وغيظها، إلا أنها عهدت برعاية "جابرييل" و"أنطونيو" بالطبع، إلى "ألكسندر"؛ كنوع من الانتقام ربما، أو امتحان لحس المسؤولية عنده، والحال أن حس المسؤولية لدى "فالنكور" كان عاليًا وعاليًا جدًا.

بقي ثلاثتهم في الطابق السفلي، الأولاد يلعبون، و"ألكسندر" يتأمل في حالهم وأحوالهم جالسًا على كرسي طويل. فجأة، ضربت ريح عنيفة أحد حبال الصواري على جسم السفينة؛ كان الجو ينذر بعاصفة في الأفق، رغم أن الأرصاد الجوية لم تعلن عن وجود إعصار قبل يوم أو يومين، لكن الأمواج العاتية كانت تقول غير هذا، منذ القطرات الأولى، أصبح السطح زلقًا وغادره الركاب إلى الداخل، نهض "ألكسندر"، إذ لا بد من إدخال الأولاد أيضًا.

بدأت الأمواج تضرب بشدة أكبر سياج على السطح وبدأت المركب تتأرجح أقوى وأقوى، ثم هطل المطر شلالات وساد الظلام الدامس في وضح النهار.

سمع "ألكسندر" أصوات صراخ ورعب تتردد في السفينة، علقت طية من جاكيته في الكرسي، فشدها بقوة رافضًا بغباء التخلي عنها هنا، صرخ بأعلى صوته - وهو واقف بالكاد يحافظ على توازنه - داعيًا الأولاد الذين كانوا على بعد ثلاثة أمتار منه فقط، بعد أن نجح أخيرًا في تخليص جاكيته، وتمكن من الوقوف بكامل جسده، ورأى "جابرييل" يمشي نحوه بخطواته الطفولية الخجولة، فاتحًا ذراعيه. لحظتها، هزت السفينة صدمة قوية، ففقد "جابرييل" توازنه وسقط.

"أتيلا" المذعور بدوره، تخطى أخاه، وارتمى بين قدمي "ألكسندر" محتميًا من العاصفة، راح "جابرييل" - المطروح كليةً على الأرض - ينزلق نحو الحافة، ومياه المحيط تهز السفينة هزًا، فاتسعت عيناه، وفيما كان يحاول فتح فمه لطلب المساعدة، تجرع كمية من المياه، ثار الدم في عروق "فالنكور"، فهرع نحو ابنه وهو ينتزع جاكيته بحركة واحدة، لكن "أتيلا" - والفزع آخذ به - تسلق جسد زوج أمه، وتشبث بصدره معيقًا حركته.

تمزق قطن الجاكيت بين يدي "ألكسندر"، فسيطر عليه، لحظتها، غضب عميق جعله ينسى خوفه، ويفكر لا إراديًا بما هو فيه؛ إنها لفرصة استثنائية وقد جاءت له، فرصة أن يتخلص نهائيًا من هذه البذرة المزعجة التي أصبحت تسيء لابنه، وفي نهاية المطاف، ستعمل هذه العاصفة على تسوية كل الأمور.

بكـل الأحـوال، حتـى يـتمكن مـن إحكـام قبضـته عـلى ابنـه وإنقـاذه، كـان عـلى "ألكسندر" أن يتخلص من "أتيلا"، وقد فعل.

ومثلما يتخلص المرء من حشرة تقرصه، شد "فالنكور" ذراعه بفظاظة ملوحًا بـالفتى بعيدًا عنه، فتح "أنطونيو" ذراعيه بفعـل القـذف ثـم تـرنح صـارخًا، وسـقط مـن فـوق المركب، حاول التشبث بأي شيء ضاربًا برجليه ويديه في الماء، لكن صراخه ذهب أدراج الرياح، دون أن ينتبه إلى سقوطه أحد وسط قعقعة السفينة وهيجان العاصفة.

ضم "ألكسندر" ابنه إليه، ثم مد رأسه من فوق الحاجز علَّه يرى الفتى، لكن "أتيلا" كان قد اختفى، فأغمض عينيه وسمع مكبرات الصوت تعطـي إرشـادات غـير مفهومـة، لقد حدث شرخ في مؤخرة السـفينة، والميـاه تـتسرب إلى قعرهـا، ثـم انـتشرت في الجـو رائحة وقود مقززة. داعب "ألكسندر" شعر "جابرييل" وعاد به إلى داخل السفينة.

هناك رأى "روزا" تنظر إليه، فجمـد في مكانـه، كانـت تقـف عنـد مـدخل القمـرات مصعوقة متحجرة، وفي لمحة بصر، تحولت تعابير وجهها من الشدة والهلع إلى الاحتقـار ثم الكراهية، رمت حقيبتها أرضًا وركضت نحو طوق نجاة، وكلها تصميم على القفـز إلى المياه السوداء لإنقاذ ابنها، لم يحرك "فالنكور" ساكنًا لمنعها.

سُمع صوت رجل يصرخ زاجرًا المرأة عما تريد، لم يكن صوته، بل صوت ضابط بحَّار ظهر خلفه، رجل كان واقفًا هناك منذ برهة وسيذكر لاحقًا ما رأى.

- عندما كانت السفينة تغرق، سقط أخوك غير الشقيق في الماء، ثم قفزت أمك لإنقاذه، وغرقت هي الأخرى، لم أستطع فعل شيء، لم يكن بوسعي تركك والقفز بدوري في الماء.

غرقت "روزا"، غرقت دون أن تفهم ماذا حدث وكيف حدث، غرقت "روزا" وهي تعتقد أنه إنسان متوحش، غرقت وغرق معها وعد بحياة مشرقة له ولابنه "جابرييل"، ولم يغفر "فالنكور" لنفسه ما حدث إطلاقًا، فهو لم يحاول ثنيها عن القفز، لقد تغيرت حياتهم وإلى الأبد، وبهذا يكون "أتيلا" قد نجح في تسميم حياتهم حتى النهاية.

"جابرييل" لم يكن يفهم ما يسمع:

- ولكن، كان الأمر حادثًا إذًا؟

أجابه "فالنكور" مؤكدًا وهو لا يصدق أن أسئلة ابنه ستتوقف هنا:

- نعم.

هز "جابرييل" رأسه، فنزلت خصلات شعره المجعد على جبينه:

- ولكن.. لماذا قتلت البحّار، ثم زوجته إذًا؟

نعم، لماذا؟ على "فالنكور" قول الحقيقة، فهذه الرواية غير مقنعة، ربما بوسعه الإفصاح عن الحقيقة بصيغة مخففة.

- الواقع أن أخاك قد سقط لأنني أنا من دفعه؛ كان يمنعك من الدخول إلى داخل السفينة، وبات الوضع خطيرًا، فأبعدته وانزلق. "يان جينان" رآني، ولدى عودته إلى فرنسا أراد ابتزازي بما رآه.

نعم، لقد رآه "جينان" وهو يتخلص من الصبي، لكنه لم يكن يعرف أن اسمه "فالنكور"، وكيف له أن يعرفه من بين مئات المسافرين الآخرين.

خلال الفوضى التي تلت ذلك، تدافع الناس مذعورين، وعندما بدأت عمليات الإنقاذ أخيرًا، كانت العبَّارة جانحة على جانبها، مغيبةً معها عشرات الرجال والنساء.

بذل رجال الإنقاذ قصارى جهدهم لإخلاء الناجين بالمروحيات أو بالقوارب، لكن المسافرين كانوا مبعثرين، وقد استطاع صاحبنا "فالنكور" النجاة مع ابنه والعودة إلى فرنسا دون معوقات.

لكن "ألكسندر" كان يخشى تبعات ما حدث، فبحث عن اسم البحَّار، وتمكن من معرفة مكانه بمجرد أن وطأت قدما هذا الأخير باريس. مع ذلك، فكرة التخلص منه كانت مثيرة للاشمئزاز، ولم يكن في نيته أن يلجأ إليها إلا في حال الاضطرار الاستثنائي، فربما نسي "جينان" ما رأى في خضم المعمعة التي حصلت، ولكي يطمئن "ألكسندر" من هذه الناحية، وضعه تحت المراقبة، وعندما رأى البحَّار يبدأ جولته على الناجين الفرنسيين، علم أن لا مفر مما فكر فيه، لأنه إن حدث ورأى "جينان" وجهه بين قوائم المسافرين لديه، فقد يبلغ السلطات عنه، وسيحاكم ويسجن لسنوات طويلة بتهمة قتل طفل، و"جابرييل" ابنه، ستأخذه المحكمة وتمنحه لعائلة تتكفل بتنشئته، وقد يقع تحت رحمة أي معتوه، لن يقبل "فالنكور" بذلك إطلاقًا، ولن يخاطر بحدوث ذلك، فدرس الموقف وانتظر الوقت المناسب، ثم تكفلت برودة أعصابه بالباقي.

كان "جابرييل" يفكر فيما يسمع من أبيه:

- هل ابتزك؟ ولكن...

كانت الأفكار تتلاحق في رأسه، وتأخذه إلى أماكن أبعد مما يريد.

شعر أبوه أنه سيتطرق إلى العجوز "سوزيل"، ثم أحجم عن ذلك، ومن جديد، كان الفتى – لاشعوريًا - يختبر الأرض تحت قدميه، وهو يشد بقبضته على مسند الكرسي دون أن ينظر إليه؛ كان العقل الباطني لـ"جابرييل" يبحث يائسًا عن باب الخروج، لكنه أكمل حديثه مغمض العينين:

- وماذا عن السيدة العجوز؟

- لقد أخبرها البحَّار بما رأى.

خلال حديثها مع "فالنكور"، لم تربط "ماري سوزيل" بينه وبين العائلة التي التقتها أثناء الصعود إلى السفينة، لكنها عندما شاهدت صور "روزا" و"أنطونيو" أثناء حفل التأبين، تذكرت ما كان يرويه البحَّار من قصص، فتساءلت عن الرابط، ثم كشفت - بكل سذاجة - عما يجول في خاطرها للمأمور "فالنكور".

الجريمة تجر الجريمة.

تأمل "فالنكور" ابنه مرة أخرى، كان ذاهلًا عما حوله، هذا الولد الذي يحبه حبًا جمًا، آخر ما يربطه بزوجته "روزا"، لا يزال في مقتبل العمر، فتمتم "فالنكور":

- أنا آسف.

لكن "جابرييل" لم يكن يستمع لأسى والده، كان يتهاوى وإن استمر في المقاومة:

- وماذا عن زوجة البحَّار؟ هل كنت تتبعني في التحريات التي كنت أجريها؟ هل اختلست النظر إلى موبايلي لكي تسكتها؟ هل قتلتها بسببي؟

كان لدى الفتى الكثير من الأسئلة، ولم يكن لدى أبيه سوى جواب واحد:

- لا شيء مما حدث كان بسببك، لا شيء، فعلت ما بوسعي فعله، أما أنت... أنت لا تستحق دقيقة واحدة مما أنت فيه الآن، أنا آسف.

احمرت عينا "ألكسندر" وانهمرت بعض الدموع رغمًا عنه، تبع ذلك صمت طويل لم يستطع لا الابن ولا الأب كسره.

بقيا هكذا دون حراك، بالكاد يتنفسان، ثم نهض "جابرييل"، وتوجه نحو الباب وهو يرتجف، فتحه وشاهد "مانو" على بعد مستندة إلى الجدار بانتظاره، مشى إليها ببطء ثم ارتمى في حضنها.

⦿⦿

كان "أورسيني" ينتظر أمام صندوق محل بيع مستلزمات الحفلات والملابس الخاصة بها، وقد اشترى - إضافة إلى اللافتة - بالونات وثلاث لفات زينة ملونة، وبعض الفوانيس الورقية رسم على اثنين منها الشمس والقمر.

اهتز موبايله، نظر إلى اسم المتصل على الشاشة، إنه "شوفاليه" صديقه الصحفي، الذي لجأ إليه بحثًا عن بعض المعلومات أثناء التحقيق.

تنهد "أورسيني" ووضع السماعات في أذنه، فجاءه الصوت من الطرف الآخر:

- مرحباً "ماركوس"، ها.. كنت وعدتني بقصة، أين هي؟

خطرت ببال "أورسيني" جرائم "فالنكور"، ثم فكر مجددًا بابنه "جابرييل"، ابنه هو لم تسنح له فرصة الوصول إلى هذا العمر، فأجاب:

- نعم "لودو"، لم تسفر القضية عن شيء، مرة أخرى ربما.

أغلق الخط.

كان صاحب المحل يراقبه مبتسمًا، فأعطاه "أورسيني" مشترياته. أمام الصندوق، عُرضت مجموعة من الحيل وألعاب الفخاخ، فأخذ حلوى بالفلفل الحار، لطالما كانت حيلة الحلوى بالفلفل الحار مثيرة للضحك والمرح.

الخاتمة

توقف المصعد الذي يحمل المفتشة في الطابق الخامس، فُتحت الأبواب مصدرة صريرًا ميكانيكيًا، وأول مشهد طالعها كان ساقا "أورسيني" فوق سلم بالكاد يستطيع الاحتفاظ بتوازنه عليه، وهو يعلق لافتة كتب عليها "أهلًا وسهلًا" فوق الباب، وبيد مضطربة ثبتها على إطار الباب قبل أن يلتفت قليلًا وهو يقول:

- صباح الخير أيتها المفتشة، كنا بانتظارك.

فقالت "كابستان" وهي ترفع رأسها نحو النقيب:

- صباح الخير "أورسيني"، بانتظاري؟ لماذا؟

كان يخيل للناظر أن "أورسيني" - لما كان يبذله من جهد - كأنه يريد تثبيت دبوس الرسم في حائط خرساني.

- لتحضير حفل تدشين المكتب.

- حفل التدشين؟ وأنا آخر من يعلم؟

فقال "أورسيني" منزعجًا:

- آها...

ثم مصَّ إصبعه المكدوم، وأردف معترفًا:

- ربما كان الأمر مفاجأة لك، لا أدري، "روزيير" تعرف كل شيء، عليك بسؤالها.

بالطبع، "روزيير" هي من يجب سؤاله.

دلفت "كابستان" إلى الصالون، فشاهدت "إيفرار" و"لوويتز" مشغولين، وقد حولا أحد المكاتب إلى طاولة طعام، ووضعا فوقه مفرشًا ورقيًا ذا زركشات حمراء، والجدران كانت تتلألأ بالأكاليل، بينما "داكس" يزين النوافذ بطلاء بخَّاخ يبدو - من رائحته - أن مسحه لاحقًا لن يكون سهلًا، وقد استبدل الشباب اللمبات السادة بفوانيس ملونة، في المحصلة، بدا قسم الشرطة كمدرسة ابتدائية ليلة الاحتفال السنوي.

لمحت "كابستان" "توريز" يعبر المطبخ ملتحفًا بمريلة قطنية، منذ أن أنقذها من حادثة الباص، وزملاؤه في الفرقة باتوا أكثر تساهلًا بشأنه، وصاروا يقتربون منه، لم يصل الأمر إلى درجة أن يربت أحدهم على كتفه أو يتحمل نظرته... لكن مروره بينهم لم يعد يثير الفزع.

الأرائك والمكاتب والكنبات والطاولات، كل المفروشات أُزيحت إلى الجدران لإفساح المجال للرقص.

كان "لوبروتون" قد أنهى تركيب مكبرات الصوت، وإلى جانبه "روزيير" حاملة بالونًا أخضر في يد وفي الأخرى منفاخًا، منخرطة في ثرثرة عميقة مع "ميرلو"، الذي كان جالسًا في كرسيه الوثير مكتفيًا بدعم الفريق معنويًا.

كانت "روزيير" تتكلم بحنق:

- إما على البحر وإما على الجبل! لماذا عليك اختيار واحد منهما؟ لا تستطيع الحصول على كل ما تريد، ألست معي؟ ما بال الناس هذه الأيام! الأمر دائمًا اختيار، أبيض أو أسود، فرقة "البيتلز" أو "الرولينج ستون"..

فسُمع صوت "داكس" من داخل الغرفة:

- "بينك فلويد"!

- ... "هاليدي" أو "إيدي ميتشيل"؟.

عوى "داكس" وقد أخذه الحال دون أن يفهم ما يجري:

- "ميشيل ساردو"!

أكملت "روزيير" كلامها:

- كلب أو قطة، ملح أو سكر، وأنا إما أن أكون هنا، أو أكون هناك... أليس هذا غباء!

قبل أن تختم بقولها:

- ولماذا لا نسأل: هل أنت طاولة أم كرسي؟

سحبت البالون من المنفاخ وعقدت طرفه بمهارة.

كانت ترتدي بدلة بتنورة مذهبة يخال لمن يراها أنها تنوي إنهاء السهرة في ملهى "الليدو"، كانت قد كحلت عينيها باللون الأخضر الفاقع، لتزيد من لمعان عينيها الخضراوين وهي تحدق في "ميرلو" متحديةً إياه

بالإجابـة، وإن كـان ذلـك لـن يـنجح في كسر دفاعـات النقيـب، المعتـاد عـلى الثرثـرة والنقاشات من طلوع الشمس حتى غروبها، وقـد كـان هـو بـدوره مشرقًا مثـل قطعـة نقدية جديدة، وصلعته تلمع كالمرآة.

- بالتأكيد يا عزيزتي! القضية قضية الاختيار، وهذا بالضبط ما أقوله دائمًا.

ضاقت "روزيير" ذرعًا بحديثه، فالتفتت نحو "كابستان"، وأشارت بحركة واسعة مـن يدها إلى الصالون وتزيينات الاحتفال.

- جميل، أليس كذلك؟ بعد أن حللنا القضـايا، وقـدمنا الجـاني للمحاكمـة، ووضـعنا ورق الحائط... قلنا...

- قلنا؟

فابتسمت "روزيير" مظهرةً أسفًا مزيفًا وتابعت:

- قلنا إن الأمر يستحق الاحتفال، وأنه حان الوقت لفتح بعض زجاجـات الشراب في هذا القسم، ما رأيك؟

- لقد "قمنا" بعمل رائع. من "قمنا" بدعوته؟

- يعني.. ضباط الفرقة، لكنني لم أتكلم مع السيد "بورون"، لأنني لا أعرف إن كنـت تريدينه أن يحضر؟

- سأتصل به.

انزوت "كابستان" قرب النافذة وهـي تنظـر بعيـدًا عـبر شـارع "سـان دني"، وعماراتـه ذات الأسـطح المتداخلـة، المتفاوتـة الأطـوال والأشـكال والمستندة على بعضها بعضًا، لا شيء مستقيم في هذا الشارع الذي يحتاج

إلى أخصائي تقويم أسنان محنك، تحدثت "كابستان" دقيقتين مع "بورون" ثم أغلقت الخط.

تقدم إليها "لوبروتون" وهو يزيح بالونًا أزرق من طريقه، ثم قال:

- ما هي آخر الأخبار عن "فالنكور"؟

- بعد أن وقَّع اعترافاته، قدمه "بورون" إلى النيابة، الأمر لم يعد يعنينا بعد الآن.

- نعمممم...

صاح "داكس" مقتربًا منهما وأكمل صارخًا:

- لقد قمنا بعمل فظيع في هذا التحقيق، عندما أفكر في الشباب الذين حققوا في القضية وقتها وفشلوا.. عملهم كله راح أدراج الرياح!

فرد "روسيني" الذي انضم للمجموعة:

- القضية كانت قضية "فالنكور"، ولم يكن يرغب حقًا في العثور على الفاعل.

لكن "داكس" أصر على رأيه وعلى ابتهاجه:

- نعم، لكن هذا لا يمنع أننا نحن من حللناها.

وضع "لوويتز" سي دي في جهاز الاستريو، كان يشغل أول بضع نغمات من كل أغنية ثم ينتقل لما بعدها، وهو ينظر إلى العناوين على الغلاف.

"إيفرار" كانت - لا شعوريًا - تواكب كل أغنية بحركات راقصة، ثم تتوقف، ثم تستأنف، بدا على وجهها أن ثمة ما يقلقها، فجاءت وانضمت للمحادثة:

- برأيكم، لماذا وضع "فالنكور" لنا ملف "سوزيل"؟ كان في الأمر مخاطرة، فهل السيد المأمور يحب المقامرة؟

- كلا... سأتحدث بالموضوع مع "بورون"، لكنني أظن أن أحدهم قد أخذ صندوق القضايا المسجلة ضد مجهول الخاص بـ"فالنكور" حينما كان في إجازة.

نفخ "لوبروتون" مجددًا في البالون، ثم حدق فيه وكله عزم أن يخفف من التدخين، وقال:

- وماذا عن الابن؟

ردت "روزيير":

- المسكين! لا بد أنه يكره أباه.

فجاوبتها "كابستان":

- لا أظن، فقد رباه أبوه خلال عشرين عامًا وأحسن تربيته، هو يعتقد أنه تصرف بدافع واجبه كأب للمحافظة على ابنه، خطط له حياته ومهد له طريقه، وإن كلفه ذلك ارتكاب أربع جرائم قتل. لقد وقع فريسة أعماله، مثلما يحدث مع كل الأشخاص المتعنتين، وليس بوسع "جابرييل" أن يكرهه، ولن يكرهه إطلاقًا، لكنه الآن في مرحلة شديدة الحساسية، فحتى هذا الصباح لم يكن قد شعر بعد بالغضب، ولم يبكِ، لم يصدر عنه أي انفعال كان؛ إنه مصعوق تمامًا، لحسن الحظ أن خطيبته معه لحظة بلحظة.

عمّ المقر جو من الحزن، ثم عاد كل منهم إلى عمله بصمت.

⊙⊙

بعدها بثلاث ساعات، كانت الضوضاء والصخب سيدا الموقف في الصالون.

أخذ "داكس" يرفع صوت الموسيقى، ثم ما يلبث "أورسيني" أن يخفضه.

"روزيير" و"ميرلو" قضيا على كل الزجاجات التي تقع بين أيديهما، مما دفع "لوبروتون" إلى الاحتفاظ بزجاجته بعناية إلى جانب كأسه.

أخذ "توريز" يفرز الأقراص المدمجة، ثم رقص مع "كابستان" وهو في قمة السعادة حتى لوى ركبته.

"إيفرار" و"لوويتز" كانا في نشوة عارمة، ولم يغادرا حلبة الرقص ثانية واحدة، ورقصا على إيقاع كل الأغاني، حتى عندما أصر "توريز" على وضع أغنية للمطرب "أدامو".

راقبت "كابستان" "بيلو" في المطبخ وهو يخوض بأنفه في طبقة البلاستيكية، ورغم أنه من الكاوتشوك المضاد للانزلاق، لكنه نجح في دفعها نحو الجدار محدثًا كشطًا في طبقة الدهان الجديد، وبعد أن ملأ معدته واستعاد نشاطه، جاء نحو صاحبته والماء يقطر من شفتيه.

وحدهما - "بورون" و"كابستان" - كانا واقفين أمام البوفيه، قالت "كابستان" بأعلى صوتها حتى يسمعها المدير وسط الصخب والموسيقى:

- أنت أول من دقق في ملف "فالنكور"، أليس كذلك؟

- صحيح، ففشله في حل القضية كان نقطة سوداء في تاريخه المهني، ولم أكن أجد تفسيرًا منطقيًا لذلك.

- وبالنسبة لمقتل "جينان"، كيف ربطت بين القضيتين؟ فهو لم يكن مكلفًا بها.

- كلا، لكنه كان قد انتقل لتوه إلى الإدارة في البناء رقم 36، وكان كثيرًا ما يأتي لزيارتي. بعدها بسنوات عندما بدأ العمل في فريقي، اطلعت على ملفه من الموارد البشرية، ورأيت أنه عاش في "كي ويست" في العام نفسه الذي شهد حادثة الغرق، وهو أمر ما كان ليغفل ذكره لو لم يكن في الأمر سر، كما حدث أن بعض الأوراق في الملف قد اختفت...

- إذًا، كنت تشك في أنه قاتل، واستمررت في التغطية عليه عشرين عامًا.

فقال "بورون" مصوبًا ومتملقًا:

- كلا، إطلاقًا، لكنني اكتشفت إهماله في العمل على بعض تفاصيل القضية، وقد استغللت إنشاء هذه الفرقة للتحري أكثر وكشف الحقيقة.

ثم أضاف:

- وأنت يا "كابستان"، لقد شككتِ فيَّ شخصيًا لبعض الوقت...

- كلا، لم أشك فيك لحظة واحدة.

كانت ثقته بنفسه تلامس حد السخرية، ارتسمت ابتسامة عريضة على خدود المدير المترهلة، لكن "كابستان" كانت لا تزال ترغب في طرح سؤال أخير:

- ولكن، لماذا لم تحقق معه أنت وتحاصره بالأدلة؟

- لم أكن أريد أن يقال عني إنني تسببت في سقوط ضابط، فأنا أريد المحافظة على صورتي أمام الناس.

- أما أنا، فسمعتي لا تهمكم؟

فأجاب دون تردد:

- بدرجة أقل بكثير.

ثم أضاف:

- بالمناسبة، تلقيت مخالفة سير باسم العميد "لوويتز"، 90 كم/س وسط المدينة.

- نعم، ليتك تعمل على إلغائها، لأنه لم يعد يملك أي نقاط في شهادة القيادة.

- تجاوز للسرعة في سيارة جمع فضلات الكلاب؟

- كلا، فهذا النوع من السيارات لم يعد موجودًا، بل هي سيارة البلدية لتنظيف الأرصفة.

كان حديث "روزيير" و"ميرلو" المفعم بالبهجة كالعادة، يصل إلى أسماعهم مع أنغام أغنية "ريلاكس" لـ"ريكا":

- ... سواء كان لذلك علاقة بالكوكب أو بالحيوانات، لا فرق؛ المهم أنني لا أشتري إلا المنتجات الطبيعية، من أفضل الماركات و...

- لكن أثمان هذه المنتجات مرتفعة للغاية، وكذلك...

- طبعًا، أمر طبيعي، فإن كان حتى الأغنياء لا يولون الطعام الصحي أية أهمية، فليس لأحد أن يشكو من أن الشركات لا تقدم سوى المنتجات السيئة.

- بالتأكيد! ومع ذلك...- في مجتمعنا، كل عملية شراء هي عملية انتخاب، انسَ صناديق الاقتراع، فالقول الأخير لعربة التسوق!

ثم قالت وهي تمد له كأسها:

- خذ، املأ المزيد.

بينما كان "ميرلو" يصب ربع الزجاجة في الكأس والربع الثاني على السجادة، تدخل "لوبروتون" قائلًا:

- اذهبي وتجولي في بلد أو اثنين يحكمها نظام ديكتاتوري، وستعرفين إن لم تكن صناديق الاقتراع هي الأهم أم لا...

فأجابت بإصرار وهي تتفحص لون النبيذ العقيقي:

- هذا لا يمنع أنك في كل مرة تشرب وكل مرة تأكل، فأنت تدلي بصوتك!

فقال "لوبروتون" وهو يستدير مغادرًا:

- وأنت مواطنة ملتزمة جدًا.

بالكاد بدأ "ميرلو" التعليق بقوله "أنا مثلًا..."، حتى قاطعه "لوويتز" الذي كان يقفز بين الجميع وهو يدب بقدميه:

- لقد ربحت، لقد ربحت! ثلاثة في دقيقة واحدة!

مع كل حرف كان ينطقه، كان ينثر فتات البسكويت حواليه، وبينما اقتربت منه "إيفرار"، أمسكتها "روزيير" من ذراعها وسألتها بتشكك:

- هل أكل ثلاث قطع بسكويت دفعة واحدة؟

- كلا، بل هي ثلاث قطع بسكويت محشوة مربى، لكنه في غاية السعادة، ولن أفسد عليه فرحته بقولي إن هذا لا يُحتسب.

تناولت "كابستان" من على البوفيه المفتوح توست بالجبن الطازج، ولحقها "بورون"، تخطت بحركة خفيفة من رأسها بالونًا أصفر انفك من السقف وهو يطير الآن على مستوى منخفض، ثم قالت:

- إذًا، إن فهمت جيدًا، ففرقتنا مكرسة لتصفية حساباتكم الشخصية.

شابت نظرة المدير سحابة حزن طفيفة:

- كلا، ليست "حسابات" شخصية. "ألكسندر" كان صديقي كما تعلمين، واجبي كان يحتم علي أن أحقق في الأمر، إنما لم يكن بوسعي البت في القضية. فرقتكم يا "آن"، كانت الحل الوسط بالنسبة لي، أنا لم أنشئ منظمة "العدالة الخارقة"، إنما فقط طريقًا ثالثًا خارج نطاق الشكوك؛ كَوْنَ عناصر فرقتك من المغضوب عليهم.

ثم أضاف بابتسامة:

- لكنهم مُدَرَّبون جيدًا، وأصحاب كفاءات.

- كان بوسعكم أن تقولوا لي هذا بشكل مباشر.

- لم أكن متأكدًا وقتها أن الفريق سيعمل كما يجب.

كان البالون قد وصل حلبة الرقص، فهو يتطاير قافزًا بين الراقصين الذين حاولوا تجنب الدوس عليه.

"داكس" كان منهمكًا في الإيقاع وقد حمل طبق ملبس يأكل منه، كان يقضم القطعة بنهم، ثم يتبعها بحبة أخرى، قدم الطبق لـ"لوويتز" وهو يرفع كتفيه كمن يقول: "غريبة، لكن لا بأس بها".

ردت "كابستان" بلهجة مؤكدة:

- إنه يعمل، ولكي يستمر في العمل، أريد على الأقل سيارة خدمة لائقة واحترامًا للضباط وتثمين ما يقومون به.

- بوسعي تدبير السيارة لأجلكم.

فقالت "كابستان" وهي تغمس في جبن الماعز الطازج:

- هذا هو المأمول.

التهم "بورون" التوست، ثم مسح يديه في منديل ورقي مزين بقلوب حمراء:

- أعلم أنك تستحقين ما هو أفضل من ذلك، لكنني لا أستطيع فعل المزيد مع ما ارتكبتِه من أخطاء وتجاوزات مهنية، والطريقة الوحيدة لإخراجك كانت...

فقاطعته المفتشة بقولها وهي تنظر إلى فرقتها:

- ما فعلتموه لي جيد جدًا "بورون"، أنا سعيدة هنا.

كان "داكس" و"لوويتز" و"إيفرار" يدكون سقف الجيران بكعوبهم، و"توريز" يرافقهم وهو يعرج وذراعه لا تزال ملفوفة بالمنديل، و"روزيير" تحاول عبثًا دفع "أورسيني" إلى الإسراف في الشراب، بينما "ميرلو" يغط في نوم عميق وسط كل ذلك الضجيج.

التقت عينا "لوبروتون" بعيني "كابستان"، فرفع لها كأسه وردت هي بالمثل، ثم كررت كلامها للرئيس:

- المكان هنا يناسبني جدًا.

⊙⊙

تمدد "بيلو" عند قدمي "روزيير"، وقد وضع جزءًا من شفته على مقدمة حذائها المدببة، مسترخيًا وهو يراقب ما يجري حوله، وبالنظر إلى ما كان أنفه يتشمم من روائح أطعمة وأناس متمايلة فرحًا، كان الوضع واعدًا، ولا بد أنه سيحصل على مداعبات هنا وقطع من اللحوم الباردة هناك.

ثنى فخذيه استعدادًا للصيد، حين شعر بيد صاحبته تداعب خاصرته، فعاد إلى مجلسه ثم رفع أنفه، مدفوعًا بغريزته الحيوانية نحو رفيقته السمينة الجالسة بجانبه، ابتسمت له "روزيير" ومدت له قطعة فطيرة باللحم، فازدردها "بيلو" بين فكيه، لا حاجة للحركة، فالطعام يأتيه إلى حيث هو.

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

.1	اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
.2	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.3	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.4	جريمة في بوينس آيرس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.5	نقطة الصفر	ناريج ماليان	أرمينيا
.6	مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
.7	علاقات دولية	إلبيت إليكا	ألبانيا
.8	قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتزة	ألمانيا
.9	لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
.10	حب كالأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
.11	أفلام في قصص	مجموعة مؤلفين	أمريكا
.12	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
.13	اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
.14	الموت والبطريق	أندريه كيركوف	أوكرانيا
.15	تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
.16	جريمة الساحر	أرني ثورارينسون	أيسلندا
.17	شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
.18	الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
.19	حذارِ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
.20	سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
.21	امرأة في حقيبة	رافاييل مونتيز	البرازيل
.22	بيتنا في إزمير	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
.23	كابوس ساو باولو	أنطونيو شيرشينيسكي	البرازيل
.24	مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
.25	نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
.26	الأثر المقدس	إيسا دي كيروش	البرتغال
.27	الأشياء الماضية	برونو فييرا	البرتغال
.28	أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
.29	صانع الملائكة	شتيفان بريجش	بلجيكا
.30	مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة

31.	جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
32.	أبسنت	أيفر تونش	تركيا
33.	أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركيا
34.	ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
35.	امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
36.	توباز	هاكان جنيد	تركيا
37.	ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
38.	جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
39.	جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
40.	خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
41.	ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
42.	الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
43.	الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
44.	لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
45.	مينتا	سولماز كاموران	تركيا
46.	نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
47.	سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
48.	المزيد	هاكان جنيد	تركيا
49.	الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيجوز	تركيا
50.	المدينة ذات العباءة القرمزية	أصيلي إردوغان	تركيا
51.	جرائم براج	ميلوس أوربان	التشيك
52.	معسكرات الشيطان	يواقيم توبول	التشيك
53.	حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
54.	حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
55.	ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
56.	سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
57.	كافكا	فرانز كافكا	التشيك
58.	المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
59.	احذري يا آنا	ماريك سينديلكا	التشيك
60.	المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
61.	العقل المدبر	دافيد أوجنر	جواتيمالا
62.	بال خال	أولجا سلافينكوفا	روسيا
63.	رسائل سبتمبر	بيروني رحيم	زيمبابوي

.64 امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
.65 خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
.66 يوغوسلافيا.. أرض أبي	جوراي فوينوفيتش	سلوفينيا
.67 الحياة هنا	ميرال قريشي	سويسرا
.68 ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
.69 كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
.70 بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
.71 بنات الصين	يي مِاي	الصين
.72 الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
.73 رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
.74 سبع ليالٍ في حدائق الورد	يي مِاي	الصين
.75 النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
.76 رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
.77 الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	الصرب
.78 المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
.79 جريمة في باريس	صوفي إيناف	فرنسا
.80 الأخ الأكبر	ماهير جوفين	فرنسا
.81 المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
.82 التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
.83 اعترافات مؤجلة	ميجيلا بودوين	فنزويلا
.84 النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
.85 أين أنتِ؟	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
.86 حياة على باب الثلاجة	أليس كويبرز	كندا
.87 صانع الزجاج	إيرميس لافازوناوفسكي	مقدونيا
.88 القنَّاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
.89 الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
.90 القزم	أليكساندر بروبوكيف	مقدونيا
.91 د. مينجوس.. الأخ الأكبر	خيسوس ريكاردو فيلكس	المكسيك
.92 إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
.93 صيف بارد جدًا	روي ياكوبسن	النرويج
.94 سميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
.95 حرية حزينة	فريدريكا جيزفاينر	النمسا
.96 ف.و.م.و	ألموت تينا شميت	النمسا

97.	دكَّان الساري	روبا باجوا	الهند
98.	جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
99.	العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
100.	المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
101.	تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
102.	عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا
103.	أفكار سيئة	لويد ميركام	ويلز
104.	أيتام ذهبيون	جاري ريموند	ويلز

صدر من كتب عامَّة:

105.	الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
106.	قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
107.	هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
108.	المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
109.	الشاي: ثقافات وطقوس وحكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
110.	الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
111.	الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
112.	القرصان الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
113.	مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
114.	زيارة لمكتبات العالم: تاريخ مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
115.	يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
116.	الذكاء الأخضر	ستيفانو مانكوسو	إيطاليا
117.	خيالات الشرق	إيسا دي كيروش	البرتغال
118.	ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	دافيد فان ريبروك	بلجيكا
119.	أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
120.	قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
121.	النشوة المادية	جي. إم. لو كلوزيو	فرنسا
122.	لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
123.	جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا

124. الجري	ثور جوتاس	النرويج
125. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
126. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا

يصدر قريبًا: من سلسلة كتب مختلفة:

127. بيلبورت: قصة مدينة	جيفري لويس	أمريكا
128. سيلفي مع الشيخ	كريستوف بيترز	ألمانيا
129. لا صديق سوى الجبال	بهروز بوجاني	إيران
130. شرخ في الحائط	كلاوديا بينييرو	الأرجنتين
131. شمس الحرية	آنا ماريا ماتشادو	البرازيل
132. طلاق على الطريقة التركية	أسمهان أيكول	تركيا
133. جدتي وبريتني سبيرز	لونا الموصلي	سويسرا

134. لم يبقَ أحد	أندريس فورجاتش	المجر
135. يوم هنا ويوم هناك	أجيولار كامين	المكسيك
136. روميو جولييت في البلقان	ديان ترايكوسكي	مقدونيا
137. أختي فاتلة متسلسلة	أوينكان برايزوايت	نيجيريا
138. لا سوبيربا	إليا ليونارد	هولندا

#كتب_مختلفة #فرنسا

في أحد الأيام تقرر إدارة شرطة باريس أن مجموعة من ضباطها لم يعد لهم مكانًا وسطهم، لكنهم في الوقت نفسه لا يريدون تسريحهم، لذلك يتم عمل قسم خاص لهم وتُلقى عليه جميع القضايا التي قُيدت ضد مجهول أو لم يتم حلها، لتصبح الإدارة ناجحة تمامًا، ومن أجل أن يلقوا بكل الفشل على ذلك القسم.

هذا القسم يتكون من سيئ الحظ الذي يموت أو يُصاب كل مَن يعمل معه، وغريب الأطوار الذي يراقب الجميع في صمت، وكاتبة سيناريو أعمال بوليسية مهووسة بالنظافة والديكور والعجوز الذي أدمن المخدرات، وظابطة احترفت القمار، وغيرهم.

توزع القضايا القديمة كلها عليهم ليبدؤوا التحقيق فيها، محاولين الإثبات للجميع ولأنفسهم أولًا أنهم على الرغم من كونهم منبوذين فإنهم قادرون على حل أعقد الجرائم، ولكن مفاجأة كبيرة تواجههم جميعًا في النهاية. وسؤال واحد سيجول بخاطرهم:

هل كان وضعهم معًا في قسم واحد عقابًا لهم، أم كان أمرًا مقصودًا!!؟

SERIES CRIME SERIES CRIME SER

CRIME SERIES

صوفي إيناف

© Astrid di Crollalanza

وُلدت عام 1972، وهي صحافية، ومؤلفة. بدأت مهنتها في الصحافة ناقدة بمجلة "ليون بوش"، قبل أن تنتقل إلى باريس لتعمل بالـ"كوزموبوليتان"، وهي مجلة دولية للمرأة. حيث لها عامود خاص بها تحت عنوان "لا كوزموليت".

"جريمة في باريس" هي أول جزء من أول سلسلة جريمة تؤلفها، نشرت عام 2015، ونالت جائزة أفضل رواية بوليسية فرنسية، وجائزة أفضل سلسلة بوليسية في فرنسا في مهرجان "كيه ديه بولار" للأعمال البوليسية، وجائزة "أرسين لوبين" الأدبية لأفضل رواية بوليسية.

العربي للنشر والتوزيع
60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

ISBN 978-977-319-501-4
9 789773 195014 >

WWW.alarabipublishing.com.eg

إثارة باريس جريمة ضباط كوميديا

تصميم الغلاف : سيد كامل